مجموع

الأعمال الكاملة

لمؤلفات وفتاوى ورسائل

الإمام العلامة الحبيب

عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

(١٠٨٩ - ١١٦٢)



مقام الإمام

مجموع الأعمال الكاملة لمؤلفات وفتاوى ورسائل
الإمام العلامة الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

الطبعة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤





تريم - حضرموت - الجمهورية اليمنية
هاتف: 00967711122368
هاتف: 00967734915599

مجموع

الأعمال الكاملة

لمؤلفات وفتاوى ورسائل

الإمام العلامة الحبيب

عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه

(١٠٨٩ - ١١٦٢)

المجلد الأول






بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المجموع المبارك

الحمد لله على تيسيره، والشكر له على توفيقه وتبصيره، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد بشيره ونذيره، الحبيب الأعظم، والرسول الأفخم، سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد؛

فهذا مجموع مبارك، يضم ما تم الوقوف عليه وجمعه، من تراث السيد الجليل، والإمام الحفيل، الشهير بعلامة الدنيا، الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، باعلوي الحسيني التريمي الحضرمي، أحد كبار أعلام حضرموت في عصره، رحمه الله، ونفعنا بعلومه ونفحاته.

هذه المؤلفات، أكثرها ينشر أوَّلَ مرة، وبعضها كان لا يعلم عنه شيء، ولم يذكره من ترجم له من معاصريه ولا من بعدهم، فالحمد لله على نعمة العثور على هذه الكنوز العلمية، والمآثر التأليفية، التي تنفع الناس، وتثري العلم والمعرفة.

محتويات المجموع:

اشتمل هذا المجموع بالإجمال على ١٩ عملاً من أعمال الإمام علامة الدنيا، وبالتفصيل يصل عددها إلى أكثر من ٢٢ عملاً، ما بين كتاب ورسالة، ونظم ونثر، وبين متن ممزوج، ومتن مجرّد عن الشرح، كما سيرى القارئ الكريم كل ذلك في موضعه.

كما تم وضع مقدمة بين يدي المجموع، اشتملت على عدد من نصوص التراجم التي تناولت حياة السيد الإمام، وعرفت بفضله ومنزلته.

فأما المقدمة: ففيها خمسة نصوص لترجمة الإمام صاحب هذا المجموع: النص الأول للعلامة الإمام محمد بن زين بن سميط (ت ١١٧٢هـ) وهو معاصر له ومعدود من تلاميذه، والنص الثاني للعلامة الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف (ت ١٢٩٢هـ)، والنص الثالث للعلامة السيد عبد الله بن محمد السقاف (ت ١٣٨٧هـ)، والنص الرابع لحفيد المؤلف السيد العلامة أحمد بن زين بلفقيه (ت ١٤١٥هـ)، والنص الخامس للسيد العلامة عبدالقادر بن سالم الخرد (معاصر).

الكتاب الأول: وهو بعنوان «فتاوى وأجوبة نافعة»، فيه بعض الفتاوى المهمة التي أجاب عنها الإمام، وهي ثلاث مسائل قُدِّمتْ اثنتان منها إليه من السيد سليمان ابن يحيى الأهدل، الأولى: حول طلب العلم، والأخرى: عن المهدي المنتظر، وأما المسألة الثالثة فهي جواب على خطاب بعثه بعض أشراف صنعاء، سنة (١١٣٦)هـ.

الكتاب الثاني: وهو بعنوان «فوائد ومسائل شتى»، تم فيه جمع الفوائد التي وجدتها منقولة عن خطه، أو وردَت في بعض مراسلاته، وهي فوائد قيمة ومفيدة جداً.

الكتاب الثالث: بعنوان «خاتمة الجواب والبيان في أن المحسودين في الخير إلى زيادة لا نقصان»، تحدث فيها عن بعض ما ناله من أذى حساده، وتسليه عنهم بما من شأنه إعلاء منزلته عليهم، وكبتهم وزيادة غيظهم.

الكتاب الرابع: نبذة في اعتماد شجرة نسب السادة بني علوي في الأحكام، وهو فصل من كتاب مفقود للمؤلف رحمه الله اسمه: «إتحاف بني علوي بتحقيق نسبهم النبوي»، وردت تلك النبذة في كتاب «شمس الظهيرة» للعلامة السيد عبد الرحمن المشهور (ت ١٣٢٠هـ)، مفتي تريم، وكان الذي دله عليها شيخه السيد الإمام

عيدروس بن عمر الحبشي (ت ١٣١٤هـ)، فلعل أصل تلك النبذة، وبقية الكتاب محفوظ في مكتبة الإمام الحبشي، التي حفظت لنا العديد من نوادر الكتب.

الكتاب الخامس: كتاب عنوانه: «كشف الحق عن الحقيقة وتمييز التلبيس عن رسوم الطريقة»، أجاب فيه عن أربعة أسئلة وردت إليه سنة (١١٣٥هـ)، من جهات شتى.

وملحق به نص مكاتبة جرت بينه وبين أخيه في الله السيد العلامة الحسن بن علي الصادق بن الهادي الجفري المتوفى سنة (١١٧١هـ)، بالقرين، قرب سيون.

الكتاب السادس: نبذة عن الطريقة العلوية، وهي مستلة من كتاب «عقد اليواقيت الجوهرية»، للسيد الإمام العلامة عيدروس بن عمر الحبشي، أوردها في مقدمة كتابه الموماُ إليه.

الكتاب السابع: شرح القصيدة الفريدة في خلاصة العقيدة، وهو شرح على منظومة له نفسه، تقع في ٥٣ بيتاً، من بحر الرجز، وفيها فوائد عزيزة.

الكتاب الثامن: شرح المنظومة الفريدة الوجيزة المفيدة، المسمّى: شَرْح عقيدة «شَهِدتُ معْتقِداً جَزْماً»، وهو شرح على منظومة له نفسه، رحمه الله، تقع في ١٩ بيتاً، وفيها فوائد عزيزة، وجمل من العقائد هي درر فريدة.

الكتاب التاسع: أربعون حديثاً في فضل القرآن العظيم، وردت تسميته في بعض نسخه الخطية باسم «إسعاف أهل الإيمان بأربعين حديثاً في فضائل القرآن»، اشتمل على ١٣٤ حديثاً، مع شرح غريبها، ألفه سنة (١١٥٣هـ).

الكتاب العاشر: بعنوان «الدوائر»، أو «فتح بصائر الإخوان في شرح دوائر الإسلام والإيمان والإحسان»، وهي رسالة لطيفة مفيدة.

الكتاب الحادي عشر: بعنوان «قاطع الجدال في مسألة الهلال»، ألفه في تعقب فتوى للعلامة الشيخ علي بن عبد الرحيم بن قاضي باكثير (ت ١١٤٥هـ).

الكتاب الثاني عشر: رسالة بعنوان «تعليقة أنيقة»، كما وُجِدَ على بعض نسخها الخطية، وهي جواب سؤال عن واقعة حال في رؤية الهلال بعث به السيد العلامة عمر ابن عبد الرحمن البار (ت ١١٥٨هـ).

الكتاب الثالث عشر: وهو بعنوان «تحفة المحبين المجتهدين في فضل المجاهدين لأعداء الدين»، ألفه سنة (١١٣٤هـ)، بطلب من سلطان رازفور في بلاد الهند، ياقوت خان الحبشي، وقد تضمن الكتاب فصولاً ضافية في فضل الحبوش، وذكر أعلام الصحابة منهم، وذكر الهجرة إلى الحبشة، وفضل النجاشي وما ورد فيه، وهذا الكتاب له قيمة علمية بالغة، ولم يذكره أحد ممن ترجم للمؤلف.

الكتاب الرابع عشر: بعنوان «فتح الخلاق شرح عقد الميثاق على محاسن الأخلاق»، ألفه سنة (١١٢٠هـ)، استجابةً لطلب أخيه في الله الشيخ العلامة أبي طاهر الكردي المدني الذي كان قد راسله سنة (١١١٥هـ)، شرح فيه قصيدة تائية تضمنت حقوق الأخوة في الله، وما يجب على الأخ لأخيه، وجملة من الآداب العالية الراقية.

الكتاب الخامس عشر: بعنوان «رفع الأستار شرح مفتاح الأسرار في تنزل الأنوار وإجازة الأبرار»، ألفه سنة (١١٥٥هـ)، شرح فيه قصيدة لامية له، كان نظمها إجازة للسيد العلامة مفتي زبيد يحيى بن عمر الأهدل (ت ١١٤٧هـ)، ثم لما كثر الطلب عليه في شرحها، وضع عليها هذا الشرح، وقد تضمن فوائد عزيزة سيما في تحدث المؤلف بنعمة الله عليه، وترجمته لنفسه ترجمة وجيزة، تعد هي الأصل والمرجع الأول لمعرفة أحوال حياته، وشيوخه ومقروءاته.

الكتاب السادس عشر: منظومة عنوانها «يمنة المدارس وزينة المدارس»، نظم فيها آداب طالب العلم، وذكر شيوخه وأسانيدهم، وهي مفيدة ونافعة.

الكتاب السابع عشر: منظومة عنوانها «عمدة المحقق»، على قافية اللام ألف، نظمها سنة (١١١٠هـ)، وهو في سن الحادية والعشرين، وهي في أصول الدين والاعتقاد، وعليها شرح للعلامة الفقيه السيد علوي بن سقاف الجفري.

الكتاب الثامن عشر: منظومة عنوانها «منهج الحق الرشيد وبلغة المريد»، نظم فيها «رسالة المريد» لشيخه الإمام الحداد، في حياته، وقرظها شيخه بأبيات فرحاً بها، واستحساناً لها، وهي على قافية التاء.

الكتاب التاسع عشر: منظومة «الرشفات»، وتمام اسمها «رشفات شرب أهل الكمال ونسمات قرب أهل الوصال»، وهي منظومة شهيرة، فيها من المعاني والأذواق والمواجيد الشيء الكثير، وعليها شروح لغير واحد من العلماء الأجلاء.

وبعد؛ فهذه هي عناوين الكتب والرسائل والمؤلفات والمنظومات، التي اشتمل عليها هذا المجموع الحافل المبارك، نسأل الله تعالى أن ينفع به من قرأه وطالعه.

❋ ❋ ❋

كما أن هناك كتباً ومؤلفات هي في عداد المفقودات اليوم:

(١) منها «**مجموع فتاواه**» الواقع في ٥٠٠ صفحة تقريباً، الذي ذكره حفيده السيد العلامة أحمد بن زين بلفقيه.

(٢) ومنها كتابه في نسب السادة بني علوي «**إتحاف السادة بني علوي**» الذي ذكره في النبذة التي وردت في هذا المجموع.

(٣) ومنها كتاب عنوان **«كشف الغطا عن اعتقاد آل بيت المصطفى»**، ضمنه الرد على شخص يدعى عبد الحق الزيدي، ذكره المؤلف في الكتاب الأول، في جواب السؤال الثاني، حول الإمام المهدي المنتظر.

❋ ❋ ❋

ولعل هناك كتباً ومؤلفات أخرى، لم نسمع بها، ولم نطلع عليها، فقد كان السيد الإمام رحمه الله، كثير التأليف، محباً للتصنيف، وكل كتبه مفيدة نافعة، على تنوع مواضيعها، وإلمامها بمادتها المؤلفة فيها، فالحمد لله أولاً وآخراً، ونسأله تمام النفع والانتفاع، وقبول هذا العمل، إنه أكرم كريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الرؤوف الرحيم، وآله وصحبه وأتباعهم على النهج القويم.

❋ ❋ ❋

المقدمة

في ترجمة صاحب هذا المجموع

(وتشتمل على ترجمات نادرة

تنشر أوَّلَ مرة)

الترجمةُ الأولى
من كتاب «مجمع السادة الأمجاد
وذكر الآخذين عن سيدنا الإمام الحداد»[١]
تأليف السيد العلّامة محمد بن زين بن سميط
المتوفى بشبام سنة (١١٧٢هـ)

«السيد الإمام العلامة، العراف بالله، القدوة العامل، والفاضل الكامل، وجيه الدين عبد الرحمن بن السيد الإمام العلامة عبد الله بن السيد أحمد ابن الفقيه محمد الأسقع علوي، نفعنا الله بهم.

كان هذا السيد من الآخذين عن سيدنا عبد الله الحداد، قديماً وحديثاً، لبس منه الخرقة الشريفة، وقرأ عليه، وكان معظماً له، محترماً مفخماً، وكان سيدنا عبد الله يثني على السيد عبد الرحمن بغزارة العلم، وثقابة الفهم، وكان كذلك، رَضِيَ الله عنه، غزير العلم، ثاقب الفهم، متفنناً، مبرزاً في كل فن من العلوم، قلَّ أن يوجد في زمانه من يماثله في جمعه لها وحفظه، أقر له بذلك الخاص والعام.

وكان له في العلم الطلب الحثيث، من حين صغره وصباه، لم يزل على هذه الحال إلى آخر عمره، وهو كذلك في طلب العلم، والبحث عنه.

كان بتريم، حرسها الله، علماً به يُهتدَى، وإماماً به يُقتَدى، يدرس في سائر فنون

---

(١) ص ٢١٥-٢١٦؛ وهذا الكتاب ملحق بكتاب «بهجة الزمان وسلوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيان والأصحاب والأقران»، الذي هو خاتمة كتاب «غاية القصد والمراد».

العلم، وكانت تأتيه الأسئلة من أكثر الجهات في سائر العلوم، فيجيب عنها بأحسن جواب، له رسائل، وتصانيف جامعة نافعة، وقصائد منظومة.

وبالجملة؛ فضائله كثيرة، وإن تتبعناها خرجنا عن القصد؛ لأن القصد التنبيه على ذكر الآخذين عن سيدنا عبد الله، من أهل زمانه، لا تعديد محاسنهم وفضائلهم؛ لأن ذلك مما يعجز عنه، ولا نؤديه على وجهه، والقليل يدل على الكثير.

وكنا بحمد الله، قد انتفعنا بهذا السيد، واستفدنا منه فوائد كثيرة، واجتمعنا به اجتماعات لا تحصى. وكان جل انتفاعه رَضِيَ الله عنه في العلم بوالده، وجده لأمه، السيد الإمام العلامة عبد الرحمن بن محمد العيدروس، وخاله السيد الحافل المتفنن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العيدروس، وغيرهم.

ولد بتريم، وبها توفي ليلة الأربعاء، السادس والعشرين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وستين ومئة وألف، نفعنا الله به، وسائر الصالحين، آمين».

❋ ❋ ❋

الترجمةُ الثّانية
بقلم السيد العلّامة الحبيب
عبد الرحمن بن علي بن عمر السقاف
المتوفى سنة (١٢٩٢هـ)

قال الحبيب حسن بن سقاف الصافي السقاف، رحمه الله، في كتابه «نشر محاسن الأوصاف»، في مناقب والده الحبيب سقاف، على لسانه:

«سيدنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الفقيه، قدس الله سره، ونفعنا به، وأمدنا بمدده، علامة الزمان، فهامة الأوان، واحد العصْر، ثالث الشمس والبدر، إن قرّر قرّرَ، وإن حرَّر حرّر، طالما رتَعت في رياضه المحققون، وكرعت من نمير حياضه المدققون، أطلعه الله شمساً في سماء العلمين، الظاهر والباطن، فانتفع بمُلكِ إفادته وملكُوتها المتحرك والساكن.

أخذتُ عنه العلوم في حداثة العمر، وأخرجَني ببركات أنفاسه الوجيهة إلى سعة اليسر، من ضيق العسر، وبشرني ببشاراتٍ ظهرت عليّ بعضُ لمحاتها، وأشار عليّ بإشاراتٍ ما زلتُ أتوقع حصول نفحاتها.

وبالجملة؛ فما من عالم اجتمعَ به في الحرمين واليمن وقطره، إلا وهو معترف له بسمو مقامه في الفنون وعلوّ قدرِه. كيف لا؛ وهو الفائق على كثير من مشايخه في أيام حياته، حتى أن كثيراً منهم يرجع إليه إذا انْبهمَ الأمر، ويرى الحقَّ الصراح هو ما أبداه في لطيف عباراته، ودقائق تحقيقاته.

وأما أعماله الكبيرة، الدالة على كمال صفاء السريرة، فأمر كبير، ولا ينبئك مثل خبير، وقد شهد له غير واحد من الآحاد، وكان سيدي الوالد يصرح بذلك في مكاتباته، وإن في شرق البلاد.

وأما كراماته؛ فبلغت في ذلك عدد التواتر.. في ذلك كثير من حساده الذين ألهاهم التكاثر، غير أنه أعرضَ عن إظهارها غالباً آخر عمره الشريف، واكتفى بالاستقامة، إذ ذرةٌ منها، عند الكمّل، خير من ألف كرامة.

وقد قلتُ فيه، بما لا ينافيه:

إن عبد الرحمن في كلّ فنٍّ ... ما له مشبهٌ بكلّ البلادِ

إنَّ نَحْلَ العفيفِ أعطاه ربي ... نِحْلةً دونها سيولُ الغوادي

* * *

[شيوخه والآخذون عنه]

وأما الآخذ عنهم، فالجم الغفير، غير أنا نشير إلى شيء من ذلك، وهو كالقطرة من الغدير، وكالغرفة من البحر الكثير.

فمن أجلّ مشايخه: والده، الجامع، لدواني العلوم والشواسع.

ومنهم: خاله العلامة، الغنيّ عن العلامة، محيي الدروس، السيد عبد الرحمن ابن محمد العيدروس.

ومنهم: مجدد القرن الحادي عشر، سيدي الشيخ إبراهيم الكردي، المعروف بالكوراني، تلميذُ صاحب المقام الجمعي والفرقاني، سيدي القطب أحمد القشاشي، الشهير بالدِّجاني، وهو الذي بشَّر والدَ صاحبِ الترجمة به قبل ميلاده، وإنه يكون في وقته صاحبَ الإفادة والسيادة.

ومنهم: قطب الإرشاد، شيخ مشايخنا، الحبيب الحداد.

ومنهم: واحد العصر والأوان والزمان، سيدي أحمدُ الهندوان.

[الآخذون عنه]

وأما الآخذون عنه؛ فمن سائر الآفاق؛ لأنه وقعَ على تقديمه في مضمار جمع العلوم، وسبقه في ميادين حلبات الفهوم، الإجماعُ والاتفاق. وقد اشتهر بأنه شيخُ الأوان، وعلامة الزمان، عند القاصي والدّان؛ فلذلك توجهت إلى الطلب منه سائر الأقاليم والبلدان، بإعمال الرحال، وسعي الرجال، وإرسال كل مكتوب وسؤال،

وتوجّه الأرواح والقلوب، لالتماس أخباره، وبركاته وأسراره، الموصلة إلى كل مرغوب ومحبوب.

ومن أجلّ الآخذين عنه:

الغوث الفرد، الجامع لأسرار الصديقية العظمَى، الناشر لواء الدعوة التامة لكافة البرية، الحامدُ بن عمر علوي رَضِيَ الله عنه، ونفع بعلومه وبركاته وأسراره.

ومنهم: سيدنا الشيخ الكامل، سلطانُ الأصفياء، الغوث الواصل، جعفر ابن القطب الجامع، أحمد بن زين الحبشي، قدّس الله سره، وأمدنا بمدده.

ومنهم: صاحب الأسرار الصادقة، والكشوفات الخارقة، سيدنا الشيخ الحسن ابن علي الصادق الجفري، رحمه الله، ونفع به.

ومنهم: صاحب الصديقية الكبرى، والعبودية المحضة، المحقق لأسرار الولاية العظمى، شيخ الأحقاف، الجدّ الغوث الكامل، السقاف بن محمد الصافي السقاف رحمه الله، ورَضِيَ عنه وعنا به والمسلمين.

ومنهم: ولدُ صاحب الترجمة، سيدنا الخليفة الصالح، والبركة الشاملة، العلامة الفهامة، الغوث العارف بالله، عيدروس ابن سيدنا عبد الرحمن بن عبد الله ابن الفقيه.

❋ ❋ ❋

[إجازة الإمام عبد الرحمن بلفقيه لتلميذه الحبيب سقاف بن محمد بن عمر الصافي السقاف (ت ١١٩٥هـ)]

قال شيخ مشايخنا، الجدّ الغوث، السقاف بن محمد الصافي، المذكور، قُدِّس سره، في بعض إجازاته لبعض تلاميذه، ما نصه: «لي أسانيدُ كثيرة، من طرق شهيرة، أشهرها إجازة سيدنا الإمام الأعظم، الجامع الأفخم، الشيخ الفرد، عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، باعلوي التريمي، نفع الله به».

قلتُ: وإجازة صاحب الترجمة، للجد الشيخ السقاف المذكور، هي التي حصلت في مرضِ موت صاحب الترجمة، تلفّظ بها، وأمر ولدَه الخليفة الصالحة عيدروس برقْمها، وصورةُ ما رقَمه سيدُنا العيدروس المذكور:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي لم تزل أنوارُه تنزل بواسطة رسله من لدُن آدم، ﷺ، إلى أن بُعِثَ محمدٌ خير الورى، وخاتم النبيين، مظهر جميع طرق الهدى، وجاء بسائر ما جاءت به الرسل والأنبياء من كل دينٍ وفضل وندى؛ ولأجل ذلك عمّت رسالته كل الخلائق، فأشرقت أنواره في جميع المناهج إلى الله جل وعلا؛ لأنه وارث جميع الأنبياء، وفلَكُ أنوارهم، وأحوالهم وكل أسرارهم، وأفاضها على صحبه وآله المكرَّمين، الكاملين المكمَّلين.

فظهرتْ وبهرت أنوارُهم وأسرارهم، فهم ورثةٌ له في ذلك، كلٌّ أُعطِيَ منهم ما قسمَ الله له من الظاهر والباطن، واجهَهم في نفع خاصٍّ به، أو متجاوزٍ عنه إلى غيره، وأفاض المذكورون ما ذكر، في كل تالٍ وواعٍ، ذي علو وبصيرة، من التابعين، وكذا تابع التابعين، إلى آخر وقتٍ وزمان؛ لأن الهدى باقٍ إلى يوم الدين، إنما أخفاه رب العالمين، لما أراد من ظهور بغي وغربةٍ للدين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فيقول العبد الفقير إلى ربه، راجي عفوه وفضله، عيدروس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه محمد باعلوي عفا الله عنه:

إن سيدنا الحبيب العلامة الجامع، العارف بالله والدال عليه الوالد عبد الرحمن تلفّظ بالإجازة في مرض موته، عام (١١٦٢)، اثنين وستين ومئة وألف، للحبيب العلامة، سقاف ابن العلامة محمد بن عمر بن طه، باعلوي، وأذن لي في كتابتها له، وذلك بحضرته، وحضور جماعةٍ أخيار، من السادة وغيرهم.

والإجازةُ المذكورة هي هذه:

«الحمد لله الذي أوصلَ من اجتباه بسلاسل الهداية، وأرفع من اصطفاه على سند العناية، حتى اتصل برسول الله ﷺ من كل طريق من طرق الهداية، واعتصم بحبل الله في كل تحقيقه في الدراية والرواية، فنجا إلى الحق بالحق من كل غواية، واقتدى به عنه، ﷺ وآله، الفاضلون الموصلون منه بكل رعاية، واهتدى بهدي أصحابه وأتباعه في الدين على المنهج المبين في كل بداية ونهاية.

وبعد؛ فإن سيدي الأخَ في الله، المحب المحبوب بحق الله، ذا الفضل الظاهر في كل سرٍّ وجهر، أبا عُمر، عبد الرحمن السقاف بن محمد بن عمر بن طه الصافي السقـاف، باعلوي، حفظه الله في كل حيـن، بمـا حفظ به أوليـاءه والصالحين.

قد قرأ عليَّ، وسمع مني، وتردد عليّ، بقراءة غيره، وتمكن لديّ، ورغب في الإجازة مني في جميع ذلك، وفي جميع ما اتصلتْ به روايتي من العلوم، وما لي من منثور ومنظوم، ليتصل بسلاسل العلماء العاملين، ويلتحق بطرق الأولياء والمشايخ العارفين، ويدخل فِي زمرتهم، ويتحقق بنسبتهم، في كل دين ويقين، ليكونوا له عوناً على كل وصول، وبلوغ كل سول، في تحقيق الحقّ باتباع الرسول.

فأقول؛ وبالله التوفيق: أجزتُ سيدي المذكور، وأجزتُ له أن يرويَ عني ما يجوز لي روايته، من جميع الفنون، الظاهرة والباطنة، بشرط رعاية الشروط المعتبرة في الطالب والمطلوب، كلٌّ على حسب علمه، ومبلغ فهمه، بحسب ما قسم الله في كل حالٍ. وأذنتُ له كذلك في الإجازة لما شاء من الطالبين على حسب ما نراه في الاتصال بالعلماء العاملين. ولي أسانيد كثيرة، من طرق شهيرة، وقد أشهرت في هذه الأرجوزة، الإجازة وفروعها وتفاصيلها المعلومة، والله ينفعني وإياه بما علمناه، ومن علمناه، ويجعل ذلك في رضاه.

وأوصيه بتقوى الله تعالى، والتعرُّض لنفحاته في كل حال، وأن لا ينساني من دعواته، والحمد لله رب العالمين.

قاله، وكُتِبَ بأمرِه، الفقير إلى الله
عبد الرحمن بن عبد الله
ابن أحمد بن عبد الله بن أحمد
ابن الفقيه محمد بن علي باعلوي
في سنة ١١٦٢.

[تتميم]

وقال سيدنا الحبيب العارف بالله، الحسن، ابن الجد السقاف بن محمد الصافي، نفع الله به، ورَضِيَ عنهم، وألحقنا بهم، في كتابه «نشر محاسن الأوصاف»:

«كان سيدنا الإمام عبد الرحمن بن عبد الله، المذكور، يقول: سبعة عشر علماً، ما سُئِلتُ عنها مدةَ حياتي. وأخبرني والدي: أن بعض أكابر العلماء من أهل الاطلاع والكشف، يقول: إن السيد عبد الرحمن عالم الدنيا.

وأخبِرتُ أنه زار زبيداً، ومكث أياماً يذاكر علماءَها، في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، فأقروا له بالفضل، وعلموا أنه عالم زمانه.

وذكر لي الوالد: أنه إذا أراد أخذ كتابٍ، وبعُدَ عليه، رادف كتباً وصعد عليها حتى يتناوله. وقال: أنا واحدٌ من هذه الكتب!. مع أنه يعظِّم الكتب غاية التعظيم، ولا شكّ أن هذا لا يكون إلا له؛ لأنه من العارفين بالله، والعارف يزن الأمور بميزان الشريعة ولو رأينا إنساناً وطِئ كتاباً بقصد استهانته حكمنا بردته:

وسلِّمْ لأهل الله في كلِّ مشكلٍ

ثم قال: «وكان سيدنا الوالد، وسيدنا الحبيب حسن بن علي؛ مدة إقامتهم بتريم، يخرجون بكرةً كل يوم إلى حضرة الحبيب عبد الرحمن، وهو مريض، ويقول لهم: كل يوم اخرجوا إلى عندي، خذوا عني هذه العلوم، فإني أخاف أن أموت وهي معي، ولم ينتفع بها غيري. فلازماه، وامتثلا ما أمرهما به من الخروج والتلقي عنه، حتى سقاهما من شراب وداده، وأمدَّهما من مواهب إمداده، وحكمهما بحكم أهل الولاية، حتى صارا أهلاً لكل إمامة وخلافَة».

منقول من خط الحبيب الإمام البركة
عبد الرحمن بن علي بن عمر بن سقاف السقاف،
نفع الله به آمين.

الترجمةُ الثّالثة
من كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين»[1]
بقلم السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف
المتوفى بسيون سنة (١٣٨٧هـ)

نسبه: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن ابن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن عبيد الله ابن المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن فاطمة الزهراء ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

علامة الدنيا، ومقدم القادة، ونموذج الثقافة العالية، ومظهر السعة العلمية، وأحد أبطال الإسلام والدين. مولده بمدينة تريم عام (١٠٨٩) من الهجرة.

وعبَر الصّبا منقضياً في حماية أبيه، حتى إذا قطع الطفولة الأولى وختم القرآن حافظاً تحول اتجاهه إلى الوسط العلمي بدافع التقاليد العلوية مقبلاً على الموارد العلمية بمواهبَ مفتوحَة على مصاريعها.

على أن الأيام الدائرة والسنين المتكررة تفاجئ الكونَ بعبقرية جبارةٍ، وعقلية ناضجةٍ، في معرضها الثلاثين عاماً، إلى متسِع يرى نفسَه أنه أحدُ أفراد الكتُب، ومن

(١) تاريخ الشعراء: ٣/ ٨٥-٩١.

عديدها، إذا ما تناول مرتفعاً على أكداسِها، وعلى هذه المناظر؛ لسْنا بمغالين إذا قلنا عن بطولته إنها لا توازيها بطولةٌ، أو عن نبوغه أن ليس فوقه نبوغٌ.

وهل بلغكَ اعترافُ كافة الناسِ، حتى شيوخه وقادة الرأي في الهيئة الاجتماعية، بخصوصيات المواهب اللدنية التي أوتيها! راجعين إليه عند المبهمات الغامضة. ودعْ ظهوره الكبير، وتردد صيته داوياً باستدامةٍ في كافة الأحقاب المتلاحقة.

* * *

وإذا فحصنا عن شيوخه العديدين، بحضرموت والحجاز واليمن، ظهر في الطليعة قطبُ الإرشاد العلامة السيد عبد الله بن علوي الحداد. وفي «رفع الأستار» يفصح عن نجاحه على أبيه، وتلقيه عليه مدى عشر سنين، واستخلافه في الإفتاء والتدريس. كما يروي استكماله على جده لأمه السيد محمد بن عبد الرحمن العيدروس، وخاله السيد عبد الرحمن بن محمد العيدروس صاحب «الدشتة». وله أخذٌ عن أخيه العلامة السيد محمد بلفقيه.

وأما الآخذون فجموعٌ غفيرةٌ، وفي ساطعيهم جَدّي العلامة السيد سقاف بن محمد بن عمر السقاف. ونرى في «عقد اليواقيت»: أن العلامة الصوفي السيد مشيّخ ابن جعفر باعبود تلقى عنه بالمدينة المنورة أصولَ الفقه.

ويحدثنا «عقد اليواقيت» عن احتفاء علماء وأعيان زبيد به أيام مُقامِه بينهم في أثناء سبيله إلى الحرمين، واعترافهم بمكانته العلمية الشامخة، حيث استمر أياماً يتكلم على البسملة بمدهشاتِ العلوم.

* * *

أضف إلى هذا مظاهر حياته الصوفية الرائعة، وآثار حياته الاجتماعية الخيرية. وما «رشفاته»، وما سواها الكثير من المنظوم والمنثور، سوى ألوانٍ من علمياته

وصوفياته وأدبياته. وهل نعلقُ على أسفه الشديد حتى ماتَ من ركودٍ، ستة عشر علماً في صدره لم يسأله عنها سائل!. ولا يفوتُكَ أن صاحب الترجمة لم يكن مكتفياً في حياته العملية بمشاغله العلمية والصوفية، بحيث كان بمعزل عن مزاولةِ الانتفاع الاجتماعيّ، كزاهد قانعٍ، مهشّم الظواهر، ولكنه كان ثرياً مزارعاً، ومن كبار الاقتصاديين المستثمرين للقاع والبقاع، ولا ينبئك خبيرٌ بمثل استعماره الباطنة[١] الباقية إلى اليوم عقبَه. وعاشَ المترجَم بمدينة تريم، من كبار أئمة الإسلام وأشهر الشخصيات البارزة، وأتقى الناسكين، حتى توفي ليلة الأربعاء ٢٦ جمادى الآخرة عام (١١٦٢).

***

مؤلفاته: منها «الرشفات»[٢]، و«مفاتيح الأسرار» (منظومة)، وشرحها «رفع الأستار»، و«فتح الخلاق» و«منظومة في التوحيد»، و«شرحها»، و«عقد الميثاق في محاسن الأخلاق» (منظومة)، «ورسالة في طريقة السادة العلويين»[٣] إلى غير ذلك من المؤلفات والرسائل والوصايا النافعة.

***

شعره: تعطيكَ كثرةُ منظومه ومنثوره، فكرةً عن تكافؤ مقدرته في الحلَبتين. يقول في مطولة يمدحُ بها شيخه العلامة السيد عبد الله بن علوي الحداد:

مَـنْ شـاعَ فـي كلِّ البـلادِ ثنـاؤُهُ   وبـدَتْ عجائـبُ وصفِـه للناظـرِ

---

(١) قرية معروفة بحضرموت قريبة من بلدة القطن تستكنفها أطيان زراعية، اهـ. مؤلف (شعراء).

(٢) هي عبارة عن فصول منظومة، متنوعة المتجهات في النواحي الصوفية، كوصية مطولة طلبها منه علماء مكة المشرفة. وقد شرحها العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في مجلدين أسماه «اللوامع الأنوار»، وشرحها أيضاً العلامة الشيخ حسن بن عوض بن مخدم، صاحب بور، في مجلدين أيضاً. وقد طبعت «الرشفات» بمصر عام ١٣٢٣ (شعراء). **تصحيح:** طبعت سنة ١٣٢٨هـ.

(٣) تجد ملخّصها في مقدمة «عقد اليواقيت» (شعراء).

قُـرْم القُـرومِ خليفـةُ القَـرْمِ الـذي ... منـه العلـومُ تفجّـرتْ كزَواخـرِ
ذاك ابـنُ علـويٍّ علـتْ هاماتُـه ... فـوق الثريّـا والسّـها وزواهـرِ
حـدادُ عبـدُ اللـه قيـدومُ السُّـرَى ... نحو المهيمِـن ذي الجلال القادرِ
غـوثُ الأنـام وغيثُهـم ومغيثُهـم ... كهـفُ اليتيم مـع العَديـمِ القاصرِ
ملِكُ القلوبِ لـه الملوكُ جميعُها ... خـدمٌ علـى أبوابِـه ومعَابـرِ
شمسُ الهدى بحْر النّدى نائي المدَى ... سـمُّ العِـدَا يسـطو بأبيـضَ باتـرِ
خضعـتْ جميـعُ الأوليـا لمقامِـه ... فهـو الرئيسُ لـدى العَليـمِ الغافرِ
ورِثَ الفتـوّةَ والمـروءةَ والسّـخا ... عـن كابـرٍ عـن كَابـرٍ عـن كابـرِ
هـو نائـبٌ عـن جـدّه بـدْرِ الدُّجـا ... سـرِّ الوجـود حبيـبِ ربٍّ قاهـرِ

***

وله في حادثة:

نرى الحقَّ بالمعروف ديناً ومذْهَبا ... وننصـرُه بالقـولِ والفعـلِ واليـدِ
ونسـمعُ أقوالَ النصيحـةِ والهدَى ... ونقبَـلُ وجهَ الحقِّ من كلِّ مُرشـدِ
ونصـدَعُ بالإنـكارِ فـي كُلِّ منكَـرٍ ... ونتبـعُ شـرعَ الهاشـميِّ محمّـدِ

***

من رشفاته الصوفية:

يَالَيْلَـةً مِنهُـمْ عَلَـى الْكَثِيـبِ ... طَـابَـتْ بِـلا وَاشٍ وَلا رَقِيْـبِ
نَالُوا المُنَـى فِي حَضْـرَةِ الحَبِيبِ ... مِـنْ نَظْـرَةِ التَّقْرِيـبِ وَالإِيصَـالِ

***

وَدِيْـرَ مِـنْ خَمْـرِ الهـدَى كُـؤوسُ ... تُشـفَى بِهَـا مِـنَ الـرَّدَى النُّفُـوسُ

وَينْجَلِي عَنْهَا الصَّدَى وَالبُوسُ   مِزاجُهَا مِنْ سَلْسَبِيلٍ حَالِ

* * *

شِفاً لِكُلِّ عِلَّةٍ وَإِثْمِ   مِنْ كَرَمِ الكَرِيمِ لاَ مِنْ كَرْمِ
بَلْ مِنْ هُدًى وَحِكْمَةٍ وَعِلْمِ   تُزِيلُ كُلَّ الشَّكِّ وَالإشْكَالِ

* * *

بِهَا حَيَاةُ الرُّوحِ والجَنَانِ   بِهَا تُذاقُ صَفوةُ الإِيْمَانِ
فَيُعرَفُ المنْقُولُ كَالعِيَانِ   وَيُشْهَدُ التَّفْصِيلُ فِي الإِجْمَالِ

* * *

تَفْتَحُ عَيْنَ القَلْبِ بِالْيَقِينِ   وَتَشْرَحُ الصَّدْرَ بِمَعْنَى الدِّيْنِ
فَيَسْتَقِرُّ العَبْدُ فِي التَّمْكِيْنِ   وَلاَ يَزَالُ الجِدُّ فِي إقْبَالِ

* * *

يَخْلُصُ مِنْهَا الجَوْهَرُ الإِنْسَانِي   مِنْ ظُلُمَاتِ الطَّبْعِ وَالأَكْوَانِ
وشَرِّ كَيْدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ   وَظُلْمَةِ الأَوْهَامِ وَالْخَيَالِ

* * *

يَخرُجُ مِنْ كُلِّ عَنَا وبُوْنِ   وَغَيْمِ كُلِّ حَادِثٍ وَدُونِ
إلى عُلُومِ عَالِمٍ مَصُونِ   عَنْ خُلْفِ تَحْقِيقٍ أَوِ اخْتِلالِ

* * *

يَذُوقُ فِيهَا لَذَّةَ الْفُتُوَّةْ   مِنْ ثُمْرِ غَرْسِ الْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةْ
يَصِيرُ مِرْآةَ هُدًى مَجْلُوَّةْ   بِهَا يَرَى مَا جَلَّ عَنْ مَقَالِ

* * *

فَبامْتِزَاجِ سِرِّهَا فِي القَلْبِ ... وَرَقْمِ مَعْنَاهَا بِعَيْنِ اللُّبِّ
يَكْرَعُ مِنْ شُرْبِ حُمَيّا القُرْبِ ... وَيَرْتَوِي مِنْ مَنْهَلِ الكَمَالِ

* * *

إنْ ظَهَرَتْ بِحَقِّهَا آيَاتُهْ ... انْصَبَغَتْ بِمُقْتَضَاهَا ذَاتُهْ
وَاتَّصَفَتْ بِوِفْقِهَا صِفَاتُهْ ... فِي القَصْدِ والأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ

* * *

فَالعَبْدُ بِالقَلْبِ مَدَارُ أمْرِهْ ... فَحَيْثُ صَارَ سِرُّهَا في سِرِّهْ
سَارَ الهُدَى فِي حُلْوِهِ وَمُرِّهِ ... في الذَّاتِ والأَوْصَافِ والأفْعَالِ

* * *

وَالقَلْبُ إنْ لَمْ يَصْفُ بِالتَّهْذِيبِ ... وَيَرْتَوِي مِن مَائِهَا العذِيْبِ
خِيفَ عليْهِ القَلْبُ في التَّقْلِيبِ ... في قبضٍ اَوْ بَسْطٍ إلى إضْلاَلِ

* * *

وَمنْ يكُنْ بِكُلِّ عِلْمٍ عَالِمْ ... وَلَمْ يذُقْهَا فَهْوَ سَاهٍ نَائِمْ
فَخَفْ عَلَيْهِ مَا يَخَافُ الهَائِمْ ... عِنْدَ كِفَاحِ المَوْتِ والأَهْوَالِ

* * *

وَنَيْلُها مِنْ مَنْحِ فَيْضٍ وَهْبِي ... أو فَتْحِ فَضْلٍ بَعْد جِدٍّ كَسْبِي
لاَ مِنْ رِوايَاتِ الْوَرَى وَالكُتْبِ ... وَلاَ بِقِيلِ عِلْمِهَا أوْ قَالِ

* * *

طُوْبَى لِمَنْ طَابَ لَهَا اسْتِعْدَادُهْ ... وَانحَلَّ مِنْ رِقِّ السِّوى فُؤَادُهْ[1]

---

(١) في نسخة: قياده.

فَحَلَّ فِي عَيْنِ الحِجَا رَشَادُهْ فَذَاقَ مِنْهَا بَلَّةً بِبَالِ

***

فَبَلَّةٌ مِنْ كَأْسِهَا المَخْتُوْمِ تَمْلأُ رِيَاضِ القَلْبِ بِالْعُلُومِ
وَتَحْفَظُ الْفَهْمَ عَنِ الْوُهُوْمِ وَتُطْلِقُ العَقْلَ عَنِ العِقَالِ

***

ومن شعره إلى صَديقه العلامة السيد جعفر بن مصطفى العيدروس، بالهند، يشوّقُه إلى وطنه تريم:

بالهنا مرّتْ وما فيها شَقا ما بها إلا الرِّضَا كلُّ السُّعودْ
وتريمُ الخير من خيرِ القُرَى بلدةُ الأخيارِ في مجدٍ وجُودْ
فمتَى يشرقُ مثواكمْ بها وبمغنَاكم نرَى قصْدَ الوفودْ
وبكم يعمَرُ ربعٌ قد عفَا ويفيضُ الجودُ في كلّ الوجودْ
فيكُمُ الآمالُ أن يحيى بكم مقصِدُ الآباء فيهَا والجدودْ
ولنا في الله آمالٌ لكُمْ تُنجِزُ الوعْدَ وينحلُّ الصدودْ
سيدي بالله عجّلْ فلقَد طابَ في عيْنِ الحمى صَافي الورودْ
طالَتِ الأيامُ في بعْدٍ وفي كل قاسٍ من مقاسَاةِ الهنودْ
ومضَى العيشُ وأنتم بينَهمْ بين واشٍ ورقيبٍ وحَسُودْ
ولعل الله أبدَى ما بدَا لِيُتِمّ الله إنجازَ الوعُودْ
فاركبوا همةَ جدٍّ قد سمَتْ قصدُها يبلغكم أقصى الحدودْ
واطلعوا فيها بعَزمٍ حَازمٍ ينطلقْ كل عقَالٍ والقيودْ

***

ومن شعره إلى تلميذه العلامة السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس، وقد طالت غربته عن وطنه:

سلامٌ عليكم يا أهيلَ المودةِ ... وأهل الوفَا والحقِّ في كل سيرةِ
سلامٌ عليكُم كيف أنتمْ وهل لكمْ ... مقامٌ على تلك العهُود القَديمةِ
سلامٌ عليكم هل نسيتُمْ ربوعَنا ... وأيامَنا في درسِ علمٍ وحكْمةِ
ألا هلْ يعودُ الوصْلُ والبين ينجَلي ... ويجمعُ جمع الشّمل في خَير هيئةِ
فحثّوا مطايا العزْم في كل وجهةٍ ... وشدُّوا رحَالَ الجدِّ في كل رحلةِ
وجدّوا بسيفِ الحزْم كل معوِّقٍ ... عن القصْدِ في تسويفِ نفسٍ وفترةِ

* * *

ويقول في قصيدته المطولة المسماة بـ«الصفة الصفية بصفات الصوفية»:

وللقوم نُورٌ في كريم وجُوههِم ... يراهُ بنور الله أهلُ الفراسةِ
فإنْ لم تكن منهم ففي حبّهم بهم ... تشبّهْ ووُدَّ القومَ كل المودةِ
وإنا لنرجُو كلَّ خيرٍ بحبّهم ... وإدْخَالنا فيهم بتلك المحبةِ

* * *

وفي «عقد الميثاق في محاسن الأخلاق» يقول:

فياضيعةَ الأعمار تمضي سبهللاً ... ودرّتها تعلو على ألف دُرةِ
فمن أشغلَ الأيام بالخير أثمرَتْ ... بخير وإلا أشغلته بحَسرةِ
ومن كان في أُولاه بالشر زارعاً ... سيحصُد في عقباه شرّ العقوبةِ

* * *

وله مطولة سياسية يقول فيها:

وما هي إلا خصْلتان عليهما ... نظامُ جميع الأمر في سائر الأمرِ
فأولاهما تنفيذُ أمر شَريعةٍ ... على كل أهل الأرْضِ بالعَدلِ والقهرِ
وثانيهما تقريرُ مصْرفِ جُندِها ... على قدْر ما في الأرض من حاصلٍ يجري
وتتميمُ ذين الخصْلتين بخصْلةٍ ... سياسةُ أمر النّاسِ باللطفِ والسترِ
فيا عجباً من كون كلِّ قبيلة ... تشدِّد حكْمَ الجاهليةِ والكفرِ

* * *

ومن مطولة يرثي بها العلامة السيد علوي بن عبد الله بن أبي بكر بلفقيه:

أليس دنيانا هي الدانيةْ ... وأعراضها كلها فانيةْ
وما كان في مَا بها مطمعٌ ... وأسبابها كلّها واهيةْ
وأثوابها فوقَها خضرةٌ ... تغَرُّ بها الأنفسُ اللاهيةْ

* * *

الترجمةُ الرّابعة
بقلم السيد العلامة أحمد بن زين بلفقيه
المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٤١٥هـ[١]

«اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

في التاريخ رجالٌ حبَتهمُ الأقدار مواهبَ سامية، وصفاتٍ نادرة، فسجلوا من جليل أعمالهم، ومن زاخر علومهم ما شُهِدَ لهم بالعبقرية والتفوق، وجعلهم في عداد الأفذاذِ الذين قلَّ أن يجود الزمانُ بأمثالهم، والذين لا يشعُّ سناءُ مواهبهم الخارقة إلا في فتراتٍ متباعدة من الزمان، يختلف مداها بين القرن والقرنين، والأكثر أحياناً.

إن مثل أولئك النوادر الموهوبين، يعتبرون نعمةً يسوقها الله للإنسانية، تجودُ بخيرها الوفير، ونفعها الدائم، كما يجود الغيث على البقاع الجرداء، فلا تلبث أن تحيا وتنعش، ويجنى منها الثمرات الطيبة المباركة، التي تقيم حياتهم، وتصلح بها أحوالهم.

والعلمُ والحكمة هما ينبوعُ البركة والخير، إذ هما الفيضُ الذي يمحو كل ما ينبته الشر والباطل، تلك الصفتان اللتان تترعرع حشائشُهما الضارة على مغذّياتِ الجهل وفسَاد الأنفس والقلوب.

كما أن ينابيع العلم والحكمة أيضاً، فيضٌ يزكو على بركاته ـ بعد عملية التطهير ـ نَبْتُ الخير والحق وزكاء العقول: الصفات التي ترتكزُ عليها الحياة التي بالإنسانية، ويرضاها لها بارئها جل شأنه.

---

(١) هذه الترجمة مأخوذة من مقدمته لإحدى طبعات الرشفات.

وإذا كان أنبياء الله ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم المصدرُ الأول لذلك الفيض، والينبوع الأصيل للهَدْي الخيِّر، والإرشاد النيِّر فإن العلماء الحكماء هم ورثتهم، وحاملو لوائهم، لا شك في ذلك ولا ارتياب، بهذا تحدث القرآن الكريم، ونطقت السنة المطهرة؛ لهذا فإن موروثات العلماء الحكماء جديرةٌ بالعناية والتعهد، لكي تبقى على مرّ الدهور مُصَانة، محفوظةً ذخائرُها، ينتفع بها كل جيل، يرتشف من معينها العذب، ويقطف من ثمارها اليانعة، إذ إنه يُبقي بذلك على كيانه، ويحفظه من التدهور والفساد، بل ويستطيع أن يجدّد ما اندثر، ويعمّر ما خرب، ويشيد ويبني ما يضمن له التقدم والازدهار.

* * *

وبمناسبة نشر بعض النموذجات من ذَخائر الإمام العلامة، نادرة الزمان، المشهود له بالتفوق على الأقران، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه العلوي، في هذه النبذة التي بين يدي القارئ، نحب أن نكشف عن جانبٍ من حياة ذلك الإمام الهادي الحجّة، لعلنا نقدّم بذلك للقارئ صورةً يستطيع أن يأخذ بها فكرة، نرجو أن تكون أدنى الصواب عن شخصيته.

لا نغالي إذا قلنا: إن هذه الشخصية تعتبر من الأفذاذ الذين يندر أن يجود الزمان بمثلهم، فقد رُزقتْ هذه الشخصية امتداداً في كثير من المواهب: ذكاء نافذ، وبصيرة مشعة، وذاكرة خارقة، حُقِقَ له في صباه مالا يتحقق لغيره من الكثيرين في دور الرّجولية المكتملة.

فقد وعَى القرآن الكريم في صغره، وحفظه عن ظهر قلب، ثم قرأه من أوله إلى سورة الأعراف بالقراءات العشر جمعاً وإفراداً، على الشيخ عبد الرحمن بن أبي الغيث المدني، والشيخ إبراهيم بن محمد المصري. كما حفظ ووعى كتاب «الإرشاد»

لابن المقري في الفقه، و«الملحة» و«ألفية ابن مالك» في النحو، وأكثر «ألفية السيوطي في المعاني والبيان»، و«ألفية البرماوي في أصول الفقه»، و«ألفية الحديث» للعراقي، و«الشاطبية» في القراءات، و«الرائية في الرسم»، ومنظومات أخرى في المنطق والعروض، قرأ كل ذلك في أول عمره، وحققه على الشيخين المذكورين أعلاه.

ونتيجةً لذلك؛ فقد تصدر للتدريس والإفتاء وهو في ريعان الشباب، قبل أن يتم العشرين، ومن ثَم فلا تدعو للاستغراب والدهشة! ما يتحدث به عنه إمام عصره، الشيخ الكبير، المصنف الجامع بين علوم الشريعة والحقيقة، عبد الله بن علوي الحداد، بأنه (علامة الدنيا)، وقد تفوه الإمام الحداد بهذا الوصف العظيم كما يُروى عنه عندما قرأ «أجوبةً وفتاوى» كتبها الإمام المترجَم له، على أسئلةٍ أسند إليه الإمام الحداد نفسُه الردَّ عليها، وقتما قدمت إليه.

كما لا يستغرب أيضاً؛ ما رُوِيَ عن العلامة المحقق السيد سقاف بن محمد السقاف تلميذ المترجم له، من أنه يهتف بأعلى صوته، عندما يدخل مدينة تريم ويقول: أينَ الناس من عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه؟ هلا وقَفوا على بابه كما يوقف على بابِ الإمام مالك بالمدينة!. وما روي عن العلامة السيد حامد بن عمر باعلوي من قوله: لا نُفَضِّل ابنَ حجر على الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه.

* * *

مصدر معارفه:

إن العباقرةَ الموهوبين ليسُوا كغيرهم من الأشخاص العاديين، فيما يعون من المعرفة، وما تستوعبه الأذهان من الفوائد الجليلة، وفي الدرس وأخذ العبرة من كل ما يحيط بهم في هذه الحياة، إنهم أفذاذٌ يتسع أفقهم لما لا يتسعُ له أفق الكثرة من الأفراد العاديين، وتنزاح دائرة أخيلتهم وأنظارهم إلى ما لا مطمعَ لنيله ممن ينزلُ عن رتبتهم

فطنةً وذكاءً وفهماً؛ ولذا فإن مصدر نبوغهم الأول هو ما وهبهم الله من العبقرية، وما خلقه فيهم من الاستعدادات والطاقاتِ التي تؤهلهم لجلائل الأعمال، ولاستيعاب المعارف.

غير أن المرء مهما بلغ من الاستعداد، لا بد له من توجيهٍ وإرشاد، ولا بدَّ له من أمثلة نيرةٍ يقتبسُ من نورها، ويأخُذ عنها، ويستلهمُ الخير من سلوكها، ويستمد مما وهبها الله من العلوم والحكمة. وهذه الأمثلة هي التي تنعكس عليه منها الأشعة التي تتميز بها شخصيته عن الشخصيات الأخرى التي تستقل بنفسها، وتعتمد على مواهبها الخاصة.

من هنا؛ فقد كان سيدنا المترجم له ممن اعتنوا كثيراً بالأخذ عن عدد من أعلام الرجال وجهابذتهم، الذين جمعوا بين العلم والعمل، وكانوا خير نموذج لسلوك الرجال الكُمّل، الحريصين على الاقتداء بسيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، وصحابته الأعلام.

* * *

وبهذه المناسبة نسردُ من تحدث عنهم الإمام المترجم له نفسُه، من أشياخه في حضرموت وفي غيرها، مع تعليقاته ـ رَضِيَ الله عنه ـ باختصار قال: «فقد فاضت علينا الأنوار، واستفاضت الأسرار، في الشريعة والطريقة، مع المعارف واللطائف في الحقيقة، بواسطة شيوخنا العارفين، العالمين العاملين، المتحققين بحقيقة الدين، وصفات المتقين، في كل علم ومعرفة ويقين؛ كشيخنا ووالدنا السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه، فإنني بحمد الله قد لزمت مجالسته، ولازمته في جميع خلواته وجلواته نحواً من عشر سنين، وأخذتُ عنه من جميع علوم الدين ومقدماتها ما لم أحصه بالعد ولا أحصره بالتعيين، وله مؤلفات كثيرة، ومجامع شهيرة شهدت له بالفضل المبين، واستخلفني في حياته للتدريس والفتوى ونشر علوم الدين... »، إلخ.

«وأما جدي لأمي الشيخ الإمام الحبر الهمام، محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن الحسين ابن الشيخ عبد الله العيدروس، فضله مشهور، وهو بكل علم وتحقيق وتدقيق مذكور، وإليه في حياته مرجع الخاصة والعامة في جميع الأمور، وعليه لظهوره جميع مطالب الأخيار في بلده تدور، وقد قرأت عليه كتباً كثيرة، واستفدت منه فوائد منيرة، وخصني بالرعاية والعناية...»، إلخ.

«وأما خالي[1]، فهو السيد المفضال الجامع في مجامع الفضل لجميع الخصال الذي أجمع الجميع عليه في كل حال، وأنه واحد العصر الذي تشد اليه الرحال ويحل كل إشكال، وقد قرأت عليه جملة كثيرة من الكتب الشهيرة في جميع العلوم، وانتفعت به نفعاً خاصاً وعاماً في كل العلوم...». ثم قال رَضِيَ الله عنه: «فهؤلاء الثلاثة هم أصل نجحي، ومفتاح فتحي، وفجر صبحي، نشأت في حجورهم وأنديتهم فحظيت بقربهم، وبلغت آمالي بهم في جميع المطالب...»، إلخ.

«وأخذت عن صنوي جمال الدين محمد بن عبد الله بن أحمد، وكان من خواص المتقين، وأهل العلم واليقين، والعلماء العارفين، وله رسائل مفيدة وأشعار فائقة فريدة. وأخذت كثيراً من علوم الدين مدة سنين عن سيدنا الإمام العارف العليم بالإرشاد في منهج الرشاد، السيد عبد الله بن علوي بن محمد الحداد، قرأت عليه قراءات كثيرة في كتب شهيرة واستفدت منه فوائد كثيرة، ولي منه عناية خاصة، ومحبة خالصة. وأما السيد أحمد بن عمر الهندوان، العالم الشهير الحقيق بتحقيق علوم الدين في جميع الشان، فقد قرأت عليه عدة كتب ولازمته، واستفدت منه وانتفعت به»، إلخ.

وذكر المترجم له رَضِيَ الله عنه أخذه عن هؤلاء وعن غيرهم ما هو معهود عن الصوفية من أخذ التلقين، والإجازة والإلباس.

---

(١) هو السيد عبد الرحمن بن محمد العيدروس.

ومن أهل الحرمين ذكر اتصاله وأخْذَه بالمراسلة عن الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي المدني، ومحمد البرزنجي، والشيخ حسن بن علي العجيمي المكي، والشيخ أحمد بن محمد النخلي، الشيخ عبد الله بن سالم البصري.

ومما هو جديرٌ بالذكر؛ أن الإمام المترجم له، ولم يفُته الاتصال برجال عصره المشهورين بالعلم والمعرفة والصلاح خارج القطر الحضرمي في اليمن والحجاز، عندما توجه إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين شأن الرجال النبهاء الحريصين على كسب المعرفة والخير. وكان مخطَّطُ رحلته ينبئُ عن اهتمام بالغ باغتنام الفرص، وتصيّد العلم وأخذه من مضانه، فقد جعل مرحلته الأولى إلى اليمن حيث كانت زبيد في ذلك العهد تزخر بالعلم والعلماء، فمكث بها ردحاً من الزمن اتصل خلالها بكبار علماء البلاد للأخذ والاستفادة والإفادة، كالسيد يحيى بن عمر الأهدل مقبول، والسيد أبي بكر بن علي، والشيخ الزين المزجاجي، والشيخ علاء الدين أخيه، والعلامة إبراهيم الناشري، وابن جمعان وغيرهم. أما في الحجاز نفسه فقد اجتمع برجال كثيرين، منهم الشيخ أحمد النخلي، والشيخ عبد الله البصري، والسيد العلامة الجليل إبراهيم بن حمزة الحسيني الدمشقي نقيب الأشراف بالشام، وغيرهم.

وبعد أن ذكر المترجم له عدداً كبيراً من مشايخه، قال: «أخذت عنهم في جميع العلوم من فقه الشافعي والحنفي، والمالكي، والحنبلي، والأصلين: أصول الدين، وأصول الفقه والتفسير، وعلوم الحديث بأنواعها التي تنيف على سبعين نوعاً، وغير ذلك من علوم الآلات، وطرق الصوفية».

***

إنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن سيدنا المترجم فقيه من الطِراز الأول، وشاعر من الطراز الأول، وعالم بالعربية من الطراز الأول، وفوق ذلك فهو شجاع في قول

الحق والمجاهرة به للسلطات القائمة إلى الحد الذي لاقى فيه أذى ومحنة إلى حد السجن.

استمِع إليه وهو يقول في قصيدة له منتقداً أوضاع بلاده السياسية واستبداد حكامها وجورهم:

فوا عجباً مِنْ كَونِ كل قبيلةٍ ... تؤيد حكمَ الجاهليةِ والكفرِ
ومن كون أرباب القنيصِ وزمرةِ الـ ... ـعبيد لهم حكم يمشي بلا عذرِ
وأحكامُ دين الله متروكةٌ بلا ... ملامٍ على من زاغَ عنها ولا نكرِ
وكل قويٍّ قامَ في حقِّ نفسه ... وصارتْ على المسكين في غاية العسرِ

***

وما هي إلا خصلتان عليهما ... نظام جميع الأمر في سائر القطرِ
فأولاهما تطبيقُ حكم شريعةٍ ... على كل من في القُطر بالطوع والقهرِ
وثانيهما تقديرُ مصروفِ جندها ... على قدر ما في الأرض من حاصل يجري
وتكميل ذينِ الخصلتين بخصلة ... سياسة أمر الناس باللطف واليسرِ

***

وبعد ذلك؛ فهو من أئمة المتقين، العارفين بالله السالكين على النهج القويم، ولك أن تحكم على علو شأنه في علوم الحقيقة، وذوقه الرفيع وتمكنه في علوم التصوف الإسلامي، وتبحره في دقائق هذه العلوم الروحية، لك أن تحكم على ذلك بعد أن تقرأ فصلاً من منظومته «رشفات أهل الكمال»، التي قُدِّمتْ بهذه الترجمة، إنك ستشهد حقًّا ما ينحني له الرأس إعجاباً، من ذوق رفيع، ونظم بديع، تهتزُّ له النفوس، ويضرب على أوتار القلوب.

***

موهبته الشعرية:

والشاعرية موهبة لا تكتسب، يتميز بها الشاعر الموهوب على الناظم المتعدي على الشعر، ثم إن الشاعرية التي هي من صفاتِ العبقرية والنبوغ؛ تكون خاضعةً للنوازع والغايات، والمبادئ التي يتحلى بها الشاعر، فهي بذلك تستخدم لبثّ الخير، ونشر المبادئ الرفيعة، والحث على التحلي بالمثل العليا، وكل ما يدنو به المرء من الكمال، ويسمو به إلى الدرجات الرفيعة، كما أنها قد تكون وسيلة للشر والفتنة، وكل ما يضر بالأفراد أو الجماعات.

وعلى هذه المقاييس نجدُ الكثير من الرجال الأخيار الذين وُهِبوا شاعريةً قدموا خدماتٍ كبيرة للبشرية من طريق الشعر. وتأثيرُ الشعر في النفوس يختلفُ عن تأثير النثر كما هو معلومٌ؛ ولهذا فقد فضّل بعض علماء الدين أن يعرضوا كثيراً من الإرشاد والنصائح، وألواناً من الحكمة والموعظة، في إطار شعري جذاب يملك السامعين، ويتغلغل في خبايا نفوسهم، ويهزّ مشاعرهم، وسيدنا المترجم له، له دربةٌ عظيمة في صَوغ المعلومات، وعرْض الحكم، والحثّ على الخير، في قالب شعري بديع.

وهاك نموذجاً من شعره في الحِكَم من «تائيته الكبرى»:

ومن نصَبِ شـقّ النصيـبِ وقدره	على قدره فانصَبْ تصِبْ كلَّ منيةِ
ومـا كلَّ من يهـوى المعَالي ينالُها	ولـم يرتكـبْ فـي نيلها كلَّ شـقةِ
فـلا بد قبلَ الوصلِ مـن ألمِ النَّوَى	ولا بد دون الشّـهْدِ من سـمٍّ لسْعةِ
إذا المرء لم يصبـرْ على مرة الدَّوا	سـيصبرُ مضطـراً على طـولِ علةِ
ومَـنْ يكُ ذا صبرٍ على شـرٍّ جرعةٍ	سيحمَدُ عقبى الصَّبرِ في كلِّ صحةِ
إلا إن أبـكارَ المعالـي مهورُهـا	النفـوسُ وفيها رخْـصُ كلِّ كريمةِ
ولا ترتضي في النـاس إلا بكُفْئِها	فتـى همـة يعلـو علـى كل رتبـةِ

لـه همـةٌ تسـمو إلـى كل ما سـما ... ولا يرتضـي بالعـود دون الغنيمـةِ
ومـا قصبـاتُ السـبق إلا لمن غدا ... بـكل اجتهـادٍ طالبـاً كلَّ رفعـةِ

نموذجٌ من شعره في التصوف وعلم الحقيقة:

يَـا لَيْلَـةً مِنْهُـمْ عَـلَى الْكَثِيـبِ ... طَابَـتْ بِـلا وَاشٍ وَلا رَقِيْـبِ
نَالُـوا المُنَى فِي حَضْـرَةِ الحَبِيبِ ... مِنْ نَظْـرَةِ التَّقْرِيـبِ وَالإِيصَالِ

***

وَدِيْـرَ مِنْ خَمْـرِ الهُـدَى كُؤوسُ ... تُشـفَى بِهَا مِنَ الـرَّدَى النُّفُوسُ
وَيَنْجَلِي عَنْهَا الصَّدَى وَالبُوسُ ... مِزاجُهَـا مِـنْ سَلْسَـبِيلِ حَـالِ

***

شِـفاً لِـكُـلِّ عِلَّـةٍ وَإِثْـمِ ... مِـنْ كَـرَمِ الكَرِيْـمِ لاَ مِـنْ كَرْمِ
بَلْ مِـنْ هُـدًى وَحِكْمَـةٍ وَعِلْمِ ... تُزِيـلُ كُلَّ الشَّـكِّ وَالإِشْـكَالِ

***

بِهَـا حَيَـاةُ الـرُّوحِ والجَنَـانِ ... بِهَـا تُـذاقُ صَفـوَةُ الإِيْـمَانِ
فَـيُعـرَفُ الـمنْقُـولُ كَالعِيَـانِ ... وَيُشْـهَدُ التَّفْصِيـلُ فِي الإِجْمَـالِ

***

اقتصادياته:

إن مما يلفتُ النظرَ، ويدعو إلى الإعجابِ حقًّا، من صفات المترجم له رَضِيَ الله عنه، أنه أبرزَ من الأعمال الاقتصادية ما يؤكّد أنه مفكرٌ اقتصادي بارع.

فهو بالرغم من اشتغاله بالعلم والتعليم والعبادة، إلى الحد الذي استغرق جل

أوقاته، فقد استطاع أن يشق سبيله ليكسب لنفسِه ثروةً، تكون له عوناً على دينه، وسبباً موصِلاً إلى ما يطمح إليه عظماء الرجال من أعمال صالحة، ومقاصد حسنة.

فقد عُرِفَ أنه ملكَ مساحاتٍ واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، والمعمورة بالنخيل، والكثير من بقايا هذه الأراضي لا يزال يستغل إلى اليوم من قبل من ورثها من ذريته. ومن جملة هذه الأراضي: منطقةٌ تقع في الجهة الغربية لوادي حضرموت الرئيسي، تدعى (الباطنة)، وبها مأوى للضيوف، لا يزال يقصده إلى اليوم بعضُ المسافرين الذين يضطرون إلى الراحة في طريقهم إلى مقصدهم، كما توجد بها مساحاتٌ معمورة بالزراعة، الكثير منها مما ملكه المترجم له سابقاً، وهو الآن لمن ورثه من ذريته.

والمرويُّ أنه بنى سبعة عشر مسجداً متفرقةً في بعض مدن حضرموت وقراها، ولا يزالُ بعض هذه المساجد قائماً إلى الآن، كما توجدُ من بقايا أملاكه أراضٍ عامرةٌ بالنخيل في المناطق القريبة من مدينة (تريم)، وفي تريم نفسها تستغل حتى الآن، وبعضها وقفه على بعض المساجد التي بناها.

والمسموعُ عنه أن يوزع غلات زراعاته كالآتي: ثلثٌ لصرفياته الخاصة، وثلثٌ في الزراعة نفسها، وثلثٌ للضيوف في محلاتٍ مختلفة.

ومثل هذه الطاقات التي يبرز بها بعض الأشخاص في مجالات متعددة من نواحي الحياة، قل أن تتوفر في شخصية واحدة، إلا إذا رزقت امتدادات في مختلف المواهب الفطرية تؤهلها لذلك.

أسلوبه في التأليف:

يمتاز المترجم له رَضِيَ الله عنه في أساليبه التأليفية بالتركيز، وسوق المعاني

الكبيرة في ألفاظ وجيزة، فنرى بعض كتبه غاية في الإيجاز، ولكنها مليئةٌ جدًّا بالمعاني، بحيث تتسع هذه المعاني لشرحٍ تضيقُ به الصفحاتُ الطوال.

فكتابه «دوائر الإسلام» مثلاً، يحتوي على وريقاتٍ قليلة تعدّ بالأصابع، ولكن فيها من التركيز ما يجعل بعض العلماء المشهورين في العصور التي تلت عصر الإمام المترجم له يقول: «ما ألف مثلها في الإسلامِ فيما اطلعتُ عليه من الكتُب، على إيجازها». وكتابه «رشفات أهل الكمال»، نظماً، الذي بين يدي القارئ، حاول بعضُ العلماء شرحَه، فاعترف بعجزه، مع أنه من العلماء المبرزين، وقد كتب مجلدين كشرح موجزٍ لهذه الأبيات، وهذا العالم هو الشيخ عبد الله باسودان من علماء حضرموت المشهورين. وصرح بعضُ العلماء الأعلام باعتقاده بأنه لا يستطيع أن يشرح هذه المنظومة بما تستحقّ إلا رجلٌ كابن عربي، في تطلعه في علوم القوم!.

ومؤلفه «قاطع الجدال في مسألة الهلال»، يعتبر من أحسن ما كتب في هذه الأصقاعِ، في موضوعه، على اختصاره. وحتى في بعض الفتاويات التي يكتبها يلحظُ القارئ متانة اللفْظِ، والإيجازَ في صوغ المعاني، وفي الوقت نفسِه، فإن كتاباته يشفى بها الغليل، ويبرد بها ظمأ العطشان، هذا هو اللون السائد في كتاباته رَضِيَ الله عنه، وقد يفيضُ أحياناً في بعضِ ما يكتب إذا اقتضى الأمر.

والمعروفُ أن مؤلفاتِه رَضِيَ الله عنه كثيرةٌ جدًّا، ولكن عدداً منها فُقِدَ، أو لم يبق منه إلا ورقاتُ، شأنَ كثير من المؤلفات التي لم تطبع، فالتهمتها أيدي الضياع أو التلف.

***

والذي نعرفه مما بقي من مؤلفاته نحواً من عشرين مؤلفاً، نذكر منها ما يأتي:

١ - الدرر البهية في المسلسلات النبوية.

٢ - ديوان شعر.

٣- رفع الأستار عن مفاتيح الأسرار.

٤- رشفات أهل الكمال، ونسمات أهل الوصال (نظم).

٥- شرح دوائر الدين.

٦- شرح العقيدة.

٧- عمدة المحقق في الأصلين.

٨- العقدة في مسائل العهدة.

٩- غنية أهل المدارس.

١٠- غاية المرام فيما يتعلق بأنكحة الأنام.

١١- فتح الخلاق شرح القصيدة المسماة عقد الميثاق والقصيدة من نظمه.

١٢- قاطع الجدال في مسألة الهلال.

١٣- الطوالع واللوامع في رجال جمع الجوامع.

١٤- غاية الإتقان في فضل القرآن.

١٥- مجموع جوابات على أسئلة وردت عليه لا تقل عن خمسمئة صفحة.

* * *

ويروى أنه ألف كتاباً يحوي ١٧ علماً، وعمره إذ ذاك دون العشرين!

وهذا بلا ريبٍ مما يندر وقوعه إلا في حالاتٍ شاذّة، نجدها عند المبرِّزين الذين خرَجتْ عبقريتهم ونبوغهم على المقاييس العادية المألوفة لنبهاء الرجال.

* * *

هذه صورةٌ مصغرة نعرضُها للقارئ عن حياة المؤلف ليأخذَ بها فكرةً عامة عن نماذج الرجال الذين آثروا أن يعيشوا خاملين، للذين لا يهمهم بحالٍ من الأحوال، بعد أن يوثقوا صلتهم بخالقِهم، أن يعرف عنهم أحدٌ في هذه الدنيا.

فهم خير صورةٍ للعالم المخلص، يصدق عليهم قول الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، نفعنا الله بعلومهم وأسرارهم إنه سميع مجيب.

❊ ❊ ❊

الترجمةُ الخامسة

«وقفةٌ بين يدي علامة الدُّنيا»

بقلم السيد العلامة عبد القادر الخرد[1]

لا أدري كيف أدخلُ على هذا الإمام..

وبأيِّ وجهِ ألقاهُ..

ومِنْ أيِّ الطُّرقِ أَصِلُ إليهِ..

هذهِ حضرتهُ.. هذه تائيتهُ.. وهذه لاميتهُ..

جِبالٌ مِنْ عِلْمٍ وحَقائقُ وعقلٌ ومعرفةٌ..

كيف نتسلّقها..

بل كيف نتظللُ بِسَوْحِها..

بل كيف نَصِلُ إلى سفوحِها..

عونك اللهمّ عونك..

فإنّ الفِكرَ الذي أعتَمِدُ عليه في مثل هذه المواقف قد تلاشى وتحطّم..

ثباتك اللهم ثباتك..

فإنّ اللسان الذي يُسعفني في مثل هذه المواضع قد أصابه العيُّ وتلعثم..

مَدَدَكَ اللهمّ مَدَدَكْ..

---

(١) هذه الترجمة مأخوذة من تقديمه لكتابي المؤلف «فتح الخلاق»، و«رفع الأستار»، الطبعة الأولى الصادرة عن المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

فإنَّ القلمَ الّذي أستَنِدُ عليه في تسجيل مثل هذه الأمور قد تكسّر وتهشّم..

إنها وقفةٌ مهيبةٌ.. يتصاغر أمامها الأكابر.. ومقام عظيم لا ينكره إلا جهولٌ أو مكابرٌ، نَعَمْ: إنّ الفرائصَ ترتَعِدُ.. والوجهَ يحمرُّ وَجَلاً وخَوْفاً.. ونبضاتُ القلبِ تُسرِع.. بأي وجهٍ ألقَى هذا الإمام.. وكيف أدخلُ عليهِ.

***

إنّ الإنسان حينما يقِفُ أمام شخص مسؤول يجدُ نفسه مُلزماً بالأدب اللائق بهذا المسؤول، يلبسُ اللباس اللائق به، ويحفظُ أعضاءه الظاهرة ولسانَه، فلا تصدر عنه حركةٌ أو إشارةٌ لا يرضاها المسؤول. ولا يتفوّه بكلمةٍ لا تليقُ بمجلسِ ذلك المسؤول.. يحاولُ بقدرِ استطاعته أنْ لا تقع عينُ المسؤول منه على شيءٍ لا يُعجبهُ، ولا تَسمع أُذنُ المسؤول منه شيئاً لا يرضيه.

فكيف بِنَا ونحنُ نريدُ الوقوفَ أمام شخصٍ يسمَعُ بالله فلا يحجب سمعه شيء، إنّه يسمع خواطرنا وما نحدِّث به أنفسنا!. ويبصر بالله فلا يرد بصره حجاب، فبواطننا مكشوفةٌ أمامَه إنْ كانت نظيفة أو غير نظيفة. ويبطش بالله، إذا أسأتَ الأدب في مجلسه فلم تحفظ خواطرك مما لا يليقُ بمجلسه، كسوء الظن أو الاعتراضِ، فضلاً عن القاذورات الأخرى. فكيف نستطيع الوقوف بين يديه.. عراةً من اللباس اللائق، عاجزين عن القيام بأدب مجلسِه، فحركتنا لا ترضيه، وخواطرنا تقلقه وتؤذيه.

فخيرٌ لنا أنْ نتأمل ملامحه مِنْ بعيد عسى أنْ يكسبنا هذا التأمّل قوّةَ التحمّل، وخير لنا أنْ نتعرّف على هذا الإمام مِن خلال صفاته وأعماله عسى أنْ نقتبس مِنْ نوره ما يؤهِّلنا للدخول عليه، وللوقوف بين يديه.

***

أما نسبه فهو الإمام العلامة والحَبر الفهامة عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد ابن عبد الرحمن الأسقع بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط ابن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي ابن عبيدِ الله ابن المهاجر إلى الله أحمد ابن عيسى النقيب بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وابن البتول فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

* **ولد بتريم** وحفظ القرآن العظيم وكان وجوده عام (١٠٨٩هـ) تسعة وثمانين وألف هجرية، وقرأ على بعض مشايخه من أول القرآن إلى الأعراف بالقراءات العشر جمعاً وإفراداً.

* **لازم والده وأخذ عنه** إلى أنْ توفي عام (١١١٠هـ) وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ثم لازم جده لأمه الإمام محمد بن عبد الرحمن العيدروس حتى توفي عام (١١١٢هـ)، ثم لازم خاله السيد عبد الرحمن بن محمد العيدروس حتى توفي عام (١١١٣هـ)، ثم لازم الإمام أحمد بن عمر الهندوان حتى توفي عام (١١٢٠هـ)، ثم لازم الإمام الحداد حتى توفي عام (١١٣٢هـ).

* **أخذ عن كثير من الشيوخ العارفين** في الحرمين وفي اليمن ومن أهل الشام وغيرهم وله أسانيد عالية الاتصال بالحافظين وأهل الحديث وأخذ عن الشيوخ بأنواع الأخذ عرضاً وتحديثاً وسماعاً وإسماعاً وإجازة ووجادة ورواية.

* **أجازه مشايخه في التدريس في جميع العلوم** التي نبغ فيها وحقّقها في فقه الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي والأصلين أصول الدين وأصول الفقه والتفسير

وعلوم الحديث، التي تنيفُ على سبعين نوعاً وغير ذلك من علوم الآلات، وطرق الصوفية التي تزيد عن عشرين طريقة.

*** من محفوظاته:** «الإرشاد» لابن المقري في الفقه، و«الملحة»، و«ألفية ابن مالك»، وأكثر «ألفية السيوطي» في المعاني والبيان، و«ألفية البرماوي» في أصول الفقه، و«ألفية الحديث للعراقي»، و«الشاطبية» في القراءات، و«الرائية» في الرسم، ومنظومات أخرى في المنطق والعروض وغير ذلك.

*** جلس للتدريس في حياة والده سنة (١١٠٩هـ)**، واستمر فيه وفي نفع الناس ينشرُ العلم تدريساً وتأليفاً وتذكيراً نظماً ونثراً طوال مدة حياته.

*** من مؤلفاته:** «ديوان شعر»، «رفع الأستار»، و«فتح الخلاق»: وهما هذان. «رشفات أهل الكمال»، «شرح دوائر الدين»، «شرح العقيدة»، «العقدة في مسائل العهدة»، «قاطع الجدال في مسألة الهلال»، «غاية الإتقان في فضل القرآن»، «خاتمة الجواب والبيان في أن المحسودين في الخير في زيادة لا نقصان»، «منظومة عمدة المحقق»، «يُمنة المدارس وزينة المدارس»، «كشف الحق عن الحقيقة وتمييز التلبيس عن رسوم الطريقة».

*** كان يُحْسِنُ تدبيرَ أموره المعيشية ويُشرِفُ بنفسه على تنظيمها وقد جمع ثروة** ومَلَكَ أرضاً زراعية كبيرة وكان يوزّع دخله السنوي أثلاثاً: ثلثاً لمصاريفه الخاصة في البيت، وثلثاً في الزراعة، وثلثاً لإكرام الضيف ومكارم الأخلاق.

*** بلغ عدد المساجد التي بناها (١٧)** مسجداً أو أكثر.

*** مما يروى عنه قوله:** إنني سأموتُ وعندي (١٧) عِلْماً لم أُسأل عنها.

*** ومما يروى عنه:** أنّ أحدَ العلماء المغاربة خرجَ إلى حضرموت وكان مُعجباً بنفسه لمعرفته علم الطلاسم فقابله هذا الإمام فلما عَرَفَ مِنْ خلال حديثه مع المغربي

أنّهُ مُعجَبٌ بمعرفته بعلم الطلاسم، أخذ الحبيب عبد الرحمن كَفّاً مِنَ التراب الذي تحت أقدام المغربي وشمّهُ ثم قال للمغربي: أنت من بلد كذا؟ قال: نعم، قال له: وشيخك فلان؟ قال: نعم، قال: إنه توفي اليوم وقد فرغوا مِنْ دفنه الآن، فقال: كيف عرفتَ ذلك بعلم أم بكشف؟ فقال: بعلم، فاستصغر المغربي نفسه عند ذلك وتتلمذ على هذا الإمام وأخذ عنه.

* وخرج مرة إلى حضرموت علماء معارضين لعلماء حضرموت يريدون مناظرتهم في علم التوحيد ونصبوا خيامهم تحت مدينة تريم استعداداً لدخولها في الصباح، فخرج إليهم هذا الإمام مُتنكِّراً في زيِّ حرّاث مزارع، ودخل عليهم كالمستفهم منهم عمّا جاء بهم؟ فقالوا له: نريد أنْ نُقابل سادتك ونجادلهم، فقال لهم: ماذا ستقولون لهم؟ فقالوا: سنسألهم عن أشياء لا تعرفها أنت. فقال لهم: إنني أحضرُ دائماً مدارسهم فلعلّي أعرِفُ شيئاً أجيبكم به، فبدؤوا يسألونه عن أشياء في مبادئ العلوم وهو يقول لهم: إذا سألتم سادتي عن هذا فسيجيبونكم بقولهم كذا وكذا، وهكذا حتى أتوا على أسئلتهم جميعها وهو يردُّ عليهم بهذا الأسلوب، فلما فرغوا من أسئلتهم قال لهم: ولكن سادتي أيضاً إذا سألتموهم وأجابوا فسيسألونكم هم، فهل تستطيعون الرد عليهم؟ قالوا له: ماذا سيقولون؟ فبدأ يسألهم على لسان سادته أهل تريم فلم يستطيعوا الرد، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إذا كان هذا خادم القوم فكيف بعلمائهم، وعادوا مِنْ حيث أتوا ولم يدخلوا تريم ببركة هذا الإمام وعلمه.

وكثير من الوقائع التي تُروى عن هذا الإمام والتي تدل على غزارة علمه واتّساع معارفه، ذكر بعضاً منها في «النفس اليماني» وغيره.

* **بعضُ اجتهاده في الطلب ومجاهدته في الكسب:** مَنَّ الله عليه بالفتح العظيم وفوق ما في باله فقد تحدّثَ بنعمة ربّه عليه فقال: فلمّا عَلِمَ اللهُ صدْقَ جهادي وصحة

اعتمادي عليه واستنادي إليه مَنَّ الله عليَّ بالفتح العظيم لكل مطلوب وأعطاني فوق ما يخطر ببالي من كل موهوب وخصّني بعطايا لا تُحَد، ونِعَمٌ لا تُحصى ولا تُعد، بكل حالٍ حالٍ، ومنال عالٍ، فحكيته بالإجمال وسكتُّ عن التفصيل؛ لأنّي لو فعلتُ لكُذِّبتُ ورُميتُ بكل تجهيل، وقد صحّ: «**لا تُحدِّثوا الناس بما لا يعلمون أتحبون أنْ يكذب الله ورسوله**»، فتركتُ التفصيل رحمة منّي بهم عن التضليل، وهذه سنّة الله فيمَنْ سبق ولن تجد لسنّةِ الله تبديلاً.

* **توفي بتريم عام (١١٧٣هـ) ثلاث وسبعين وألف ومئة من الهجرة**[1].

* **وهكذا تكتملُ الصورة**.. وتتّضِحُ معالمها.. إنها صورة مصغّرة من جدّه الأكبر.. الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه عِلْماً وشجاعةً وزُهداً وقناعة، وعَمَلاً وعِبادةً، وذكاءً وفراسةً، ورسوخاً وثباتاً، وصبراً ومجاهدةً، وحِنكةً وخبرةً، وتواضعاً وقوّةً، وإيماناً ومعرفةً، وبياناً وحكمةً.. ومَنْ يُشابِهُ أبَهُ فما ظَلَمْ.

إنه فرْعٌ مِنْ تلك الدّوحة الهاشمية، وغصنٌ مِنَ الشجرة النبوية.. لا يشك مَنْ رآهُ في ذلك.. وإنه فرعٌ تسلسلَ مِنْ أولئك.

أفعالُـهُ نَسَـبٌ لَـوْ لـمِ يَقُـلْ مَعَهَـا ... جَدِّي الرَّسُولُ عَرَفْنَا العِرْقَ بِالغُصنِ

فهل لنا أنْ نقتبِسَ جذوةً مِنْ صفاته ونَصْطلي بها لتؤهّلنا للدخول عليه وللوقوف بين يديه.. لنتشرّفَ برؤيةِ تلك الطلعة النيّرة.. ونُقبِّلُ تلك اليد الشريفة قائلين له في أدبٍ تام: السلام عليك يا علّامة الدنيا ورحمة الله وبركاته، السلام عليك ممن يَدَّعِي حبَّك.

ابنك/ عبد القادر (جيلاني) بن سالم الخرد

---

(١) هذا التاريخ غير صحيح، ولعله سبق قلم من الكاتب، والصواب: (١١٦٢هـ)، اثنين وستين ومئة وألف. وقد تم تعديله من قبل بعض المعتنين في طبعات أخرى.

قصيدة في مدح صاحب الترجمة
وذكر أرض (الباطنة)

ويلي محل [illegible] حسب عادته بالمال وبالذراعة لعلك وكان نفع الله به
لا يتقيد بلباس معروف ولا اكل ولا غيره لك من العوائد بل يلبس
ما وجد ويأكل ما قدم له رافضا للرياسة ورياستها و[illegible]
ولا يقدم الاغنيا على الفقراء عاملا بسنة جده صلى الله عليه وسلم
في جميع ذلك وكان له مع الوالد رحمه الله صحبة اكيدة دينية
لا يخالطها شيء من الاغراض الدنياويه معدودة عند الوالد
العارف محمد بن عبد الرحمن الجفري رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم في الدارين
ترجم لنا ذكر شي من احواله وهو قليل من كثير وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وقال عفا الله عنه هذه الابيات
التمسها بعض المنتسبين الى سيدنا الامام المحسن عبد الرحمن بن عبد الله بافقيه
با علوي لما جا ذكر المحل الذي بالكسر المسمى بالباطنة فانه رضي الله عنه
احياه وحوطه وصار مانرا [illegible] هذه الابيات [illegible] المذاكره
وهي هذه

بباطنة الكسر العجائب تظهر ... ومنها شعاع النور يزهو ويزهر
بها ركة فيها المعاش لعابد ... واخر انزاد للمعاد وندخر
بها اشرقت انوار [illegible] وحكمه ... مطالعها للناظرين تنور
نحف حوالها واسلكوا طرقاتها ... تنوروا بها يوم المعاد وبطهر
ومروا لعيونا بالوا [illegible] وتزهوا ... نفوسا وعشوا بالصفا الاكدر
هنيا لها للقاطنين بسكنه ... بها مرها زال الضلال المنكر
ويبدل نعب الخوف بالامن والهنا ... الا فاحمد والمنا [illegible] افضل وشكروا

هذه الأبيات التمسَها بعضُ المحبِّين لسيدنا الإمــام الحبيــب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي، لما جاء ذكر المحلّ الذي بالكسر، المسمى بالباطنة، فإنه رَضِيَ الله عنه أحياه وحوطه، وصار مأثراً. فجرت هذه الأبيات عند المذاكرة[1]:

بباطنـة الكســر الأعاجيبُ تظهَرُ	ومنهـا شـعاعُ النُّـورِ يزهُـو ويُزهِرُ
فواكِـهُ فيهـا للمعـاشِ إعانـةً	وأخـرَى تُـزَادُ للمعـادِ وتُدخـرُ
بهـا أشـرقَت أنوارُ هـدْيٍ وحكمةٍ	مطـالعُهـا للنـازليـن تـؤبَّـرُ
فجِـدّوا إليهـا واسـلكُوا طرقاتهـا	تفـوزُوا بها يـوم المعَـادِ وتظفروا
هنيئاً لهـا للقاطنيـن سـكينةً	بعامرِهـا زالَ الضـلال المنكّـرُ
وبُـدل بعد الخوفِ بالأمـن والهنَا	ألا فاحمـدوا المنانَ بالفضْل واشـكروا
وطيبوا وطيعُـوا واعملُوا صالحاً ترَوا	جـزاءً عظيمـاً ثـم للقَبـر فاعمروا
ومَنْ يغرسِ الأشجارَ نخْلاً وكرمَها	وفاكهـةً ينـسَ وللفَـوتِ يحـذرُ
بهـا يبتغـي فضـلاً ونعمـاً جزيلـةً	بآخـرَة للـلأرضِ يسـعَى ويبقـرُ
يباشِـر من أسْـنى المكاسِـب طيِّباً	حَـلالاً مريئـاً فضلُـه ليـسَ يُبتَـر
ويحيي مواتَ العلمِ في كلِّ سَاعةٍ	ويعمـلُ إحسـاناً لمـا كان يخبـرُ
فهذا الـذي يُدْعَى عليمـاً وجامعاً	لهَـدْي إمـام بالرسَـالة منْـذرُ
كـذا بجـزاء الصالحـات لمن غَدا	بهـا عَامـلاً مستبشـراً ومبشـرُ
ولله حمـداً طيبـاً ومبـاركاً	علـى مـرِّ أوقـات الزمـانِ يكـرَّرُ
علـى مـا هدانـا واحتبانـا وخصّنا	بسـادات فضـلٍ للبقـاع ينـوروا
كمـا جـاء فـردٌ مـن تَريـم ميمّمـاً	بباطنَـة الكسْـر بهـا يـتديـرُ

(١) هذه المقدمة مع الأبيات وجدت في ورقة عتيقة في الخريبة بوادي دوعن، والغالب أنها للشيخ عبد الله بن أحمد باسودان.

ويحيـي مـواتـاً للبقَـاع وأهلهـا ... بذكـرٍ وتـذكَار وهـذْي يعطـرُ

فطُوبـى لـك فَافتخـري بجمالكِ ... على كل من يدْعَى جميله عنصـرُ

ولـم لا وقـد كان محوّطُـك دعي ... بعلاّمـة الدنيـا جـرتْ منـه أبحـرُ

ينابيعُهـا مـن سـرّه قـد تفجّـرتْ ... وأسـقتْ رياضـاً للنفـوس تحـررُ

هو الشيخُ باب الفتحِ إنسانُ عصـره ... لـكل نفيـسٍ للمعالـي يسـطرُ

عزيـزات علـم بالفنـون جميعهـا ... لها قبل وقت الحلم يغشى وينشـرُ

هـو العبْدُرحمـنَ الكثيـرُ نوالُـهُ ... لطـلابِ علـمٍ للخفيّـات يظْهـرُ

ومن بعدِه فالعيدروسُ تلا الأوْلى ... وزاد بِـه فـي مأثـر الكَسْـر مظهرُ

وصِنُـوكَ عبـد اللـه ثـم قرابـةٌ ... وأهـلٌ وجيـرانٌ ومـن يتجـوَّرُ

وأزكـى صَـلاة اللـه ثـم سـلامه ... على أحمدٍ والآل والصحْب ينشرُ

تمت

* * *

(١)

فتاوى وأجوبة نافعة

مما أجاب عنه السيد العلّامة

الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

العلوي الحسيني التريمي الحضرمي

نفعنا الله به

هذه الفتاوى

هذه الفتاوى النافعة، جُمِعتْ من أوراق متفرقة، وضُمَّتْ إلى بعضها في هذه الصفحات؛ لتتم الإفادة منها، والوقوف على فوائدها. وغير خافٍ على أحد، أن هذه الفتاوى التي بين أيدينا، تعد شيئاً قليلاً جداً، بالنظر الى أن «مجموع فتاواه» الأصلي، كان يقع في مجلد بلغت عدد صفحاته ٥٠٠ صفحة، كما ذكر السيد أحمد بن زين بلفقيه في ترجمته له، فيما تقدم، وهو من سلالته وذريته، ولا شك أنه وقف عليه، ولا يعلم مصير هذا المجموع الكبير اليوم.

النسخ المعتمدة في التصحيح:

أ) **النسخة الأولى**: نسخة محفوظة في مكتبة الأحقاف بتريم، ضمن مجموعة آل ابن سهل، تحت رقم (٢٨٣٧)، عنوانها «مسألة وجوابها عن الإمام المهدي»، في ٤ ورقات، من الورقة ٦٢ ب، إلى ٦٥ ب، غير مؤرخة.

ب) **النسخة الثانية**: نسخة حديثة، ضمن فوائد منقولة في مجموع، بعضها بقلم السيد العلامة أبي بكر بن أحمد السري باعلوي، تقع في ٧ صفحات.

ج) **النسخة الثالثة**: نسخة حديثة أيضاً، فرغ منها ناسخها ظهر يوم الأحد، سلخ شهر بيع الأول، من عام ١٣٦٥هـ. تقع في ورقتين. تضمنت الجواب عن سؤال المهدي فقط.

د) **النسخة الرابعة**: الصفحتان الأوليان، من الفتوى المطولة حول الاشتغال بطلب العلم، من نسخة عتيقة قيمة ونفيسة، لولا نقصها.

جاء في أولها ما نصه: «هذا الكراس من فوائد مولانا القدوة، شيخ شيخنا، الحبيب الحبر الرباني العلامة المحقق المدقق، النسابة، الجامع، عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد بن الفقيه محمد باعلوي، نفعنا الله والمسلمين بسائر علومه، آمين.

أرسلها مع إجازة وجملة فوائد لشيخنا المشار إليه، سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل، جامعها ولأخيه أبي بكر، نقلتها من النسخة المرسلة بأمره، حفظه الله، وأدام النفع به، آمين»، انتهى. فهذه العبارة تشي بأن هذه النسخة كتبت في حياة الحبيب عبد الرحمن رحمه الله.

هـ) **النسخة الخامسة**: الجواب على السؤال المقدم من العالم الزيدي، أرخ الجواب في ٥ جمادى الأولى سنة ١١٣٦هـ، وتقع في ١٩ صفحة، ضمن مجموع (من صفحة ٨٨ الى صفحة ١٠٦)، كان الفراغ من نسخه ضحى يوم الخميس ٤ ربيع الآخر سنة (١٣٦٥هـ)، لم يسمَّ ناسخه.

والزيدي المشار إليه، لعله الذي ذكره المؤلف في خاتمة جوابه عن السؤال المرفوع إليه عن المهدي. وسماه عبد الحق الزيدي.

نص عبارة المؤلف: «.. وعلى ما قررناه؛ **فهل يُقال**: الإمام المهدي معصومٌ في حكمِه وعلمِه وعمَله لا يخطئ؟ أو يُقال محفوظٌ؟ لأن العصمةَ خاصةٌ بالأنبياء والملائكة!. والذي يظهرُ: الثاني، كما جزمتُ به في أرجوزتي المسماة «**كشف الغطا عن اعتقاد آل بيت المصطفى**»، في الردّ على عبد الحقّ الزيدي، لما ذكرتُ المجتهدينَ، وأن منهم خاتمهم المهديّ». انتهى.

* * *

مسئلة الامام المهدي الموعود بخروجه اخر الزمان هل هو من المجتهدين ام لا وهل يجب تقليده دون غيره من اهل المذاهب او يتخير بينه وبين غيره من الاربعة المذاهب وغيرهم وهل هو افضل من الصديق وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم افتونا ماجورين مع بيان /لادلة على التحقيق

فاجاب مولانا العلامه السيد الشريف عبد الرحمن ابن عبد الله ابن احمد بلفقيه ادام الله بقاه بما صورته

الجواب والله الموفق للصواب اعلم أن من اطلع على كثرة الاحاديث والروايات والاخبار الواردة في شان المهدي وكثرة طرقها ومخرجيها علم بل قطع بانه مستفيض بل متواتر خروج المهدي اخر الزمان وأنه من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنه امام هدى وحكم عدل على منهج جده رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل بالسنة ويحييها ويميت البدعة وينقصها وأنه مامور باتباعه وامتثال امره ونهيه وأنه يملك الارض ويملاوها عدلا بعد ماملئت جورا ولذلك وصحته نص الائمة في عقايد الاسلام على وجوب الايمان بالمهدي وخروجه على ماوصفناه فالانكار لذلك والتكذيب به ان لم يكن كفرا فهو بدعة اذا تقرر ذلك

فنقول اذا خرج الامام المهدي وجب على كافة الخلق اتباعه وامتثال امره واجتناب نهيه

هذه الكراسة من فوائد سيدي ومولانا القدوة وشيخ
شيخنا الحبيب الحبر الرباني العلامه
المحقق المدقق النسابه الجامع
عبد الرحمن بن عبيد الله
ابن احمد بن الفقيه محمد باعلوي
نفع الله به والمسلمين
بسائر علومه امين
ارسلها مع اجازة
وجملة فوائد
لشيخنا المبارك
السيد سليمان
بن يحيى بن عمر
مقبول
الاهدل
جامعها
لولده
ابي بكر
نقلتها من النسخة المرسلة باسره حفظه الله وادام النفع به امين

ارسله بعض الاشراف الزيديه اهل صنعا البلد اليماني لمناصب الاعيان من السادة العلويين

وهو هذا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على سوابغ المدد والاحسان والصلاة والسلام على كرام ائمة الهدى
وشموس الحق والبيان وعلى آله وصحبه واتباعه على الحق في كل زمان وبعد فهذا كتاب
ورد علينا مستهل شعبان من سنة خمس وثلاثين ومايه والف من بعض الاشراف
الزيديه اهل صنعا البلد اليماني والعنوان الى السادة المناصب الاعيان من
السادة ال باعلوي وخصوصا السيد عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بلفقيه وباطنه بعد البسمله
وذكر الرحيم الرحمن الحمد لله على نعمة الاسلام والايمان وبعثة الرسل صلوات الله
وسلامه عليهم بالاشارة والبيان والهداية بنور سيدنا محمد الى معالم
الدين ومناهل الاحسان صلى الله عليه وعلى آله الهداة الى الحق والبيان والايقان
وصحبه المهتدين بهديه واتباعه الى آخر الزمان وبعد فهذه نصايح من ايات
القران ومذاكرات من الاخبار الواردة عن سيد ولد عدنان ومذاكرات من بعض
المحبين في الله المشفقين لخلاصة الجنان نحو المودة لاهل البيت في حق الايمان
الى السادة القادة نخبة الزمان وخلاصة اهل بيت النبوة وخاصة معدن
الفتوة في كل اوان المعروفين كسلفهم ال باعلوي بالمعروف والمعرفة والعرفان
المشهورين بالخير والصلاح والاحسان فاعمهم بهذه المذاكرة واخصص بها
ساداتهم الاعيان ومناصبهم الاركان والصالحين لهذا الشان وابتغي ما قصدي
الا رضى ربنا الرحمن والمحبة الخالصة لخالص الايمان للسادة ونصيحة الاخوان
فان السادة ال باعلوي من اول الزمان من الفضل والشهرة بالخير باسنى مكان
فكيف يشيع في ارضهم في هذا الوقت ما يستبشع عند كل انسان وكيف
يتهاونون بما في بلادهم من هذا الحدثان والمناكير والعصيان ولا يتناهون عنه
او ينهون امره فيقوم به ذو سلطان او يدافعونه بحجة وبرهان
او يستعينون على المقصود باخوان واعوان فذكرتهم بهذه التذكرة والذكرى
تنفع اولي الايمان وذاكرتهم بهذه المذاكرة لان المسلم اخو المسلم ومرآة له في جميع الشان

[الفتوى الأولى:
وهي جواب سؤال فيما هو الأفضل
لطالب العلم الاشتغال به؟]

قال السائلُ، وهو السيد الإمام العلامة، مفتي الأنام ببلد زَبِيد المحروسة، سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل رحمه الله:

مسألةٌ:

ـ هل الأفضل للإنسان، في هذا الزمانِ، الاشتغالُ بطلب العلوم، وصرف الوقت فيه، والاقتصار في العمل على الفرائضِ والنفل المؤقت؟ أم الاشتغالُ بالعمَل، وصرف الوقت إلى النوافل، والاقتصار في العلم على ما لا بدَّ منه؟

ـ وهل الأفضلُ في طلب العلم: قراءةُ كتب الفقه، أو كتبِ التصوف، أو كتبِ العقائد؟

ـ وما المختار قراءتُه في هذه الفنون؟

ـ وهل بعضُ هذه الفنون أو كتبها مذمومٌ أم لا؟.

[الجواب]

قال المجيب، وهو السيد الإمام، البحر الزاخر، في علمي الباطن والظاهر، علامة الدنيا في وقته، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، العلوي التريمي، رحمه الله تعالى:

الجواب؛ والله الموفقُ للصواب.

اعلم، أن دين الإسلام المشتمل على الإيمان والإحسان، الذي وضعه الله لعباده، ليُصلِح لهم المعاش والمعاد، ويهديهم إلى رضاه والقرب منه في سلوك سَبيل الرشاد، لا بد فيه من علم وعمل؛ لأن العلم وسيلةٌ وأصل، والعملَ ثمرةٌ وفرع.

وكلٌّ من العلم والعمل؛ ينقسم إلى: أصول وفروع، وظاهر وباطن. وكل واحد من هذه الأقسام إما فرض عين، أو فرضُ كفاية، أو مندوب.

وكلٌّ من الفنون الثلاثة: **العقائد، والفقه، والتصوف**، يشتمل على جميع هذه الأقسام، ولا يكونُ شيءٌ منها مذموماً، ولا الكتب المؤلفة فيها؛ إلا لعارضٍ يعرضُ لها، يقتضي ذلك.

إذا عَلِمْتَ ذلك؛ فاعلم أن الأفضلَ للإنسان في كل زمان بل الواجب المتعيِّن عليه الاشتغالُ بما هو فرضٌ على الأعيان في الوقت، سواء كان أصولاً أو فروعاً، أو ظاهراً أو باطناً، وذلك هو ما يتوقف عليه أداء الواجبات الظاهرة والباطنة، واجتناب المحرمات كذلك، وذلك يختلف باختلاف الناس والأحوال والأوقات قلةً وكثرةً وزيادةً ونقصاناً.

فمن الواجبات الباطنة: الإيمانُ، وما لا بد منه في الاعتقاد، والإخلاصُ، ونحو ذلك. **ومن الظاهرة**: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك.

ومن المحرّمات الباطنة، الملابِسةُ غالباً: الشك، والرياءُ، والعُجْب، وسوء الظن، ونحوها. **والظاهرة**: كالظلم، وأكلِ الحرام، والمعاملاتِ الفاسدة.

* * *

فمن الواجب المتعين على كل مسلمٍ ومسلمة: تعلمُ المسائل التي يغلُب وقوعها في الواجبات والمحرَّمات الملابِسات المذكورة وغيرها، ظاهراً وباطناً، سواءً كان

التعلم بقراءة الكتب، أو بالسّماع والتلقين، أو غير ذلك. فإن كثيراً من عوام المؤمنين ونسائهم يتلقّون من بعضهم بعضاً أكثر مسائل أصول الدين، وجملةً من فروعه، وإن كانوا أُميّين لا يقرؤون الكتبَ، ولا يحسنون العبارة.

ومما ذكرتُه؛ يعلم أنه لابد لكل مسلم من تعلم ما يحتاجه من الفنون الثلاثة: العقائد، والفقه، والتصوف؛ فإنه يتعيَّن عليه الجمع بينهما؛ إذ لا فروع إلا بالأصول، ولا باطن إلا بالظاهر، وعكس. فكل ذلك دينٌ واحد، وقد وردَ في الكتاب والسنة في جميع ذلك على وضع متّحِد، فترجيحُ أحدِ الفنون الثلاثة مع الاحتياج إلى قسميه من غير موجبٍ تحكّمٌ بلا دليل، والميلُ إلى بعضها بمجرد الهوَى من غير مرجّحٍ ضلالٌ عن سواء السبيل.

فإنه يجب الإيمانُ بكل ما جاء به الرسول، وقد ذمّ الله سبحانه من يقول: نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ، ونفرقُ بين أهل الحق في القبول. وذلك؛ لأن الحقَّ واحدٌ، فالتكذيب ببعضه تكذيبٌ بكلِّه، ولذلك كفّر العلماء من جحَد بعض أركان الدِّين، وما عُلِمَ منه بالضرورة.

***

فإن قيلَ: إنّا نرى أهلَ التصوف غالباً عليهم التقوَى والسلامة من الفتن والأهواء، فهل يوجبُ ذلك ترجيحُ التصوف؟

قلنا: الحق يُعرف بنفسه لا بالرّجال، ولا يلزمُ من ظهور أهله بهذه الصفة رجحانُه على قسيميه، إلا لعارضٍ يعرض له، كما يعرضُ لقسيميه أيضاً ما يرجّحانه، وقد يعرض للثلاثة ما يوجب الذم، وكل شيء يمدح من وجه ويذم من وجه، وقد ألّف بعض العلماء كتاباً في ذلك.

***

[ما يرجح به علم العقائد على غيره]

فالذي يرجُح به علمُ العقائد: كونه الأصل لمفتاح الدين، ومنبع اليقين، وبه السلامة من البدع والأهواء. وهو طريقُ معرفة الله بالنقل، التي هي أشرفُ كل علمٍ، وإنما يذمّ من وجهِ كونِه يدخلُ في علم الكلام الذي هو مزلّة الأقدام، ومضلّة العوام، بما يدقّ على العقول ويغْتاص على الأفهام، وكذلك يُفتى بأن قراءته حرام، وذلك واضحٌ على الصحة على من يحصلُ به شكٌّ وارتياب، ويُخاف عليه ميلٌ وانقلاب، فقد يفهَم الشُّبَهَ ولا يفهم الجواب.

وقد حرّمَ بعضُهم قراءة «أم البراهين»، عقيدة السنوسي، على بعض العوام، وهذا وجهُ تحريمِ كتُب ابن عربي على قومٍ دون قومٍ، والتوراةِ والإنجيل، الذي هو شفاءٌ بنص القرآن، على من يضرّه.

* * *

[س/ ١] **فإن قلتَ**: هل يفيد علمُ العقائد معرفةَ الله؟

فالجواب: إن المعرفة عامةٌ وخاصة. فالمعرفة العامةُ أصْلُ الخاصة، وهي معرفة ما يجب لله، وما يجوز، وما يمنع عليه، على ما أثبته النقلُ، وقبِلَه العقل، فهذه المعرفةُ إنما تؤخذ من علم العقائد، وهي أصل المعرفة الخاصّة، التي هي نورٌ في القلب يقذفه الله، فيخصِّص به المقبلينَ عليه، المعرضينَ عن غيره.

وينبغي الاقتصارُ من كتب العقائد على العقائدِ الملخَّصة، المجرَّدة عن الاستدلال على قواعد المتكلّمين؛ فإنها كافيةٌ مع الجزم الذي لا يبقَى معه شكٌّ ولا يقبل التشكيك، فقد قدّمنا بيانَ الخطر في علم الكلام، مع أنّ غيره أهم منه، ولا بأسَ

به للفذِّ النادر، ذي الفهم الذكي، والذهن الألمعي الوقاد، إذا لم يعارضْه ما هو أهمّ منه في طريق الرشَاد.

* * *

[ما يرجح به علم الفقه على غيره]

وأما الفقه؛ فالذي يرجُح به: كونُه موضعَ معرفة الأحكام المفروضة على الأنام، كالصّلاة والزكاة والصيام، ومعرفة الحلال والحرام، وكل ما هو واجبٌ بحقّ الإسلام.

وإنما يذمُّ من جهةِ أنه قد يخرُج بصاحبه إلى المراء والجدال والخصام، ويقصد به المباهاة وجمع الحطام، وقد يحصلُ باستغراق القلبِ فيه الغفلةُ عن الله، فيكون سبباً للحجاب والقسوة الموقِعَين في الآثام، والجرأة على الله واتّباع الهوى على الدوام.

وكل ذلك ناشئٌ من عدم ملاحظة القلوب، وما يعرِضُ لها من رَين الهوى وغَين الذنوب، والتقصير في معرفة عللها الكامنة، وأحكامها الباطنة، **مع عدم** تصحيح النية، وتطهير الطوية، والغفلةِ بالمراء والجدالِ والخلافيات والفرُوع النادرة، عن ذكر الله تعالى والدار الآخرة، فيقوَى بضعف التقوى جندُ الهوَى والشهوة، وتصير الغفلة إلى قسوة، فيموتُ القلب ويحيا اللسان، وذلك عنوان النفاقِ وغايةُ الخسران، فلا يفلح فقيهٌ يسلك بفقهه في هذه المسالكَ، وهو بعين ما أراد به النجاةَ من فقهِه أولُ هالك.

وأما من قصد به وجه الله؛ وأخلص لله في اشتغاله، ولم يشتغل به عمّا هو أهمّ منه في قصده وأقواله وأفعاله، ولم يغفلْ به عن الله؛ بل ذَكَر الله به، وذكرَّه بالله، وأكْثَرَ من ذكرِ الله في خِلاله، وتحفّظ في نظره ومناظَرته من آفات مقالاتِ مرائه وجداله، فإن

الفقهَ له من أفضلِ الطاعات، وأولى ما أنفقَتْ فيه نفائسُ الأوقات، ففي الحديث: «ما عُبد الله بشيء أفضل من فقهٍ في الدين»، و«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

وإن الفقهَ، في الاصطلاح، أخصُّ من مطلق الفقه في الدّين؛ فإنه نوعٌ منه، وما ورد في فضل الفقه والعلمِ يشملُه، ويحتمل حامله إذا كان قويمَ الدين، ليس في عدالته شَين، فإنّ تعظيمَ الفقه والفقهاء، لحقِّ الدين، من أعظمِ الأمور، والنظر إليهم بعين النقص هو عينُ النقص والقصور، وعنوانُ الجهل والغرور. فيجب إلجامُ العوامِّ عن التعرض لأعراضِهم ورشْقهم بسهام الملام، ولا ينكر على العالم إلا من هو أعلمُ منه، وبما أتاه من حلالٍ وحرام، ومن أظهر الحَسَنْ أحسنًا به الظن، ولم يجزِ التعرضُ لعرضِه لحرمة الإسلام، وحسابه على الله فيما يضمرُه ضميره، مما به عليه اجترام.

فينبغي لطالب الفقه في الدين أن يصححَ النية، ويجتهدَ في خلوص الطوية، ويعتني بعين قلبه ويحفظه من الأخلاق الردية، لا يزال ذاكراً في كل شأنه، ملاحظاً له في كل حكم بجَنانه، مراقباً لله كما يراقبه في قراءة آياتِ الأحكام، في النكاح، والطلاق، والصلاة، فإنه لا «...» بالتفكر فيها، عن كونه صلاةً وقراءةً، وقلبه حاضر فيها.

فكذلك إذا حضر قلبه مع الله في قراءَة الفقه؛ أثمرت له ثمرةُ الصلاة، فالشأن كل الشأن الحضورُ مع الله فيما يرضاه، وخُلاصة الطريقِ الإقبالُ على الله، فيما شرعه من العلم والعمل لقصد وجهه ورضاه.

***

وينبغي للمتفقّه الاحترازُ من كثرة مخالطة المتفقّهة الذين غلب عليهم التظاهرُ بالعلوم، وشهوةُ القيلِ والقال، والمراءُ والجدال، والتفريطُ في صالح الأعمال، بل يقبِلُ على ما هو همه الواجبُ عليه، وبُدُّه اللازم له، وهو ما يدعوه إليه عِلْمُه، ويجتهد في التقوى ليستنير قلبه، وينفتحَ فهمُه، وكل مجتهدٍ له نصيبٌ على حسبِ ما قُدِّر له فيما

بلغ من أمره. **إلا أن المختارَ لمن فهمُه وقّادٌ، والعلمُ له منقادٌ، صرفُ ما فَضَلَ من وقته** عن أداء الفرائض، والنوافلِ المؤكدة، والحزب القرآني، والأذكار النبوية، ونحوها، المرتّبة، إلى طلب العلم الشريف.

فيدأبُ فيه ويحرصُ على طلب الفائدة أينما كانت، وعندَ من كانت، ولو ممن هو دونه في المعرفة والتعريف، ويقصد إلى كتاب الفنّ، الجامع لأكثر المسائل الظاهرة، فيعتني به حفظاً وقراءةً وتعلماً وتحقيقاً وتفهماً، ثم يتدرجُ إلى الكتب المبسوطة العبارة؛ فإن المختصرات، كما قيلَ: تمحقُ العلمَ، وتُكلّ الذهنَ، وتوقع في الاشتباه ويُرتقى منها إلى أصُول ذلك العلم وفروعه، ومأخذه وخلافياته، وعلله ودلائله؛ ليخرج بقدْر قدرته عن التقليد، ويدخلَ في حقيقة الإدراك وأبوابِ الاستدراك والتتبّع والتقييد.

ولا يَدَعْ فناً من الفنون الظاهرة، وآلاتها المشهورة، كالنحو، واللغة، والتصريف، والأصول؛ إلّا ويأخذَ طرفاً منه يهتدي به إلى باقيه، عند الحاجة إليه؛ لأن هذه الفنون يتوقفُ بعضها على بعض في الغالب لأنها مختلِطةٌ، مسائلُ كل فنٍّ منها بالفنّ الآخر مرتبِطة.

وليحذر كلّ الحذر من التعصّب لفهمِه، أو كتابه، أو مذهبه، أو شيخه؛ فإن العصبيةَ من الحميّة الجاهلية، وأصلُ أكثر المفاسد القالبية والقلبية، وأكبرُ حجابٍ عن اقتباس العلوم والفوائد الدينية، وخصوصاً علم الفروع، فإن أكثر مداركه ظنية. فليصْغِ لما يُلقى إليه، فربما يكون ما عَلِمه غيرُه أصحَّ، وما فِهَمَهُ أوضحَ.

وكثيراً ما يتغير الاجتهاد، وتتجدد المعرفة، عند تحقق النظر لطَلَب الحقّ والاسترشاد، وقد كان الصحابة وأتباعهم، رضوان الله عليهم أجمعين، مختلفين في الفروع في الاجتهاد، منتشرين الأقوال والآراء في جميع البلاد، ولم يقع بينهم شيء مما يقعُ بين أهل المذاهب الأربعة، بل المذهب الواحد، بل كأنهم في المظاهرة على الحق

والتقوى، والمؤازرة على الصدق، كالرجل الواحد، لا يدخل فيهم بسببها الأحقاد، ولا تَعْرُض بينهم الأنكاد.

* * *

[ما يرجُح به علم التصوف على غيره]

وأما التصوف؛ ففضلُه جليٌّ، لا يحتاج إلى تبيين، فإنه صفوة الدين، وموضع شرب الأصفياء والاتصافُ بصفات المتقين، وبه صفاء أوصافِ القلوب، وحميّاً شرب المعرفة واليقين، ومن لم يذق منه مذاقاً، ولم يكتسب منه أخلاقاً، فقد خسر، وإن نال علم الأولين والآخرين.

وإنما يُذَمّ من جهةِ الاغترارِ به في دعوى وصولٍ، قبل تأصيل الأصول، واعتبارٍ بمجرد عبارَةٍ ليس تحتها تحصيل، واتخاذ ذلكَ وسيلة عند الخلقِ في الإقبال والقبول، وتلك دعوى باطنةٌ، قد يخفَى فسادها على الفهم المعقول؛ لأنه أمر باطني يعسُر الوقوف فيه على الحقيقة، إلا على الفذِّ النادر الجامع بين الشريعة والطريقة، فلذلك كَثُرَ المُدَّعُون فيه، المُلْبِّسون على العوام، وراج التلبيسُ فيه على أكثر الناس على الدّوام.

فكم انتصبَ فيه بالزخرفة والتدليس، شيخٌ أجازه فيه إبليس، فاستغوَى كثيراً من الأتباع، واستهوى جملة من المريدين والأشياع، بالخداعِ، وحسن القول، وضرْبِ السماع، والتهويس، فضاعَت أعمارهم جمعاً، ولم يذوقوا حَقاً ولا وجدوا نفعاً، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، بل قادهم في طريقِ ضلالٍ وفتون، وأفادهم تلفيفَ أوهام وظنون، ذاقوا فيها حقيقة خيالٍ وجنُون، والجنون فنون، بل ربما باحُوا بعدم المبالاة، واستباحوا ما حرّم الله، وكفَروا بأحكام الله، واستظهروا بالشطح والطامات، والتألّي على الله.

والحاصل؛ أن التصوفَ، للصادق فيه على طريقِه، كيمياءُ السعادة، ومسلكُ

كل إحسان وحسنى وزيادة، ولكن لغرابته قلّ أن يُوقَف عليه، ولعزّته يندر أن يتوصل إليه، ولا يناله إلا الفذّ النادر، على يدِ شيخٍ كامل ماهر.

فكم هلكَ قومٌ طلبوه بالأماني والتمنّي، فظنوا أنهم يبلغون منازلَه بالهُوَينى والتأني، أو يذوقون فيه شرابَ المعرفة والعلم اللدُنِّي، وقُصاراهم سوفَ وليتني ولعلّي ولو أني. وهيهاتَ هيهات، فإنّ أهلَهم تركوا كل أمامٍ وراءَ، وأدلجوا في ليالي الجدّ، فأصبحوا على غاية الحد، وعند الصباح تحمد القوم السُّرى. عَمُوا عن كل موجود، وزهِدوا في كل موجود، سوى واجبِ الوجود، واستجابوا له، وأنابوا إليه، تعرِفُهم بسيماهم، في وجوههم من أثر السجود، ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]:

قومٌ كرامُ السجايا حَيثُ مَا جَلَسوا ... يبقَى الزمانَ على آثارِهم عَطِرا

متى أراهُم وأنى لي بِرؤيتهم ... أو تَسمع الآذان منِّي عنهُمُ خَبَرا

كلما رفعَهم الله بنعمته وقُرْبه، وفضّلهم بطاعته وحُبه، عرَفوا له قدر ما أعطاهم، واعترفوا بقلة الشكر، وازدادوا خوفاً وتواضعاً لمعرفة جلالِه، ورأوا منهم غايةَ التقصير في شكر توفيقه وإفضَاله.

شِعْراً:

رأوا أنهم لَمّا اجتباهُم لفضلِهِ ... وأهّلهم للصّالحاتِ وللذكرِ

فقد خصّهم مِنه بأفضلِ نعمةٍ ... وقد عَرفوا التقْصير في قلةِ الشُّكرِ

وإذا قد عُرف ذلك الحال، وعُلِمَ صعوبة السلوك في هذا المجال، فالأحسنُ لطالبِ الخير والسعادة، والراغب في النجاة وزيادة؛ الإكبابُ على تعلم جميع العلم النافع في الدين، والاجتهادُ في اتّباع سنة سيد المرسلين، والتعرض في كل حالٍ،

وعند كل طاعة وعبادةٍ، لنفحات ربّ العالمين، ولابدّ مع صدق التوجه إلى الله، من فتح الله، ومع صدقِ الجهاد، وبذل الاجتهادِ، من نصر الله، ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. والله تعالى أعلم. انتهى.

❋ ❋ ❋

[الفتوى الثانية:
وهي جواب سؤال عن المهدي المنتظر
ومذهبه وأفضليته؟]

مسألة: الإمام المهدي الموعودُ بخروجِه آخر الزمان.

- هل هو من المجتهدين أم لا؟

- وهل يجب تقليدُه دون غيره من المذاهب؟ أو يتخيَّر بينه وبين غيره من الأربعة المذاهب، وغيرهم؟

- وهل هو أفضَلُ من الصديق وغيره من الصحابة، رضوان الله عليهم؟

أفتونا مأجورينَ، مع بيان الأدلة على التحقيق.

[الجواب]

فأجاب سيدنا ومولانا، العلامة السيد الشريف، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، باعلوي، أدام الله بقاءَه، بما صورته:

الجواب، والله الموفق للصواب:

اعلم أن من اطّلع على كثرة الأحاديث، والروايات والأخبار، الواردة في شأن المهدي، وكثرة طرقها ومخرّجيها؛ عَلم، بل قطع، بأنه مستفيضٌ، بل متواترٌ خروجُ المهدي آخر الزمان؛ وأنه من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه إمامُ هدًى، وحكمٌ عدلٌ، على منهج جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعمل بالسنة

ويحييها، ويميت البدعة ويقصيها، وأنه مأمور باتّباعه وامتثال أمره ونهيه، وأنه يملك الأرض ويملؤها عدلاً بعدما ملئت جوراً؛ ولذلك وصحّته؛ نصّ الأئمة في عقائد الإسلام، على وجوب الإيمان بالمهديّ وخروجه على ما وصفناه، فالإنكار لذلكَ، والتكذيب به، إن لم يكن كفراً، فهو بدعة.

إذا تقرر ذلك؛ فنقولُ:

إذا خرجَ الإمام المهديُّ، وجبَ على كافة الخلق اتباعُه، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، ولا يجوز لأحدٍ مخالفتُه، للنصوص الواردة، الدالة على وجوب اتباعه؛ لأنه على هُدًى في شأنه كله، وصوابٍ في حكمه وعلمه، بخلاف غيره من الأئمة المجتهدين، فإنه على هدًى في الجملة.

وحينئذٍ لا يجوز في زمانه تقليدُ غيره من المجتهدين، بل لو كان في زمانٍ من اتصفَ في زمانه بالاجتهاد، لم يجز له الأخذُ بمقتضى اجتهادِه، بل يجبُ عليه اتباع الإمام المهديّ، وإن خالفَ مقتضَى اجتهاده؛ لأنه إمام هدًى، منصوصٌ عليه، مأمورٌ باتباعه بالنص، ولا عبرةَ بالاجتهاد مع وجود النص.

* * *

[س/ ١] و أما قول السائل هل هو من المجتهدين أم لا؟.

فالجواب: أن رتبته فوقَ رتبة المجتهدين، فهو مجتهدٌ وزيادة؛ لأنه من أفضل الأولياء العارفين والمحَدثين بفتح الدال المهملة، المُلَهَمِيْن المكاشِفين، فعلومه من العلوم اللّدنية، ويُلْهَمْ الشريعة على يد ملكِ الإلهام الذي يلقي في الروع، فيحصل له العلم بما يلهَمُه ويكشفُ له، وهو فوقَ ما يحصل للمجتهدين من الظن الذي يحتمل الخطأ.

وإنما لم يكن الإلهامُ لغير المهديّ، من الأولياء، حجةً على غيره على المختار؛ لعدم عصمته، واحتمال خطئه.

فلا يعارِضُ ما تقرر من أصول الشريعة وفروعها، بخلاف الإلهامِ للإمام المهديّ، فإنه حجةٌ، لأنه على هدًى، مأمورٌ باتباعه في جميع الشأن، لكن الظاهر أنه لا يخالف إجماع الأمة؛ لأنها معصومةٌ من الخطأ في الإجماع، وإنما يظهر به وجه الحقّ للمحقّ فيما اختُلف فيه، والله أعلم. **والأصح**، كما قال العلماء: أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم له أن يجتهدَ، ويُلهمَ الصوابَ.

* * *

[س/ ٢] **فإن قلتَ**: إذا كان خليفةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أبو بكر الصديق، رَضِيَ الله عنه، منصوصاً على خلافته؛ فَلِمَ لم يجبِ اتباعُه في أمره كلِّه؟ وما الفرق بينه وبين الإمام المهدي؟

قلتُ: الخلافة أمرٌ مخصوصٌ يجب امتثالُ الخليفة فيها، وفيما يرجع إليها من الأحكام على وجه مخصوصٍ، كاتباع أُمراء السرايا، الذين أمرهم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنه يجب اتباعهم وامتثال أمرهم، فيما يتعلق بذلكَ، بخلاف المهدي؛ فإنه مأمور باتباعه على الإطلاق في شأنه كله، ومجددٌ لجميعِ أمور الدين، فهو كالنصِّ في جميع الأمور.

وعلى ما قررناه؛ **فهل يُقال**: الإمام المهدي معصومٌ في حكمِه وعلمِه وعمَله لا يخطئ؟ أو يُقضالُ محفوظٌ؟ لأن العصمةَ خاصةٌ بالأنبياء والملائكة!

والذي يظهرُ: الثاني، كما جزمتُ به في أرجوزتي المسماة «**كشف الغطا عن اعتقاد آل بيت المصطفى**»، في الردّ على عبد الحقّ الزيدي، لما ذكرتُ المجتهدينَ، وأن منهم خاتمهم المهديّ، فقلت:

وهكـذا في كلّ قـرنٍ قائـمُ … عـلى الهـدَى وبالمهـمِّ عَالــمُ
حتـى يحـقَّ الله نصْــرَ الدِّيـنِ … ويـظـهـرَ المـهـديَّ بالتمكيـنِ
فينجلي نـورُ الهـدَى بالحـقِّ … ويـظهـر الـمحـقُّ بيـن الخلقِ
فــإنـه فـي أمــرِه محـفــوظُ … بـذاك قـولُ المصطفى محفوظُ
إذ يقتفـي دينَ النبـيِّ المصطفَى … بأمـره، جميـعَـه، ويُـقتــفَـى

***

وقلتُ أيضاً في عقيدتي، القصيدة اللامية، المسماة «عمدة المحقِّق»، وقد سمعتُ أن منها نسخةً عند الشيخ طيب، من السيد صَادق العيدروس، رحمهما الله:

فيملأُ الأرضَ عـدلاً بعد مَا مُلِئَتْ … جَوراًويسلكُ نهجَ المصْطفى عمَلا

وبجميعِ ما ذكرناه، يُعلم أن الإمامَ المهديَّ ليس مقلِّداً، بل مجتهداً وزيادة، وأنه يجب اتّباعه في جميع الشأن، ولا يجوز تقليدُ غيره من المجتهدين بعد خروجه، وحكمُه في ذلك كحكم سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عند نزوله، فإنه يجب الإيمان به واتباعه.

وعيسى ﷺ إنما يحكُم حينئذٍ بالشريعة المحمدية، فيرفع الخلافُ، ويظهَر المحِقُّ من المتخالفين بخروج المهدي ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وليس اتباعهما تقليداً فقط، بل بالنص، ولذلك يلزم المجتهدَ اتباعُهما، وإن خالف اجتهادَه، فضلاً عن غيره، والله أعلم.

***

[س/ ٣] وأما قول السائل: هل المهديّ أفضل من أبي بكر الصديق؟

فجوابه: أن النصوصَ الصحيحةَ مصرحةٌ بأن أفضلَ الناسِ بعد الأنبياء

والمرسلين أبو بكرٍ الصديقُ، فلا يعارضُها ما وردَ من فضل الإمام المهدي، وينبغي أن يَلْحَقَ بأبي بكر الصديق مَنْ ورد النصُّ بتفضيله، بل يظهر تفضيل جميع الصحابة رضوان الله عليهم على غيرهم لحقِّ الصُّحبةِ الذي لا يوازيه شيءٌ، فقد أثنى الله ورسولُه عليهم، ورَضِيَ الله عنهم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أنفق أحدكُم مثلَ أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحَدهم ولا نصِيفَه».

وإن كان لغيرهم فضلٌ عظيم من جهة أخرى لا يوازيه شيء؛ كالبضعة الشريفة التي في ذريته صلى الله عليه وآله وسلم، الذين ليسوا من الصحابة، ففي الحديث: «إن أعجبَ الخلق إليّ إيماناً، لقومٌ يأتون من بعدي، يجدون صُحفاً بها كتاب يؤمنون بما فيها». وفي حديثٍ آخر: «قُلنا: يا رسول الله، هل أحدٌ خيرٌ منّا؟ أسلمنا وجاهدنا معك. قال: نعَم، قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني»، وفي حديثٍ آخر: «طُوبى لمن رآني وآمن بي، مرةً، وطوبى لمن لم يَرَني وآمن بي، سبعَ مرات».

وكالصبر على التقوى مع كثرة الغيّ، ففي الحديث: «إنه سيكونُ في آخر هذه الأمة قومٌ لهم مثل أجرِ أوّلهم، يأمرون بالمعروف، وينهَون عن المنكر، ويقاتلون أهل الفتن». وفي حديثٍ أيضاً: «أن وراءَكم أيام الصبر، فمن صبر فيهنّ قبضَ على الجمْر، للعامل فيهن أجرُ خمسينَ، يعملون مثل عمَله. قلنا: يا رسول الله أجر خمسينَ منهم؟ فقال: أجرُ خمسين منكم».

***

ولذلك قلتُ في «**العقيدة**»، القصيدة المتقدِّم ذكرها، شعراً:

ويجبر الآخرُ الإيمانَ بالغيب والتقـ ـوى مـع الغيِّ والبلوَى بما اتصَلا

وقولي: «**والبلوى بما اتصلَ**»: إشارةٌ إلى كثرة الفتن والمحن، ففي الحديث:

«أمتي أمة مرحومةٌ لا عذابَ عليها في الآخرة، عذابها في الدنيا الزلازلُ والفتن والقتل»، وفي الحديث: «أمتي كالمطر لا يدرَى أوّله خيرٌ أم آخرُه»، والله أعلم.

***

والحاصل؛ أن الله يخصّ المتأخر بفضلٍ لم يحصل للمتقدِّم، كما قيل: كم ترك الأول للآخر. ففضلُ الله عظيمٌ على الأولين والآخرين.

وعلى كل حالٍ، ففضلُ المهديِّ منصوصٌ عليه، فهو ملحقٌ بالمنصوص عليهم، وأهلُ قرنه وأصحابُه وأتباعُه؛ لهم مزيةٌ على غيرهم، فهم ملحقون بالقرون الثلاثة المنصوص عليها، والتفضيل موقوفٌ على توقيفٍ، ولا مدخلَ للاجتهاد في ذلك، والله أعلم.

***

[خاتمة الجواب]

فهذا خلاصةُ ما ظهر لي في الحالة الراهنة، مما فهمته من الأدلة الشرعية، وقد قرأتُ على والدي رحمه الله رسالةَ شيخنا محمد بن رسول البرزنجي، رحمه الله، سماها: «**الإشاعة في أشراط الساعة**»، ذكر فيها غالبَ ما ذكرته، ولكن طال عهدي بها، ولم تحضرني الآن. ونقل فيها أيضاً ما نقلتم عن شيخه، شيخنا إبراهيم بن حسن الكردي المكي، رحمه الله. ومما أحفظه منها: أنه نقل عن بعض الحنفية: أن المهديَّ يكون على مذهب الإمام أبي حنيفة؛ لأن ملوك الأرض أكثرُهم على مذهبه، ورده السيد محمد وزيّفه.

وذكر عن بعضِهم: أن أكثر أعاديه الفقهاءُ، وما أدري من أين أخذَه؟!.

وإن شاء الله تعالى، ويسر لي، ألفتُ في ذلك رسالةً، أذكر فيها الأدلة بالتحقيق، على حُسن طريق، كما طلبتم؛ فإن كتابكم لم يصلْ إلا وقتَ السفر.

وإنما ذكرتُ الشيخَ محمد البرزنجيَّ، والشيخ إبراهيم الكرديَّ، بلفظِ «شيخنا»؛ لأن لي من كلٍّ منهما إجازةً خاصةً لي، وعامةً، فيما يجوزُ لهما روايته، ولبستُ الخرقةَ من الشيخ إبراهيمَ، مراراً عديدةً.

انتهى ما أجابَ به مولانا العلامة

سيدنا وبركتنا عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، باعلوي

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.

❋ ❋ ❋

[الفتوى الثالثة:
وهي جوابُ سؤالٍ مقدَّم من
بعض أشراف الزيدية من أهل صنعاء]

«وهذا كتابٌ أرسله بعض الأشراف الزيدية أهل صنعاء البلد اليماني لمناصب الأعيان من السادة العلويين. وهو هذا:

[نَصّ سؤال الزيدي الصنعاني]

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله على سوابغ المدد والإحسَان، والصلاة والسلام على أكرم أئمة الهدى وشموس الحق والبيان، وعلى آله وصحبه وأتباعه على الحق في كل زمان.

وبعد؛

فهذا كتابٌ وردَ علينا مستهلَّ شعبان، من سنة خمسٍ وثلاثين ومئة وألف، من بعض الأشراف الزيدية، أهل صنعاء، البلد اليماني، والعنوان: «إلى السّادة المناصب الأعيان من السادة آل باعلوي، وخصوصاً السيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه»، وباطنه بعد البسملة، وذكر الرحيم الرحمن:

[نص رسالة الزيدي الصنعاني]

«الحمدُ لله على نعمة الإسلام والإيمان، وبعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بالإشارة والبيان، والهداية بنور سيدنا محمدٍ إلى معالم الدين ومناهل الإحسان،

صلى الله عليه وعلى آله الهداة إلى الحق والبيان والإيقان، وصحبِه المهتدين بهديه وأتباعه إلى آخر الزمان.

وبعد؛ فهذه نصائحُ من آيات القرآن، ومذاكَراتٌ من الأخبار الواردة عن سيد ولد عدنان، ومذاكَرات من بعض المحبين في الله المشفقين بخلاصة الجنان، بحق المودة لأهل البيت في حق الإيمان.

إلى السادة القادة نخبة الزمان، وخلاصة أهل بيت النبوة وخاصته معدن الفتوة في كل أوان، المعروفين كسلفهم آل باعلوي بالمعروف والمعرفة والعرفان، المشهورين بالخير والصلاح والإحسان، فأعُمّهم بهذه المذاكرَة وأخصصُ بها ساداتهم الأعيان، ومناصبهم الأركان، والصالحين لهذا الشان.

ووالله ما قصدي إلا رضا ربنا الرحمن، والمحبة الخالصة بخالص الإيمان، للسادة ونصيحة الإخوان.

❊ ❊ ❊

فإن السادة آل باعلوي من أول الزمان، من الفضل والشهرة بالخير بأسنى مكان، فكيف يشيع في أرضهم في هذا الوقت ما يستبشَعُ عند كل إنسان! وكيف يتهاونون بها في بلادهم من هذا الحدَثان، والمناكير والعصيان!.أوَ لا يتناهَون عنه! أو ينهون أمره، فيقوم به ذو سلطان، أو يدافعونه بحجة وبرهان، أو يستعينون على المقصود بإخوان وأعوان!.

فذكرتهمْ بهذه التذكرة، والذكرى تنفع أُولي الإيمان، وذاكرتهم بهذه المذاكرة لأن المسلمَ أخو المسلم ومرآةٌ له في جميع الشان، وغيرةً مني عليهم لما شاعتْ الأخبار، وذاعت في الأقطار من تلك الجهة بما لا يواجَه به الإنسان، وما ينسب في الجهة إلا إلى أكابرها وأنتم يا سادة الأكابر الأعيان.

فأولى بكم المساعدةُ والمعاضدةُ على إقامة الحقّ وأمور الإيمان، وأن لا يرويَ الرواةُ والمسافرين[1] عنكم إلا كلّ نفع وإحسان، وأن تكون جهتكم أحسنَ جهةٍ في الأرض في الأمان والإيمان. كيف وقد تفرق أهلها في البلدان، وهربوا من مساكنهم لا سببَ لهم إلا التعدي عليهم والعدوان.

فأنتم يا سادة من أخص السادة أهل البيت، فضلكم معلوم عند كل إنسان، وسلفكم أهل العلم والعمل والصلاح والإحسان، ما يذكر عنهم إلا الخيراتُ والكراماتُ والمعروف والعرفان، فأحبهم كلّ محبٍّ لهذا الشان، واعتقدهم كل محب لله ولحق الإيمان.

***

فلما شاع عن جهتكم في هذا الزمان تواترُ الفتن، وتراكُم المحن، على أهل قطركم وهم من أهل الإيمان، واشتهرَ انتشار المنكراتِ فيها والباطل، واستطالة أهل الطغيان، فاكترب المحبون لكم، واغتمّ المشفقون عليهم، وفرح المعادي وذوو الشنآن؛ لأنكم اليوم أنتم أهل الأرض، وأنتم المناصب فيها والأعيان، ولا ينسب جميع ما فيها إلا إليكُم في جميع الشان.

شعراً:

فيـا سـادةً سـادوا الأنـامَ بجَدّهـم	وشـادوا مبَانـي منصِب العـزّ بالفضلِ
إليكـم يعـود اللومُ فـي شَينِ قطرِكُمْ	فلا تحملوا في القطرِ رأي ذوي الجهلِ
بكـم أشـهرَتْ تلـكَ البـلادُ فحقكـم	بأن لا يرى فيها سـوى أحسَـنِ الفعلِ

واعلموا يا سادَة العباد، وكل من له جاه بتلك البلاد، أنكم مسؤولون اليومَ

---

(١) كذا في الأصل.

ويوم القيامة عن بلادكم، فإن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن جاهه فيما صرفه».

فبماذا تجيبون، إن قلتم: ما لنا جاهٌ، كذّبه الحس والعيان. وإن قلتم: لنا جاهٌ، فكيف يليق منكم السكوت والسكون؟ مع ظهور الزنا والربا والفواحش والعصيان، والجور والضرر والعداوة والعدوان؟

وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد حلوا بأنفسهم عذاب الله»، وفي رواية أخرى: «حل بها الدمار». وقال ﷺ: «إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده قبل أن يموتوا»، قيل: أما في الناس قوم صالحون؟ قال: «بلى يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة ورضوان». وقال ﷺ: «إذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة، وإذا جارت الولاة قل المطر، وإذا كان الغدر ظهر العدوُّ».

وغير ذلك من الأحاديث المحذّرة عن عدم الإنكار، والمؤدية بالعقوبة واتصال الشرور واستيلاء الأشرار، فما ندري يا سادة! هل سكوتكم عن ذلك عن قصدٍ أو تغافل أو نسيان؟ أو ظننتم أنه غيرُ واجبٍ عليكم؟ ولم تزل تنادي عليكم آياتُ القرآن. أو أن ذلك غير شائعٍ، فقد شاع وذاع في جميع البلدان!. ويكفي شاهداً عليه هربُ جملة أهل أرضكم من الظلم والعدوان.

أو تقولون: ليس علينا في ذلك ملامٌ. فمن يلام غيركم وأنتم المناصب وأهل الجاه والأعيان؟ فيكون الملام إلى مَن! إلى باديةٍ أو غوغاء أو خُدّام أو أعوان؟

* * *

وتأملوا يا سادة قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الأنفال: ٢٤ - ٢٥].

فالذي يحييكم هو الإيمان، قال الله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. والحياة قيامُ الحدود والقصاص. قال الله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]. والحياة أيضاً حفظ نفوس العباد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. وأعظم الفتنة فتنة القلوب وقسوتها من الذنوب قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ولا شكَّ أن الفتنة والعذابَ يعمّ الصالح والطالحَ، بدليل قول رسول الله ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها»، وفي رواية: «مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فكان بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها، إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم. فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجو جميعاً، فذلك مثل القائم في حدود الله والواقع فيها».

* * *

فيا سادة، لعلكم تقولون كل نفس بما كسبت رهينة، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وتقرؤون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. فإنه فسرها أبو بكر الصديق عن رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. تفهمون منها غير المراد بها، وإني سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقابه»، وفي رواية: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»، وفي رواية: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشِكُ أن يعمهم الله بعقابه»، وفي رواية أخرى: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي أكثر ممن يعمل»، الحديثَ.

فعُلمَ أن معنى الآية ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾: إذا خفيت معصيةٌ ولم تعلموا بها، و[أما] إذا أظهروها وجبَ عليكم إنكارها، ولم تهتدوا إلا بذلك. بدليل قوله ﷺ: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يرون المنكر بينَ ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة». فذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. يدل على ذلك قوله ﷺ: «إذا خفيت الفاحشة لا تضرّ إلا فاعلها، وإذا ظهرت فلم تنكر أضرت بعامة الناس».

فانظروا يا سادة، هذا كلامُ رسول الله ﷺ، الذي هو أعلم ببيان كتاب الله، وما ترك عذْراً لعامة المسلمين في القيام بدين الله، والذب عن محارم الله، فكيف بخاصته الأقربين، وأهل بيته الطاهرين!.

فينبغي أن تكونوا أعنَى الناس بدين ربكم، وسنة جدكم ﷺ، وقد جعلكم ﷺ قدوةً لأهل الإيمان، وأماناً لهم من الضلال والخسران، وقِرْناً في الهدى والرشاد للقرآن. فقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقَا حتى يردا عليّ الحوض»، الحديثَ المشهور.

فبالله عليكم يا أهلَ بيته، قوموا بالقرآن، وأقيموا الدين وأنتم قدوة الإيمان.

شعراً:

فيـا سـادةً ما عذرُكـمْ في سـكوتِكُم عن الإثم والعصيان والفحش والضرِّ
وكيف رضيتُم بالسكُوتِ على القِلا وأهملتـمُ الأشـرار في سـائر الشـرِّ
فقومـوا بأمـر واجمعُـوا فيـه رأيكُمْ فمـا خفيَتْ عنكـم طريـقُ ذوي البرِّ

***

ولعلكم يا سادة تقولون: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتَ الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أمانتهم، واختلفت قلوبهم، وصاروا هكذا»، وشبك بين أصابعه، «فالزم بيتكَ، واملُكْ عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسكَ، ودع عنك أمر العامة». وحديث: أنه ﷺ لما ذكر الفتنةَ، قال: «القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فكسّروا فيها قسيَّكُم، واقطعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجوافَ بيوتكم، فإن دخل على أحدكم بيته فكونوا كخيرِ ابنَي آدم».

وفي رواية: «إن خشيْتَ أن يبهرك شعاع السيف، فضع ثوبك على وجهك، ليبوء بإثمك»، وفي رواية: «فدقوا سيوفكم بالحجارة وفي رواية كونوا أحلاسَ البيوت، والزموا السكوت، حتى يأتيكم الموت».

فإن هذه الأحاديثَ واردةٌ على ما يخصّ الإنسان في نفسه من أمور الدنيا وأعراضها، فإن الاستسلام فيه أفضل مع المسلمين، حتى في النفوس، والصبر عليهم، وعدم خلطة العامة عند تغيرهم، وعدم الدخول في أمورهم، والاعتزال عنهم. فأما أمور الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه فرضٌ على جميع المسلمينَ، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾، الآية [التوبة: ٧١].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضٌ بإجماع المسلمينَ، لا يسقط بحالٍ، ولا عذر، ولا بهيبة الناس. فقد قال ﷺ: «لا تمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه»، وفي رواية: «إن رأى منكراً أن يغيره». وقال ﷺ: «إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع منها».

* * *

فلعلكم يا سادة؛ تقولون: إنا وجدنا سلفنا على طريقة، ونحن نقتدي بهم على هذه السبيل والحقيقة. **فهذا** قولُ من اقتدى بالرسوم، وأعرض عن الحق الواضح المعلوم، فإن سلفكم طريقتُهم الدين، ورضى رب العالمين، يدورون مع الحقّ حيث دار، ولا كانت هذه الشرور والأشرار، ولا ظهرت المنكرات وشاعت بها الأخبار، بل كانت آمنةً مطمئنةً، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، وما كان ينسب إليهم إلا العلمُ والخير والبر والصلاح والإحسان، فيُخشى على أهلها إذا لم يشكروا نعمة الله، وكفروا بها، وتمادوا على العصيان والطغيان، أن يشملهم قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

شعراً:

فتأملوا يا سادةً ما قلتهُ	تجدُوه حكمَ الدِّينِ والقرآنِ
هل غارةٌ منكم على دينٍ به	حقًّا يقومُ القهرُ من ديَّانِ
فالله ليس بمُهمِلٍ طَاغِيْ ولا	بمضيّعِ إحسانَ ذي[1] إحسانِ
ما عذرُكم في أرضِكم ولكمْ بها	جاهٌ عريضٌ شامخُ الأركانِ

(١) في الأصل: ذو.

فـإذا جمعتمْ رأيكُـم في أرضكمْ بالحـقِّ تـمَّ ولم يخالـفْ ثـانِ

* * *

فأنتم يا سادة خرج جدّكم السيد شهاب الدين أحمد مهاجراً بدينه، وأنتم اليوم بنو أبٍ وأم، وقوموا بالحق لله في رضا الله، واجمعُوا شتاتَ الأمر ببعضكم من بعضٍ، على ما قال الله ورسوله، وجرى عليه سلفكم الصالح، فصِلُوا أرحامكم بالتعلم والإرشاد، وليعرِّف الكبير الصغيرَ، وليعلّم العاقل الجاهل الغرير، فإنا شاهدنا صِغار السادة يجلسُون مع من لا يليق، ويسلكون مسالكَ غير الطريق، وسمعنا من عدد التواتر أن الأمر أعظَمُ في بلاد سلفكم تريم، حتى تعدَّى الأمر فيها إلى ضياع النساء والحريم! ودخول الأشرار في بيوت الأخيار! وما هذا بمستقيم.

شعراً:

فإن لم يقُمْ في الأرض بالحقّ قائمٌ فهـل بقيَـتْ مـن غَيـرةٍ قُرشـيةٍ!

تـرونَ أمـوراً تعرفـون ضَياعهـا ولـم تنهضُـوا فيهـا بعزْمٍ ونيّـةِ

فمـا تركَـتْ أهـل الحميّـةِ حَالهم فـغـيـرتـهـم حـوطٌ لكُـلّ عليـةِ

* * *

ولعلكم يا سادة؛ تقرون بالعجز والقهر، وتقرؤون سورة اليأس والصبر، فإذا عجزتم عن قهر أهل الباطل والمفسدين، وإقامة حدود الدِّين، ولم تقدروا على تنفيذ الأحكام، وتقرير أمور الإسلام، في بلاد ما يبلغُ طولُها ثلاثة أيام!

فيلزمكُم بحق الدينِ العزلةُ عن بلادهم، والهجرة عن أرضِهم لأجل فسادهم، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾، الآية [النساء: ٩٧]. وقال الله تعالى،

حكاية عن أبيكم إبراهيم ﷺ: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]، الآيات. وقد هاجر ﷺ لإقامة دينه، وترك مكة وهي أحب بلاد الله إليه.

وقد علمتم هجرة جدكم أحمد بن عيسى إلى تريم، وترك المال الكثير والجاهَ العظيم الشهير، وقد قال ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم وواكلوهم وسايروهم، فضربَ الله قلوب بعضهم على بعضٍ، ثم لعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً، فقال: «والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطْراً»، وفي رواية: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك. ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعُه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضربَ الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ * كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨٠] إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾. ثم قال: «كلا والله؛ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذُنّ على يد الظالم، ولتأطرونه على الحق أطراً، ولتقصُرنّه على الحق قصراً، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعضٍ، ثم ليلعنكم كما لعنهم».

وقال بعض أهل العلم: معنى «ضرب الله قلوب بعضكم ببعضٍ»، أن يقع بينهم التباغض والتحاسد، والتقاطع والتدابر، فيتفرق همهم، ويتشتت رأيهم. فكيف مع هذا النهي الشديد تجوزُ مساكنة الظالم! ويسمع قول الله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ * وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠ - ٨١].

* * *

فيا سادة؛ تأملوا قول الله، وقولَ رسول الله، وطريقَ سلفكم الصالحين، فإنكم وإن كنتم في أنفسكم صالحين، فكيف يكون صالحاً من لم يقم لله لما عليه من الحقّ على الخلق!. وقد قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى جبريل: أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها، فقال: يا رب إن فيها عبدك فلان، لم يعصك طرفةَ عينٍ. فقال: اقلبها عليه وعليهم»، الحديث. وقال ﷺ: «ما من قوم يعمَلُ فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروه ولا يغيروه، إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا».

* * *

فيا سادة؛ إن لم تكن غيرةً هاشمية، وحمية عدنانية، فإنكم خلاصة أهل بيت النبوة، وخاصة معدن العلم والعمل والفتوة، وقد طهركم الله من الأقذار، وشرفكم بمحاسن الشيم والأنوار، واشتهر فضل سلفكم في جميع الأقطار، فكيف ترضَون أن ترفع من جهتكم، ومغرس شجرتكم التي أنتم بها وهي بكم، سوى أحسَن الأخبار، وخير صفات الأخيار، لا ملامَ في ذلك إلا عليكم، ولا كلام فيه إلا معكم؛ لأنكم اليوم لكم الجاهُ ظاهرين في الأرض، فإذا قمتم بالحق، واتفقت كلمتكم به، فالحق قويّ، ولكم القوة والعزة، بالله وبرسوله وبالمؤمنين، وكم فردٍ قام بالحق فغلبَ الجموع، وصار قولُه المقبولَ المسموع.

ولكم في رسول الله أسوة حسنةٌ، إذ قال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]. وقام أبو بكر في قتال أهل الردة مع كراهة الصحابة لذلك، واستقام عمر بن عبد العزيز على طريق العدل مع مخالفة جميع بني أمية ومنازعتهم له، وقام كثيرٌ من أهل بيت النبي ﷺ، ومن بني العباس، في زمن عتو المعتدين، ومظهر المفسدين، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥]، فجاهدوا في سبيل الله يا أهلَ بيت رسول الله، فلا عُذر لكم من إقامة شعائر الدين.

* * *

وقد ذكّركم الله سبحانه بحدُوث حوادثَ، وانبعاث بواعث، في أرضكم، سببها هذه الأحوال، فقد أثرت في جهتكم السيول الهائلة السائلة على تلك البلاد، فأهلكت الأموال، واتصل الخوف وانقطعت السبل، واختلفت القلوب، وتشتَّت الأحوال، ولم يزل القحطُ!. ومع وقوع المطر وظهور الثمر، عم أذى الجراد، واتصل الضرر بجميع العباد!. واتصلتْ الغاراتُ المغيرات على أموال عشائركم، لسوء المعاملة واختلاط الحرام بالحلال، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، إليه بالقبول والإقبال، ويستغفرونه ويجتمعون على أحسن الأعمال.

❊ ❊ ❊

فهذه نصيحتي لكم، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، لكل ما قلته من الأقوال، أو فعلته من الأفعال، وأسأله أن يوفقني ويصلحني بصالح الأعمال، ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] إنه هو الكريمُ المتعال، وإليه المرجع والمآل، وعليه الاتكال.

وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه خير صَحْب وآلٍ
وأتباعه في كل حال».

❊ ❊ ❊

[جواب الإمام عبد الرحمن بلفقيه]

وهذا الجواب، من السيد الجهبذ البقية، الرُّحلة لمعالم الدين المضية، العارف بالله، وجيه الدين، المحقق القدوة للعارفين، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، نفع الله به، آمين اللهم آمين.

وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه ونستنصره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على عبده ورسوله سيد المرسلين، وإمام المتقين، سيدنا محمد وعلى آله المهتدين، وصحبه والمهتدين به إلى يوم الدين.

وبعد؛

فإن الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم بالمعرفة ويؤتيهم من الحكمة ما تستنير به القلوب وتنشرح به الصدور، فلما أخرجهم من ظلمات الشرك والشكِّ والترديدِ بحقِّ التصديق، إلى نور اليقين وحقيقة الإيمان، أطلقهمه من حدود التوقف وقيود التقليد، في فضاء التحقيق بواضح البرهان، ونظرهم بطريق حلِّ عُقد الاشتباهِ وشُبهِ التعقيدِ على مقتضَى تفصيلِ العلم وتفضيلِ البيان، فعرفوا بمَعرفتهم به وتعريفِه لهم كلَّ معروفٍ، ففعلوه وذكروه، واجتنبوا بتوفيقه لهم كلَّ منكرٍ فقَلَوه وأنكروه.

وذلك بأنهم استعمَوا ما أنزلَ إليهم من ربهم فوعَوه وذاعُوه ونشروه، واقتفوا آثار نبيهم المصطفى فيما بين لهم واتبعوه على ذلك ووازَرُوه وعظّموه وعزَّروه ونصروه، فرفع الله الذين أوتوا العلم درجاتٍ في فقْه علومِ كتابه، وفهم بيان نبيه

محمد ﷺ ومعلُوم خطابه، فعلمهم وجوهَ استنباطِ الأحكام منه وردها إليه، وكيفية تأسيس قواعد الشرع وبناء أصوله والتفريع عليه.

ذلكَ بأنهم تضلَّعوا من حفظ المنقُول، حتى أدركوا شواذَّ الرواية، وتطلعوا بفهم المعقول إلى أقصى نوادر الرواية، وتتبعوا إجماعَ المدلولاتِ، وجميعَ المسموعات والأدلة، وسبروا ذلك على معيار العلمِ والتحقيق، فميّزوا الصحيحَ عن السقيم وما فيه شذوذٌ وعلة، ثم بحثُوا عند كل استدلالٍ عن المعارض للدليلِ غايةَ البحث في جميع أدلة الشرع والملة، ثم جمعوا عند التعارض بالوجه الصحيحِ، بأوضح التوضيح، أو رجَعُوا إلى الترجيح لأصح الوجُوه، بأوضح الطرق بغاية التحرير والتنقيح، فثبّتوا بذلك الجمع أدلة السمْع على براهين العقول، وبنوا عليه فروع الشرع بحكم الاستدلالِ على مقتضى علم الأصول.

فعرفوا بذلك قواعدَ الدين والفقهِ فيه، وقرروه، وأحكموا تأصيلَه، وعلموا تفصيله، ففرعوه وفصلوه وحرروه.

شعراً:

لقد أنـزِل القرآنُ بالحـقِّ والهدَى ... وبيَّنـه المختـارُ للخلق في السّـنَنْ

فمـن يُـردِ التحقيقَ فليقْـفُ إثْرَهـمْ ... فقـد عرَفوا واسـتنبطُوا منه كلّ فَنّ

فاستقـام بذلك أئمة الـحقّ وولاة الأمر لـما وفـقهم الله، فـعرفهم به فـعرفوه وأبصروه، وأقاموا أحكامه في الخلقِ بالطوع والقَهر، فأيدهم الله ونصـرهم لما نـصروه، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١]. فإنه يجبُ عليهم وعلى جميع المسلمينَ الإقامةُ والاستقامة على أحكام رب العالمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مقتضى

قواعد الدين، على حسب القدر على مقتضى قدر الإمكان والتمكين، كما نصَّ عليه في القرآن وبينه نبيه ﷺ أتم بيانٍ، في قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

* * *

وقد أطنب العلماء في الكلام على ذلكَ، وأصلوه وفرعوه وفصلوه، لكل واقعة في كل شأن، واشترطوا لجواز ذلك ـ فضلاً عن وجوبه ـ شروطاً، اقتضتها أدلةُ الشرع، واستنباط القرآن. منها: تحققُ وقوعه على وجهه الجلي، بالخبر أو العيانِ، وكونه مجمعاً على شذوذه، أو شذُوذِ المخالف فيه، أو اعتقادُ فاعلِه حالَ تعاطيه له أنه من العصيان، وأنه لا بد من الاطلاع على حكم ذلك، وعلم ما فيه من الأقوالِ، ومعرفة اختلافه باختلاف الأحوال والزمان والمكان، والخبر بما يؤول إليه الحال مع الإنكار، خوفاً من زيادة المنكر وإطالة الطغيان.

شعراً:

فمن قصْدُه للأمر والنهْي بالهدَى	فيعلمُ حكمَ الله في كلّ واقعَةْ
وما فيه إجماعٌ ومختلفٌ ولا	يزالُ على درْسٍ وطُولِ مطالعَةْ
ويعلم ما يفضي به الحالُ بعده	لئلا يزيدَ الشرُّ عند المنازعَةْ

* * *

وأما عوامّ المسلمين؛ فالواجب عليهم إنكارُ ما عرَفوه بالقلب والجنان، وأما العلماء خاصةً فعليهم الإرشادُ والبيانُ، والزجر الشديد باللسان، وإيضاح الدليل وإقامة البرهان، واستتباع المتّبع المستمع على الاعتقاد والإيمان.

ثم على أئمة المسلمين وولاة الأمر تنفيذ ذلك على العموم بالقهر والإذعان،

وردع المفسدين وقطع المعتدين بالقسر ولو بالقتال والطّعَان، وليس ذلك إلى الآحاد ولا إلى العلماء الأفراد في شيء من هذا الشان:

فما نصحُ أهلِ العلم إلا لقائلٍ ... لإرشادهم يدري المقَال ويفهمُ

وإلا فما معنًى لإرشَاد معرضٍ ... عن [الحقّ] لا يصْغي ولا يتعلمُ

فإن لم يفِدهُ الدينُ والعقْلُ رُشْدَه ... فإن عليه السيفَ بالحقّ يحكمُ

فإن القيام بالأمر العامّ على الأنام، وقهر الطغاة وردع البغاة والمجاهرين الباغين على العباد، يرجع إلى ولاة الإسلام، فعليهم الاجتهاد في إقامة الجهاد، وقتال الباغين على العباد، والساعين بالفساد، ورد الخارجين عن الطاعة إلى الانقياد، فنسأل الله أن يوفقهم بذلك، ويسلك بنا وبهم في الحق أحسن المسالك، ويصلح بهم أحوال المسلمين في جميع الممالك، ويجزيهم أفضل الجزاء على ما هنالك.

* * *

وبعدُ؛

فإنك إذا علمتَ جميع ما قدمتُه، وفهمت بذلك ما أصّلتُه وفصلته وقسمته، تحققتَ أنه لا يتم الاستدلالُ بمطلق الآياتِ المذكورة في الذكر الحكيم، والآثار المشهورة عن النبي الكريم، على إقامة الحكم والتحكيم؛ إلا بعد مراعاة صحّة السمع، والتحصيل والجمع، والتأصيل والتفريع على قواعد الشرع، على ما تقدم من المنهج المعلوم، بين أهل التحقيق في العلوم.

كما لا يصحّ لمن أخذَ بطرفٍ من الفروعِ، الرجوعُ إلى المنقول والمسموع، إلا على منهاج الوصول على علم الأصول.

* * *

وإنه قد وصل إلينا كتابٌ كريم، محتوٍ على خطابٍ قويم، أبهى من الدر النظيم، وأشهى من الرحيق المزوج من تسنيم، كيف لا! وقد نضده قائله بنصوصِ الآيات البينات، وفصله ناظمهُ بفصوص البيانات الواضحات، من الأخبار الواردات، وقصده ـ إن شاء الله ـ وجْهُ الله، والإرشاد إلى الصراط المستقيم.

وهو وإن لم يجرِ في استدلاله بها على ما تقدّم من التأصيل والتقسيم، بل حملٌ له على العموم، مع اختلاف الحكم والتحكيم، لاختلاف الواقع بالتأخير والتقديم، أو التخصيص أو التعميم، لكنّ جميعَ ذلك مقبولٌ عندنا من حيث الإيمان والتسليم، مقابلٌ بالإذعان والتعظيم، محمولةٌ على ما فصله أهل العلوم، بالوجه المعلوم، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

شعراً:

طريقُ الحقِّ بالقرآنِ بانَتْ   مبانيها بتبيينِ الرّسولِ
وأضحتْ كالنّهارِ إذا تجلى   وإجلاباً أضاءَتْ كلَّ ليلِ
فلا تحتاجُ إيضاحاً وكشفاً   فما احتاجَ النَّهارُ إلى دليلِ

* * *

وأما ما أورده صاحبُ الكتاب من الآيات والأخبار، وآثره من الآيات والآثار، فكل ذلك عندنا معروفٌ، على ما هو المعروف في الأمر بالمعروف والائتمار، والنهي عن المنكر على ما تقرر في الفقه في أحكام الإنكار، وذلك معلومٌ عند كل ذي علمٍ واستبصار، مفهومٌ لكل ذي فكر واعتبار، مشهورٌ بين أهل العلم كالشمس في رابعة النهار:

علومُ الدّينِ فينا واضِحاتٌ   وأعلامُ الهدى فينَا مقيمةْ

وما نخشى ضلالاً بعد نورٍ تغشّانا وآياتٍ عظيمةْ
فمن يشهدْ فإن الحقَّ أجلى ومن يجحَد فذو عينٍ سقيمةْ

* * *

وأما ما أهداه صاحب الكتاب من النصيحة، وأبداه لنا من المواعظ الصريحة، والإشارات الصحيحة؛ فحذَّرنا من الغفلة والاغترار، وأرشدنا إلى التذكر والاعتبار، وخوَّفنا سوء العاقبة أو العقوبة في السكوت على الباطل وعدم الإنكار، وعدم المساعدة على زجر أهل المعانَدة، والإصرار على هتك حرمة المسلمين بالضرر والإضرار، فجزاه الله خيراً من ناصحٍ، وأثابه على قصده وعملِه الصالح، فقد ورد: «ما أهدى المؤمنُ لأخيه أفضلَ من كلمةٍ حكيمةٍ، يزيده الله بها هدًى أو يردّه عن ردى»، ونحن إن شاء الله للنصح من القابلين، وبه على تفصيله المتقدّم من القائلين، وبه عالمون، وعليه بتوفيق الله عاملون:

نرى الحقَّ والمعروفَ ديناً ومذهباً وننصرُه بالفعلِ والقولِ واليَدِ
ونسمعُ أقوالَ النصيحةِ والهدَى ونقبلُ وجْه الحقِّ من كل مرْشدِ
ونصدعُ بالإنكارِ في كلِّ منكَرٍ ونتبعُ شرعَ الهاشميِّ محمدِ

* * *

وأما ما عرّض به صاحبُ الكتاب إلى عرْض جهتنا، وأطال به عرض وجهتنا، وذكر ظهور الفواحشِ وانتشار المنكرات بها، وتمادي أهلها على التظالم، فاتصلت الضرورة والمضراتُ بسببها، **فالعهدةُ عليه** فيما قال، وإليه العمدة فيما نقله من هذه الأحوال.

وأما نسبته إلينا عدمَ الإنكار لحقّ الدين، والسكونُ منا على السكوتِ والإقرار للمفسدين؛ ثم تعويله علينا في القيام بما يرفعُ الفسادَ، والنهوض بما يدفع أهل العناد،

والإصرار على الإضرار!. **فلعمري** إنا لا نزكي أنفسنا، **فالله** أعلم بمن اتقى، ولكنا ندينُ الحق المعلومَ، ونأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر بما نستطيع، على ما تقرر في علم الأحكام، المعروف بين أهل المعرفة والعلوم.

ونرى أن ذلكَ من فروض الدين، ومن أفضل أعمال المتقين، ونعتقد أن الإقدام على ذلك، عند وضوح مقتضيهِ، عنوانُ اليقين، وعلامةٌ على الثقة برب العالمين.

فما نرى منكراً إلا وأنكرناه، ولا جاهلاً إلا وأرشدناه، متبعين في ذلك أقوال العلماء المهتدين، ومقتفين به آثار الشيوخ المرشدين في علوم الدين، وذلك حسب ما نستطيع على قدر الإمكان ومقدار التمكين، في الإقبال والقبول من المسلمين.

إلى الحقّ ندعو الخلقَ بالعلم والهدَى ... ونسلكُ فيما نابنا مسلكَ التقوَى

ومن قولِ بارينا وقولِ رسولنا ... وتقريرِ أهل العلْم نقتبسُ الفتوَى

فنعرفُ في المعروف معروفَ ذي الهدَى ... وننكِرُ بالحقّ المناكيرَ والأهوا

***

وأما ما أشار به إلينا صاحبُ الكتاب، بغصُون كلامه، ودل علينا به في غضون مَلامه، ونسبته إلينا مجاورةَ المفسدين ومجاورتهم، ومواكلة المعتدين ومجالستهم، وأن حكم الشرع قاضٍ بمنابذة هؤلاء، وسَدِّ الذريعة على اللزوم، ومهاجرتهم على العموم. **فجزْمُه** بذلك الحكم وعمومه، ووجوبه ولزومه، **لعلّه** ما أحاط به علمه، وأدركه فهمه، **وإلا** فإنّ تفصيله معلومٌ عند أهل العلوم، وحكمه مقسوم على اختلاف الأحوال في الإلزام واللزوم.

فقد يختلفُ ذلك باختلافِ الرجال، ويفترق الحكم بتفريق أهل العلم بحسب القصد في الأقوال والأفعال، فربما اشتبهت المداراةُ التي هي رأس العقل بالمداهنة،

والرفقُ الذين يزين الحقَّ بالملاينة، أو حسْنُ الخلق بالمداينة!. والقول الفصلُ مع أهل الخير في ذلك، أنه ليس الخبر كالمعاينة.

ولعمري إن نسبته إلينا ذلكَ على الإطلاق غير لائقَة، وبتّه الحكم بذلك كذلكَ طريقةٌ غير موافقة، وما استدل به في ذلك العموم من المعلوم فدلالته غير مطابقة[1].

شعراً:

مقاصـدُ أهـلِ الخيـرِ تظهـرُ بالسَّبكِ	فـلا يستقيمُ الحكمُ فيها على الشَّـكِّ
ومـا ضرَّ أهـلُ الصَّيـدِ صحبـةَ كلبِهم	وما شانَ أهلَ الدِّين قربُ أولي الشِّركِ
وقـد زيَّـنَ البسـتانُ تسـميدَ أرضِـهِ	وقد ينصـرُ الدِّيـنَ المصـدَّقُ بالإفكِ

* * *

وأما ما رواه صاحب الكتاب، من حكايات الولاة المتقدِّمين، وحكاه من رعايات الرعاة الناصحين، في قيامهم بنصر الدين، ونهوضهم بردع المعتدين، وإزالة فساد المفسدين؛ ثم ندبَنا إلى القيام بذلك، واتباع أولئك في تلك المسالك، وأنه من مهمات الدين، وعلامات اليقين.

فقد أعلمناهُ بما قدمناه فيما علِمناه، أن ذلك وظيفة ولاة المسلمين، وليس ذلك إلى الآحاد، ولا يجوز أن يقوم به الأفراد، ولا ينبغي أن يفتح بابُه إلا بعد كمالِ الاستعداد بعُدة الجهاد، لما في العجلة إلى ذلك من تهييج الفتن وانبعَاث الإنكار واتصال الضعْف والأحقاد، وزيادة الفساد، مع الافتئَات على ولاة الأمر بهذا الاستبداد، فإن حضرموتَ مخلافٌ من مخاليف اليمن، وبها صاحبُ الأمر قائمٌ إلى هذا الزمن، فالأمر إليه في هذه البلاد، والعهدة عليه في إزالة ما بها من الفساد.

---

(١) في الأصل: (مطلقة). ولكن السياق يقتضي أن تكون الكلمة (مطابقة)؛ لأن الدلالات عند الأصوليين ثلاث: مطابقة، وتضمن، والتزام، وأيضاً فالسجعة تقتضي ذلك أيضاً (مصحح).

شعراً:

نقـولُ بقول الحقِّ في كل محـضرِ ونعملُ بالتحقيق في السّر والجهْرِ
وليـس لنـا نصـبُ القتـالِ وفتحُه فذلـك ملـزومٌ بـه صاحـبُ الأمْرِ
وما نحن إلا عصبةُ العلم والهدَى نعاضِدُ أهل الأمْر بالحقّ والنـصْرِ

***

وأما ما صرّح به صاحبُ الكتابِ وأفصحَ به على سبيل النصْح والإرشاد، من لزوم الهجرة من البلاد، والخروج منها بالأهل والأولاد!. وما زعم أن ذلك من الواجبِ علينا، إن لم نقدر على رفع الفساد، وأن مساكنةَ المفسدين تدل على ضعْف اليقين، وعدم الثقة بربِّ العالمين.

فإطلاقُه هذا الحكْمَ على التعميم، لا يستقيم على المنهج القويم، ولا يطابق خطّ صوابِ الشرع المستقيم. فلو قيَّد ذلك بمن دانَ لأهل الباطل وهان، وخضع تحت عتوّ المنكر واستكان، ولم يستطع أن يدين بالحق ولا يدان.

وأما نحن ـ بحمد الله ـ في خصوصنا بالحقّ ظاهرين، ولأهله مظاهرين، لم يضرّنا في الدينِ كيد المفسدين، ولم يصدنا عن إقامة ما علينا تعدِّي المعتدين، ولنا العزة بالله وبرسوله وبالمؤمنين. فأما ما وراء الدِّين من الأموال والعرُوض والأغراض، فما في السماحِ به والإعراض عنه عارٌ، ولا نقصٌ في الدين، بل هو أفضل المقاصد. وأما ما وراءَ ذلك الخصُوص من العموم والحكم العام، فذلك كما تقدم إلى الحكّام، وولاة الإسلام، على ما تقرر في علم الأحكام:

نقيـمُ بوادينَا وندعـو إلى الهدى ونجهَر بالقولِ الـصَّريح ونرشِدُ
وليـسَ إلينـا قهـرُ كلِّ معانـدِ ولا جبْرُ من للحقّ في الحَقِّ يجحدُ

فذاك إلى الوالي ونحن لنصْحِه وإرشاده بالحقِّ نسعى ونقصدُ

* * *

وما استبشعه صاحب الكتاب، واستشنعه واعتقد أنه ترتب على هذه الأسباب، من تغاوُر الفتن الهائلة على جهتنا، وتواتر السيول المضرة السائلة على عرض بُقعَتنا، وتتابع الغارات المغيرات على أموال عشيرتنا وأهل عشرتنا.

فذلكَ كله إلى الله حكمه، وعند الله علمه، وليس لنا فيه عتاب ولا ملامٌ، ولا لنا فيه اختيار ولا كلام، والله سبحانه وتعالى قد يبتلي بعضَ عباده للاختبار أو لاختيارٍ، فيبلغهم درجات العلى بما نالهم من الشرور والأشرار، ويثيبهم إذا رجعوا إليه بالادّكار والاعتبار، والصبر والاصطبار.

وقد يكون ذلك عذاباً لمن شاء من الفجار والكفّار، فيذيقهم عذاباً دون العذابِ لعلهم يرجعون إليه سبحانه بالتوبة والاستغفار. فإن ذلك يختلفُ باختلاف العباد. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. وإذا ﴿أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦- ١٥٧]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ * أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥ - ١٢٦].

* * *

فنسألُ الله كمال اليقين، والثبات في الدين، وأن يحفظنا بما حفظ به عباده الصالحين، ويوفقنا لطاعته في كل حينٍ، ويحشرنا في حزبه وصفوة عباده المصلِحين، وأن يفعل

جميع ذلك بنا وأولادنا وإخواننا وأحبابنا في الدين، من المؤمنين وجميع المسلمين.

وهذا آخرُ ما تيسر من الجوابِ، والله أعلم بالصواب، وما المراد من هذا الجواب، والمقصود من هذا الخطاب، إلا بيان المعذرة الواضحة عند أولي الألباب، المقبولة عند أهل المعرفة العارفين بالسنة والكتاب، وإزالة ما عساه أن يقع وهمٌ أو شك أو ظن أو ارتيابٌ، فيصفي اعتقادَ كل معتقد من الأصحاب والأحباب، ويطفىءُ عناد كل مُعادٍ منتقدٍ مرتابٍ، فقد ورد: «المؤمن كثير بأخيه»، أي: في التناصُر على الحق والتعاضد، يحفظُه من ورائه، ويدفع عنه غيبة المغتاب، وعداوة الحاسد، والمؤمنون في توادهم وتناصرهم على الحق كالجسد الواحد.

***

فلا يسع المؤمن أن يسمع في أخيه الملام، إلا عند قيام الحجة، ولا يحكم عليه بمقتضى الظن والأوهام، بل بعد اتضاح المحجّة. فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الآية [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»، رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. وروى الترمذيّ عن ابن عمر: أن النبي ﷺ صعد المنبر، فنادى بصوتٍ رفيعٍ، فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا توفوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في رحله».

وروى الإمام أحمدُ، وأبوداود، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «حسن الظن من حسن العبادة».

***

فينبغي لكل مسلمٍ أن يعلمَ حرمة المسلم عند الله، ويحسن الظن به، ويلتمس له المعاذير، فإن ذلك مما يحبه الله. فقد ورد: «لا أحد أحبَ إليه العذر من الله»، وخصوصاً في هذا الزمان الذي غلب فيه الجهلُ والهرج، وعدم الجري على النظام والمشي على عِوَج، فاشتبهت الأحوال، والتبَستِ المقاصد والأفعال، وصار الإسلام غريباً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وكتاب الله إنما يتلى كالأسمار، وشاع هذا الحال وعم البلدان والأمصار، واتسع وذاع في جميع الأقطار.

وقال المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فإنه ﷺ قد أخبر بوقوع هذه الخصال، وأنذر بظهور الفتن واندراس رسوم الدين، وإن ذلك لا يزال على الاتصال، إلى ظهور الآيات الكبرى كالصخري[١] والمهدي والدجال، وذلك حكمُ الله القهري في بلاده، الجاري على عباده.

❊ ❊ ❊

فهذا أمره الذي عليه مدار الإسلام، وذاك قهرُه الذي يجب الرضَا به والإذعان له والاحتكام، فقوله الحق وله الملك، وهو عالم الغيب والشهادة، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده عقده وحله، لا يُسألُ عما يفعل وهم يُسألون، وهو الذي أعطى كل شيء خلقَه ثم هدى مقتضاه وحقه، وهو السميع البصير، العليم الخبير، نعم المولى ونعم النصير، فعبدُه به في بهجةٍ ونور، وضياء وسرور، فلا نعيمَ إلا شهوده وقربه، ولا عذابَ إلا بعدُه وحجبه، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، من علوم وأعمال، ومقاصد وآمال، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠] ويستبشرون، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ

(١) كذا في الأصل، ولعله يقصد السفياني، لانتسابه إلى أبي سفيان صخر بن حرب (مصحح).

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

* * *

فأما الدنيا؛ فهي أقلّ أن يهتم بشأنها ذو بصيرة، أو يظلم دخانها في حقيقة منيرة، كيف! وقد جاء: «**إن الله لم ينظر إليها منذ خلقها**»، وإنها عرَضٌ حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وقد يساوي المؤمنَ غيرُه فيها من الحيوانات في المأكل والمشرب والمنكح، حتى الكلب والكافر! ففي جمعها كل بلاء وعناء، وفي لذاتها وشهواتها ظلمات القلوب، ومشاركة كل ديني أو دنيّ.

وقد يستعبِدُ أهلها حجراً لا يضر ولا ينفع، فيصير عندهم أرفع وأسنى، وغايةُ ساعيها الموت، وجامعها التفرقة والفوت، ولو اجتمع شرورها وأشرارها على عبدٍ لم يبلغوا فيه إلا ما يبلغه الموت، الذي ليس له دافع ولا عذر منه ولا مانع، فالعجبُ كل العجب ممن يخشَى القتل دون المنية، ويخاف الفقْر وهو واقعٌ بالموت، فيذهب نفسُه وماله بالكلية.

* * *

فليعرفِ الموفقُ حاله قبل حلول رمسه، وذهاب نفسه، وليتأمل الزيادةَ والنقص في دينه ما بين يومه وأمسه، وليعلم أن كمالَ ما به حياةُ قلبه وقربه، معرفة ربه، وليخشَ من اتباع الشهوات، وتمادي الغفلات، أن يقسَى قلبُه ويموت، ويتلاشى نوره ويفوت، فليكثر ذكر ربه في كل حين، ويذكر بذكر الله نفسَه ليستقيم على خصال الدين، ويمتلىء بالخشية واليقين، ليحيا حياة طيبةً، عزيزاً بالله ورسوله والمؤمنين، ويعود إلى الله راضياً مرضياً في زمرة المتقين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]. ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر: ٣٤- ٣٥].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، وأتباعه وحزبه،

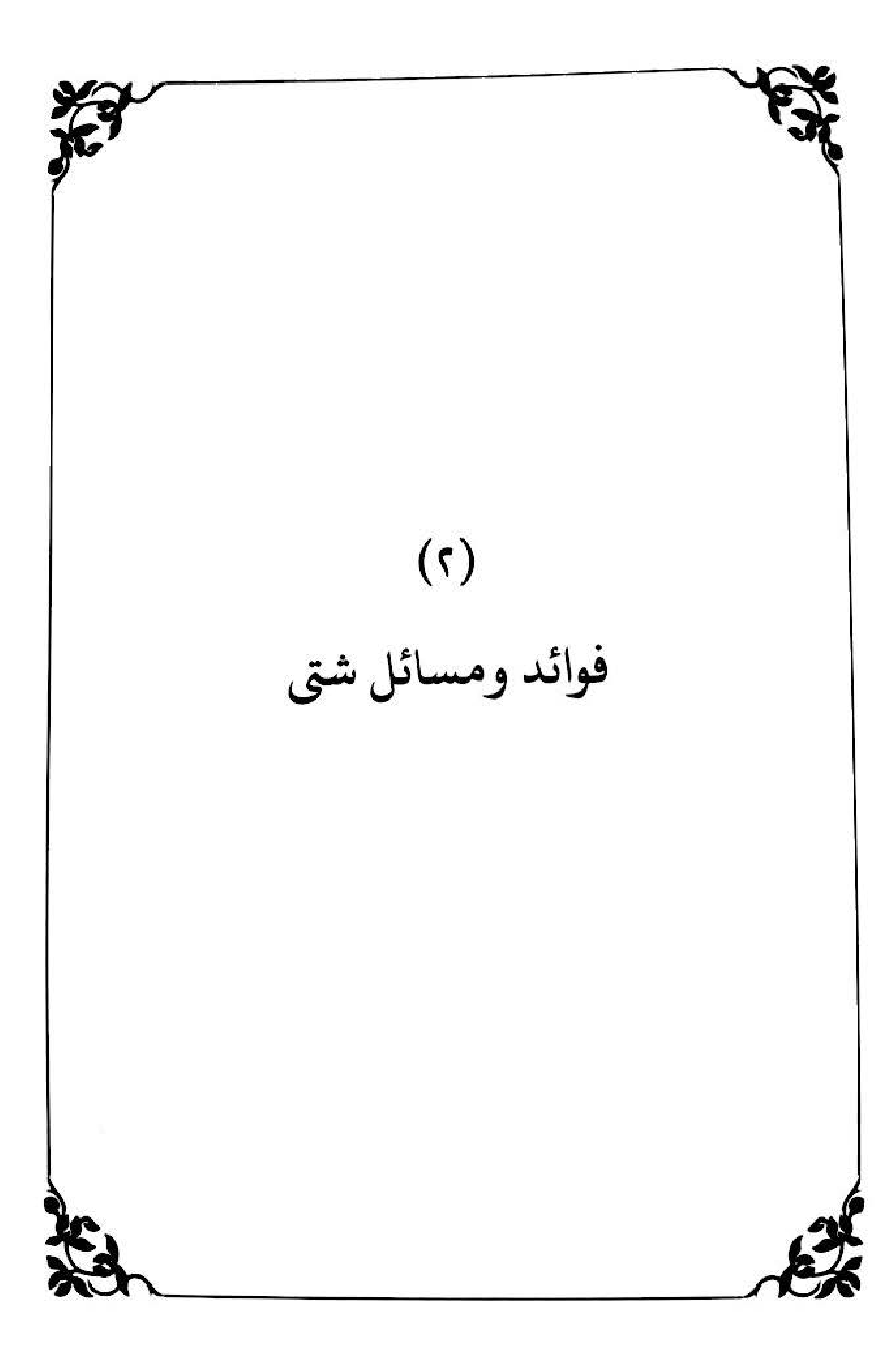
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين،

انتهى ليلة الثلاثاء الخامسة من شهر جمادى الأولى

سنة ١١٣٦ ست وثلاثين ومئة وألف»[١].

❊ ❊ ❊

(١) جاء في خاتمة الأصل: «وكان الفراغ من نقل هذا الكتاب في ضحى يوم الخميس الموافق ٤ شهر ربيع الآخر من عام ١٣٦٥ خمس وستين وثلاثمئة وألف».



(٢)

فوائد ومسائل شتى

(١) فائدة

[الحجة بالدليل لا بالفهم]

عن سيدنا الإمام الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه محمد علوي، مما نقله عنه سيدنا الحبيب حامد ابن الشيخ عمر حامد باعلوي نفعنا الله بهم.

قال: «فهْمُ العلماء بعضَهم بعضاً، لا يكون حجةً على بعضِهم، إنما الحجّةُ بالعلمِ والدليلِ»، انتهى.

(٢) فائدة

[في صلاة الحفظ في جميع الأمور وكفاية جميع الشرور]

الحمد لله وفي بعض مكاتباتِ سيدي الإمام عبد الرحمن بن عبد الله، نفع الله به:

«صلاة الحفظِ في جميع الأمور، وكفاية جميع الشرور:

يصلي أربعَ ركعاتٍ بتشهدٍ واحدٍ، بنية الحفظ في جميع الأمور، وكفاية جميع الشرور، وتكون بعد العشاءِ، وإن فُعلت مرةً ثانية بعد الشروق فهو أحسن.

يقرأ في **الأولى** بعد الفاتحة: أول سورة البقرة إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، و﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. و**في ثاني ركعة**، بعد الفاتحة: آية الكرسي. و**في ثالث ركعة**: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] إلى آخر سورة البقرة. و**في الرابعة**: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

هذه الصلاة.

وبعد السلام يدعو هذه الدعوات: «**يا من يجيب المضطر إذا دعاهُ، ويكشف السوءَ، يا غياث المستغيثينَ، أغثنا، أغثنا، يا من بيده ملكوت كل شيءٍ، وإليه يرجع الأمر كله، يا جار المستجيرين، أجرنا من كشف سترِكَ، ومن نسيان ذكركَ، والانصراف عن شكرك، لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين [ثلاث مرات]، ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.**

نسألك بحق محمدٍ وآل محمدٍ، أن تصلي وتسلم عليه، وأن تحفظنا في جميع الأمور، وتكفينا جميع الأشرار والشرور، إنك على كل شيء قدير».

(٣) فوائد
[تتعلق بفاتحة الكتاب]

فائدة أولى: للفاتحة خمسة وعشرون اسماً. منها: فاتحة الكتاب، وفاتحة القرآن، وأم القرآن، وأم الكتاب؛ لأنها أصل جميع القرآن. والكافية، لأنها وافية بجميع العلوم وكافية عن غيرها، ولا شيء يكفي عنها. ومنها: سورة الحمد، وسورة الشكر، وسورة الصلاة؛ لأنها لا تصح إلا بها. ومنها: سورة الرقية، والشفاء، والشافية؛ لأنها شفاء من كل علة، ورقية لكل وجع، والله أعلم.

فائدة ثانية: جميع الدين في الفاتحة، وجميع القرآن بيانٌ لها، وجميع الأحاديث بيان وشرح للقرآن، وجميع كتب العلماء وكلامهم بيان وشرح للأحاديث، فيرجع الكل إلى الفاتحة؛ ولذلك تسمى الأساس.

فائدة ثالثة: أوجب الله قراءة الفاتحة في كل ركعة؛ لأنها جمعت الأمر كله، فإذا قرأها العبد في صلاته فقد عبدَ الله بالدين كله، والعلم كله.

فائدة رابعة: ورد في الحديث: أن الفاتحة أفضل السور، وأنها شفاء من كل علة، وأنها شفاء من السم، وأنها لما قرئت له، من قرأها بقصد شيء يحصل له.

فائدة خامسة: ينبغي للمؤمن أن يجعل الفاتحة ورده وذكره، وعلمه وعمله، لذلك فإذا قرأ أولها يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بقصد: أتربع وأتحصن بالله من الشيطان وضره وشره. ثم يقرأ من أول الفاتحة إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، بقصد: أتحصن وأتربع وأتبرك وأستعين وأحصل مطلوبي باسم الله، وبرحمة الله؛ لأنه الرحمن الرحيم. والحمد والشكر له؛ لأن كل مقصود لا يحصل إلا بفضله ورحمته، يقرأ هذا (عشر مراتٍ أو مئة).

ثم يقول: يا ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ (عشراً أو مئةً)، ويقصد الطلبَ من مالك الملك، والعطاءِ والجزاءِ، أن يجعله من عباده الصالحين في كل حين، ويعينه على كل خير، وعلى مقصوده في قلبه.

ثم يقرأ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخرها، ويطلب من الله أن يهديه الطريق المستقيمة في الدين والدنيا، وفي الأمر الذي يقصده في قلبه، وأن يهديه طريق الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لا طريق الذين غضب عليهم من الكفار والفجار، ولا طريق ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ من العاملين. آمين، ومعناه: يا رب استجب لنا دعانا. انتهى. قاله وكتبه عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه محمد، عفا الله عنه.

نقلته من خط الشيخ محمد بن عبد الله باسودان، وهو نقله من خط والده، وهو نقله من خط الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر باعلوي، وهو نقله من خط الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باوزير، وهو نقله من خط سيدنا الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله المذكور، نفع الله بالجميع. كتب ذلك الفقير إلى الله علي بن عبد الله بن الحسين ابن الشيخ شهاب الدين، عفا الله عنه.

امين ومعناه يا رب استجب لنا دعانا اه انتهى قال
وكتبه عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن الفقيه محمد عفى الله عنه
نقلته من خط الشيخ محمد بن عبد الله باسودان وهو نقله
من خط والده وهو نقله من خط الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر باعلوي
وهو نقله من خط الشيخ عبد الرحمن بن احمد وزير وهو نقله من
خط سيدنا الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله المذكور نفع الله بالجميع

كتب ذلك الفقير الى الله
علي بن عبد الله الحبشي
الشيخ سالم
عفى الله عنه

(٤) مسألة في الطهارة
[في تطهير الآنية المتنجسة بإيراد الماء الطهور]

سُئِلَ سيدنا الإمام العلامة المحقق عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه محمد باعلوي:

مسألةٌ: هل يشترطُ في غسل الإناء المتنجس، إذا ورد عليه طَهورٌ، الإدارةُ فوراً، أو لا يشترطُ، حتى لو أُورِد عليه طهورٌ فلم يعمَّه، فأدارهُ عليه بعد يوم مثلاً، طَهُر؟ أفتونا مأجورين.

الجواب والله الموفق للصواب:

قال في «التحفة» [١/ ٣٢٠]: «إن الأرضَ إذا لم تشرب ما تنجّست به، لا بد من إزالة عينِه قبل صب الماء القليل عليها، كما لو كان في إناءٍ، وهو المعتمد»، هذا عبارة الشيخ في «التحفة». ثم قال: «[وإفتاء بعضهم بخلاف][1] ذلك توهماً من بعض العباراتِ غيرِ صحيحٍ، ونقل أقوال الأئمة رَضِيَ الله عنهم في ذلك، إلا أنه قالَ في ذكر المسألة [١/ ٣٢٢]: «وأنه يتعين في نحو الدم إذا أريد غسلُه، بالصبِّ عليه في جفنةٍ مثلاً، والماء قليلٌ، إزالة عينه، وإلا تنجسَ الماءُ بها بعد استقرارِه معها فيها»، انتهى...[2] المعتمد أنه يشترط لعملها ردّ نحو الإناء بالإدارة، خلوُّه عن غير...[2] وأنه لا يشترط التوريدُ. وسواءً كان الإناءُ متنجساً كله أو بعضُه.

وما أشار إليه بما مر أول الطهارة واضح في ذلك. وهو قوله [١/ ٨٩]: «[وبه يعلم][2] أنّ الواردَ القليلَ لا ينجُس بملاقاة النجاسة. وقولهم: أن الإناء يطهرُ حالاً بإدارة ماءٍ على جوانبه، أي: ولو بعد أن مكثَ الماء فيه مدةً قبل

---

(١) بياض في الأصل بسبب الأرضة، والتتميم من «التحفة».
(٢) بياض في الأصل بسبب الأرضة.

الإدارة، على ما جزم به غيرُ واحدٍ، أخذاً من كلامهم. أي: لأن إيرادَه منعَ تنجُّسَه بالملاقاة، فلا يضرّ تأخيرُ الإدارةِ عنها. محلُّهما في واردٍ على حكميةٍ أو عينيةٍ، أزال جميعَ أوصافِها، بخلاف ما لو وردَ على عينيةٍ بقيَ بعضُ أوصافِها، كنقطة دمٍ، أو ماءٍ متنجّسٍ ولم يبلغهما. أي: القلتين. ثمّ رأيتُ الأسنويَّ وغيرَه، صرحوا بذلك، فما في «الجواهر» وغيرها، من أنه لو صبَّ ماءً بإناءٍ فيه نجسٌ مائعٌ، ولم يتغير به؛ طَهُر بالإدارةِ؛ ضعيفٌ»، انتهى. فتأمل ذلكَ، تعلمْ منه أنّ المعتمد عليه.

نقلتُه[1] حرفاً بحرفٍ من خط سيدي الحبيب الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه محمد باعلوي، نفع الله بهم.

(٥) فائدةٌ
[في ترك الوسوسة في المعفوات]

قال سيدنا الحبيب الإمام عبد الرحمن بن عبد الله ابن الفقيه باعلوي في بعض مكاتباته: «كل مَا غُلّبَ تنجسُه طاهرٌ، ما لم يتحقق بالحسِّ، فمن حكم بنجاسة ذلك، فقد افترى على الله كذباً. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾، الآية [الإسراء: ٣٦]. ومن الورع: تركُ الورعِ في بعض ذلك، كثيابِ الصبيان، وضرع الشاة التي تربُض في النجاسات، والبرُّ الذي يداس عليه. فمن تورع في شيء من ذلكَ، فقد خالف السنة. الله الله سيدي، الحذرَ الحذَر الوسواسَ، فإنه يغير القلبَ، ويضر في الدين، وقد يؤدي إلى الجنون». انتهى من كلام سيدنا الحبيب عبد الرحمن، نفع الله به وبعلومه وسلفه.

---

(١) القائل هو تلميذه الشيخ عبد الرحمن باوزير.

(٦) مكاتبةٌ
من سيدنا الإمام الحبيب عبد الرحمن بلفقيه
للشيخ عبد الرحمن بن أحمد باوزير

«الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

من الفقير إلى الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه محمد باعلوي.

إلى الجناب الأجل الأكرم، المعلّم الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد باوزير، سلمه الله. وخصه بجزيل السلام.

وقد جوبنا عليكم، حيث أنا فقدنا الورقة التي أرسلتوها، وقد...[1] ذكرتم من أجْل الحبيب حفظه الله تعالى، واعتناه بنا، وسؤاله عنا، فجزاه الله عنا كل خيرٍ.

فذلك الظن فيه؛ لأني صرت وحيداً في البلد، غريباً، عاجزاً في جميع الأمور، ولكن الله لطيف. وما ذكرتم من أجل قول محروس: إنا سألنا...[2] الكتب الذي عندكم، فما طلبنا ولا سألنا. وما قلنا له إلا: إن المعلم عبد الرحمن انقطعت منّا كتبه، ولا عاد دخل للزيارة، فكأنه غلِطَ، والكتب مطروحة، إن أردتوهن أو غيرهنّ، فما قصدنا إلا النفع.

وذكرتم من جهة القاضي والنائب ومتولي الأيتام: من يوليه؟

فالجوابُ: يوليه المطاعُ في تلك الناحية، بحيثُ إنه إذا صمّم على مراده؛ رجعَ إليه مخالفوه أو أكثرُهم.

---

(١) بياض بسبب الأرضة.

(٢) بياض بسبب الأرضة.

وقد سأل الفقيه عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عمر العموديُّ، الشيخَ ابن حجرٍ، عن المطاع؛ هل هو بقهر السيف؟ أو بالاعتقاد؟ أو بالإجلال والاحترام؟

فقال: بالسيف، كما في بلدان الكثير التي كانت به، وعن ولاءٍ لاعتقادٍ كما في بُلدان سلف آل العمودي، أو بالإجلال كما في الرّباطات والزوايا. فإن كان المطاعُ هناك جماعةً، اجتمع من تيسر اجتماعُه من العلماء والصلحاء.

فجوابُ الشيخ ابن حجر وسؤال العمودي موجودان بخطّهما، في جملةِ «فتاوى» عند السيد شيخ [بن] مصطفى. وقد سألني السيد علوي بن طه، فعرّفته بذلك كله، وأن الحبيب الشيخَ أحمد: مطاعٌ في جميع باطنة حضرموت، باعتقادِ الجند فيه، وما للسلطان إلا الاسمُ؛ لأنه منقادٌ للشيخ الحبيبِ، وتابعُه.

وكذلك السيد عيدروس، وابن يماني، إنما لأجل الاحتياطِ، وإلا فهم تابعونَ للحبيب في الباطنة، إلا إن كان في الجبال، والسلام».

[(٧) صورَةُ إلباسٍ
من الحبيب عبد الرحمن للشيخ باوزير]

وهذا صورةُ إلبـاسٍ من سيدنا الإمام العـارف بالله، الوجيه عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن الفقيه محمد باعلوي، لمحبه وتلميذه، الفقير الشيخ عبد الرحمن ابن أحمد باوزير:

«الحمد لله الذي منَّ علينا بالاتصال بأهل الإيصال، ووفقنا لسنة نبيه وحبيبه قدوة أهل الولاية والكمال، ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين له في النية والأقوالِ والأفعال.

وبعد؛ فقد ألبسني سيدي وشيخي العلامة، الحبر الفهامة، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن الفقيه محمد باعلوي، الخرقة الشريفة العلوية السّنية، كما لبسها

عن أبيه بسنده، وعن سيدنا عبد الله بن علوي الحدّاد، وغيرهما من الأئمة، يعسر حصرهم، نفعنا الله بهم. وكان ذلك أول جماد أول سنة ١١٥٤.

وقد لبستُ من سيدي الحبيب الصفيّ، الجمال محمد بن طالب ابن الشيخ حمزة، في ربيع الثاني سنة ١١٥٤، كما لبسها من سيدنا سالم بن الشيخ شيخان، عن أبيه، عن جده الشيخ الحبيب الحسين، عن أبيه شيخنا الشيخ أبي بكر بن سالم.

ولبستُها أيضاً، من سيدي العلامة الصفي محمد بن زين بن سميط علوي، في قبة سيدنا الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، بعد صلاة العصر، لعله تاسع عشر جماد الآخر، سنة ١١٥٤؛ كما لبسها عن سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد. وعن السيدين الصفيين: أحمد بن زين الحبشي، وعمر بن الحامد علوي، كما لبساها عن سيدنا عبد الله بن علوي الحداد، المذكور.

وألبسني سيدي وشيخي الحبيبُ الصفيُّ، سالم ابن سيدنا عمر بن الحامد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، مراتٍ متعددةً، كما لبس عن جملة من المشايخ الكبار. **منهم** سيدنا الشيخ عمر ابن الشيخ حسين، وسيدنا الشيخ علي ابن الشيخ محسن، وسيدنا الشيخ علي بن عبد الله ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وسيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد، بأسانيدهم المشهورة، نفعني الله بهم آمين.

وألبسني أيضاً سيدي العلامة المنوّر، الحامد ابن سيدنا عمر بن حامد باعلوي، كما لبسها عن أبيه، وذلك آخر شعبان سنة ١١٥٤.

وألبسني السيد الأنور، علي بن محمد بن عبد الله الصلييبة العيدروس، والسيد الحبيب إسماعيل ابن الشيخ أحمد العيدروس، مراتٍ.

وألبسني الشيخ الفاضلُ المنوّر، محمد بن ياسين باقيس الدوعني، ببندر الشحر، وذلك حين رجُوعي إليه من الحرمين الشريفين، في جمادى الآخر من سنة ١١٤٣.

وأجاز لي في كتب سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم، وسيدي عبد الله الحداد، وفي جميع مروياته. كما لبس وأخذ من سيدنا العارف بالله عبد الله بن علوي الحداد، وعن الشيخ العارف الولي علي باراس، كلاهما لبسًا وأخذًا عن السيد الكبير العارف بالله عمر بن عبد الرحمن العطاس، عن الحبيب الشيخ الإمام الحسين ابن الشيخ القطب الكبير أبي بكر بن سالم».

كتبه أحمد عثمان

(٨) فائدة

«وهذا وِردُ الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه التريمي الحضرمي، نفع الله بعلومه، آمين»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٧].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٥].

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤].

اللهم إني أقدمُ بين يدَي كلِّ نفسٍ، ولمحةٍ، ولحظَةٍ، وطرْفةٍ يطرف بها أهلُ السماوات والأرضِ، وكل شيء في علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدَي ذلك كله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ * لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥ - ٢٥٧].

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٤ - ٢٨٦].

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١٠ - ١١١]؛ الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا * فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا * فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ * رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ * فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾ [الصافات: ١ - ١١].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٤].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ

ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢١ - ٢٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا * وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ١ - ٤]

* * *

باسم الله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، آمنا بالله، تبنا إلى الله، فوضنا أمرنا إلى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إلى الله، حسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]. توكلنا على الله، والله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، من جميع ما نخاف ونحذر.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فاغفر لي وارحمني وتب عليَّ إنك أنت التوابُ الرحيم. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فاغفر لنا يا غفَّار.

يا مَن وسعَتْ رحمتُك كلَّ شيء، وإنْ لم نكن لرحْمتك أهْلاً، أنت أهلٌ لنا، فارحمنا جميعاً يا أرحم الراحمين. يا مَنْ بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجعُ الأمْرُ كلُّه، أجرنا من جميع الأمور، ومن جميع الشُّرور، واكْفِنا أمْرَ أعدائنا، بقدرتك التي لا يقابلها شيءٌ.

يا علي يا عظيم، يا حيُّ يا قيّوم، برحمتك نستغيثُ، ومن عذابك نستجير، أصلحْ لنا شأنَنا كلَّه، ولا تكلْنا إلى أنفسنا ولا إلى أحَدٍ من خَلْقِك طرْفةَ عين، واكفنا شر أعدائنا، والمؤذين والظالمين والحاسدين، في أمور الدنيا والدين.

اللهم إنك قُلتَ ادعوني استجبْ لكم، وإنك لا تُخلفُ الميعاد. صدق الله وعده، ونصَر عَبْده، وهزم الأحزابَ وحْدَه. يا غياث المستغيثين أغثني، ويا جار المستجيرين أجرني.

يا كافي من كل أحد، ولا يكفي منك أحد. يا أحد من لا أحَدَ له.. يا سند من لا سند له، انقطع الرجاءُ إلَّا منكَ، وزال الطمع إلا فيكَ، نجِّنا ممَّا نحْنُ فيه، وأعنَّا على ما نحنُ عليه، مما نزلَ بنا، بحقِّ وجهكَ الكريم، وجاه نبيك العظيم، نسألُكَ فَرجاً عاجلاً، ولطْفاً شاملاً، وصبراً جميلاً، والعافية من كلِّ بلية، يا أرحم الراحمين.

باسم الله بابُنا، تباركَ حيطانُنا، يس سَقْفُنا، كهيعص كفايتُنا، حمعسق حمايتنا، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. وستْر العرش مسبولٌ علينا، وعينُ الله ناظرةٌ إلينا، بحول الله لا يقدر علينا، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۞ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۞ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢٠ - ٢٢]. ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

باسم الله على نَفْسي وديني، باسم الله على أهلي ومالي وأولادي، باسم الله على كل شيء أعطانيه ربي. باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهوَ السميع العليم، تحصنتُ بالحيِّ القَيُّوم الذي لا يموت أبداً ودفعت عني وعنهم كل سوء بلا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم.

حسبي الله لديني، حسبي الله لدنياي، حسبي الله لمن غرني، حسبي الله لمن كادَني بسُوء. حسبي الله وكفى، حسبي الله لمن دعا، ليس وراء الله ولا دُون الله مُلتَجأ. ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله رب العالمين.

* * *

(٣)

خاتمة الجواب والبيان

في أن المحسودين في الخير
في زيادة لا نقصان

تأليف سيدنا الشيخ الإمام

وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

نفعنا الله به وبعلومه في الدارين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من لا يشغله شأنٌ عن شأن، ولا يخفى عليه خاطر جنان، ولا لفتة ناظر ولا لسان، فله الحمد على ما منح من إحسان، وفتحَ من عرفان، والصلاة والسلام على المصطفى من عدنان، وآله وأصحابه وأتباعه وحزبه في كل زمان ومكان.

وبعدُ؛

فهذه بعض نبذةٍ ختمت بها بعض الرسائل الصادرةِ في جواب إحدى المسائل الواردة من أحد الأعيان، من شاسع البلدان، حملَني على ذكرها ما جرى عليَّ من بعض أهل اللسان الزمان، من إطالة اللسان بالسب والغيبة والبهتان، وما أرى له سبباً إلّا الحسد والبغض والشنآن، فالله يغفر لي ولغيره من الأقران، وما أجازيه إلا بما يرَضِيَ الرحمن ويسخط الشيطان، من الصبر والتقوى وحق الإيمان، والله المستعان وعليه التكلان.

فكرت[1] الخاتمة، وأفرد منها تسليةً لبعض الإخوان المتوجعين من هذا التعدي والعدوان، ليعرفوا أن ذلك لي زيادةٌ لا نقصان، وربحٌ لا خسران، ولئلا يظنّ ظانٌّ أن إعراضي عن الرد والجدالِ عجزٌ وانخزال وخذلان، بل علمتُ أن ذلك لا يفيد فإن كلام الحاسد لا ينقطع، فلا لحجةٍ يستمع، ولا ببرهان ينتفع، وإنما هو طمَعٌ عليه طُبع، قال الإمام الغزالي: «وإياكَ ثم إياك، أن تشتغل بجدال الحاسدين، والرد على

---

(١) كذا في الأصل.

المعاندين، فتأخذ في خصامهم، أو تطمعَ في إفحامهم، فإن ذلك طمعٌ في غير مطمَع، وضربٌ من غير متسَع. أما سمعتَ قول الشاعر:

كلّ العداوة [قد] ترْجَى إماتتُها	إلا عداوة من عاداكَ من حسَدِ

ولو كان في ذلك مطمعٌ لأحدٍ من الناس لما تُلِيَ على أجلهم رتبة آياتِ إلياس، أوما سمعت قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]»، انتهى كلام الغزالي.

وعن معاوية رَضِيَ الله عنه أنه قال: «كل الناس أقدرُ على رضاهم، إلا الحاسدين، فإنهم لا يرضيهم إلا زوالُ النعمة التي أنعمَ الله بها عليَّ».

ولله در القائل:

ادأبْ على جمعِ الفضائل راشداً	وأدم لها تعبَ القريحة والجسَدْ
واقصِدْ بها وجه الإله ونفعَ من	بلغتْه ممن جدَّ فيها واجتهدْ
واتركْ كلامَ الحاسدين وفعلهُم	هملاً فعند الموتِ ينقطعُ الحسَدْ

وقال آخر:

قلْ لمن لا يَرى المعاصِر شيئاً	ويرى للأوائِل التقْديما
إن ذاكَ القديمَ كان حديثاً	وسيبقَى هذا الحديثُ قديما

وقال آخر:

تـرى الفتَى يجحـدُ فضل الفتَى ... مـا دام حيّاً فـإذا مـاتَ ذهـبْ

كأن لـه حـرصٌ علـى نكبـةٍ ... يكتبهـا عنـه بمـاءِ الذهـبْ

وقال آخر:

إن يحسـدوني فإنِّـي غيـر لائمهـمْ ... قبلي من الناسِ أهلُ الفضل قد حسدوا

إن الـذي يجدُونـي فـي صدورهـمُ ... لا أرتقـي صـدراً منهـم ولا أردُ

فـدامَ لـي ولهـم مَـا بـي ومَـا بهـمُ ... ومـا اكترثنـا غيظـاً بمـا نجـدُ

وقلتُ أنا:

يـا مـن قلانـي عنتـاً ... يـريـدُ غَيظـي بالحسَـدْ

إنـي بـأهنَـى نـعْمَـةٍ ... في خيرِ عيشٍ ورغَـدْ

وأنـتَ منّـي فـي عَنَـا ... في حُرقَـةٍ وفي كمَـدْ

فقـد عصيـتَ ربّنـا ... ودمـتَ في عيشِ النكَـدْ

***

هذا؛ والمقصودُ الإيضاح والبيان، لسائر المحبين والإخوان، بأن ما أملى به أهل الفضل والإحسان، والعلم والعرفان، من سب الجاحدين والتعدي عليهم بالأذى والعدوان، زيادةٌ في شرفهم بلا نقصان، وربحٌ بلا خسران، وعنوانُ حسنِ العاقبة وعلو الشان.

وقد ورد في تفصيل قصص الأنبياء والمرسلين وما نالهم من الأذى والامتحان، من أهل الحسد والبغي والطغيان، ما هو مشهور في آياتِ القرآن، ومنشور في الأحاديث الصحاح والحسان، فلا تحتاج إلى بيان، ولا يتوقف على نظر وإمعان، وبذلك جرت سنة

الله فيهم، واستمرت على اتباعهم من الأولياء والصالحين، والعلماء والعارفين في كل زمان.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الأنعام: ١١٢] أي: كما جعلنا لك أعداءً يؤذونك، جعلنا ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١].

* * *

وذكر السيوطي في كتابه «التحدث بالنعمة»، ما صورته: «ومما أنعم الله به عليَّ: أن أقام لي عدواً يؤذيني ويمزق في عرضي، ليكون لي أسوةٌ بالأنبياء والأولياء.

قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون»، رواه الحاكم في «مستدركه».

وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام: «لا يفقد نبيٌّ حرمتَه إلا في بلده». وروى البيهقي: أن كعبَ الأحبار قال لأبي موسى الخولاني: كيف تجدُ قومك لك؟ قال: سامعين مطيعين، قال: ما صدقتني التوراةُ إذن والله. ما كان رجلٌ حكيم في قوم قطّ، إلا بغوا عليه وحَسَدُوه».

وأخرج ابن عساكر مرفوعاً: «**أزهد الناس في الأنبياء وأشدهم عليه الأقربون وذلك فيما أنزل الله** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]».

وكان أبو الدرداء يقول: أزهد الناس في العالِم أهلُه وجيرانه، إن كان حسِد بشيء عيّرُوه، وإن عمل في عمرِه ذنباً أذاعوه»، انتهى المراد منه.

* * *

وذكر الشعراوي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي أنه قال: «جرت سنة الله في الأنبياء والأولياء: أن يسلط عليهم الخلقَ في ابتداء أمرهم بالأذى والامتحان، وإخراجهم من البلدان، ورميهم بالزور والبهتان، ثم تكون الدولة لهم أخيراً إن صبروا. وكان يقول: لا يكمل عالم في مقامِ العمل حتى يُبتلى بأربعٍ: بشماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء، فإذا صبر على ذلك جعله الله إماماً يهتدى بأنواره، ويقتدى بآثاره».

* * *

ويروى عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب «الصحيح»: أن العالم إذا كمُل في العلمِ ابتُلي بأربع: بشماتة الأعداء، وملازمة الأصدقاء، وطعن الجهلاء، وحسد العلماء. فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله في الدنيا بأربع: بعز القناعة، وهيبة النفس، ولذة العلم، وحياة الأبد. وأثابه في الآخرة بأربع: بالشفاعة لمن أراد من إخوانه، وبظل العرش حيث لا ظل إلا ظلّه، ويسقي من أراد من حوض نبيه محمد ﷺ، وبجوار النبيين في أعلى عليين في الجنة»، انتهى.

وقوله «ملازمة الأصدقاء»، بالزاي قبل الميم الثانية. ومعناه: ظاهرٌ. وعدّه من البلاء؛ لأن في لزوم الأصدقاء لتحصيلِ مقاصدهم مشقةٌ، وهو فيما قبله عن الشيخ أبي الحسن: «وملامة الأصدقاء»، بدون زاي، يحتمل أن تكون تصحيفاً، وأن يكون على ظاهره، لأن الأصدقاءَ إذا طلبوا مقاصدَهم فلم تحصُل لهم، يلومونَ المقصود بها. وفي الحديث: «الإمارة ندامة».

وقوله: «حياة الأبد»، المراد بها هنا: بقاءُ ذكرِ العالم في الدنيا ما دامت.

* * *

ونقل الشعراوي عن شيخه علي الخواص، أنه كان يقول: لا بد لأهل الله من أعداء يؤذونهم، فإذا صبروا كانت لهم الإمامة. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]. ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ [الأنعام: ٣٤]. فما بلغوا مقام الإمامة إلا بعد مبالغتهم في الصبر وتحمل الأذى».

قال: «والحكمة في ذلك: أن الحق سبحانه لا يصطفي عبداً من عباده وهو يطلب المنزلة عند الخلق، وهو تعالى يسلط على من يريد اصطفاءه الخلق بالأذى والامتحان، حتى لا يميل إليهم؛ لأنهم لو أحسنوا إليهم مالوا إليهم بالضرورة.

ثم يريد الله أن يلحقهم بالأنبياء ويوفر لهم أجورهم، وفي الحديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[(١)]. فكان من رحمة الله لأوليائه أذى الناس لهم لتوفير أجورهم ليوافوا بها يوم القيامة كاملةً، لم ينقص منها شيء، فإن غالب من يعتقده الناس ويعظمونه بتقبيل الأيدي والأرجل، حكمُه حكم من نصبَ منجنيقاً يرمي به حسناته شرقاً وغرباً.

وكان رَضِيَ الله عنه يقول أيضاً: لا يكمل الفقيرُ حتى يكون قطباً يدور عليه الأذى من أهل إقليمه كلهم، كما تدور الرَّحى على قطبها.

وقال أيضاً: كل من يكونُ من المحبين لله وأصحابهم فلا بدّ لهم من وجود حساد وأعداء يؤذونه، ويحسن له الإدمان على تحمل أذى الطريق وأهوالِ الآخرة»، انتهى كلام الشعراوي.

* * *

---

(١) قال السخاوي: «قالَ شَيْخُنَا ومن قبله الدميري والزركشي: إنه لا أصل له، زاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر، وقد مضى في: أكرموا حملة القرآن، كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء، إلا أنهم لا يوحى إليهم، ولأبي نُعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه: أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد»، المقاصد الحسنة: ص: ٤٥٩.

وقد قدمنا: أن كل صادق قام يدعو إلى الحقّ فلا بد أن يعاديه أولاً أكثر الخلق، من أبناء الدنيا، وأهل الأهواء، وأعوان الشيطان، لقيام المخالفة الطبيعية، ودوام المباينة الشرعية، فإذا صبرَ كان له النصر والعاقبة، فالعاقبةُ للتقوى والنصر مع الصبر، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥] ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فمن طلبَ مسالمة الناس ليسلم عرضُه من ألسنتهم وقعَ في الرياء والمداهنة بغير شك، وقد يظن من لا عقلَ عنده أن ذلك كمالُ العقل، وحسن المداراة، وليس كذلك.

[الأسوة بابتلاء سيد المرسلين]

فأي داعٍ أفضلُ وأعقل من سيد المرسلين!. وغير خافٍ ما وقع عليه من قومه من الأذى والامتحان، وإذاعة السب والشتم له، والإزراء عليه بالزور والبهتان، وكان في الموسم يدعو الناس إلى الإسلام، وكلما قام إلى قبيلة ودعاهم إلى الحق وتلا عليهم القرآن، قام أبو لهب يكذبه، ويصدهم عنه، ويرميه بالإفك والنقصان.

[ابتلاء الخلفاء الأربعة]

ثم لا يخفى ما وقع بعده للشيخين، حتى قيل: ما ترك الحقُّ لعمرَ من صديقٍ. وقتل شهيداً، وقيل: إن أبا بكر مات مسموماً، وقُصد عثمان بالامتحان، واجتمع عليه الأعداء والحساد بالبلوى، وتحزبوا من كل مكان فصبر واحتسب، حتى قتل وهو يقرأ القرآن، وقام عليّ بعده بالحق الجلي، ولم يبالِ بمن خالفه وآذاه، وما زال يُلعَن على المنابر في البلدان، ووقع للحسنين من ذلك زيادةٌ، أوجبتْ لهما الشهادة وبلوغ غايات السعادة.

وقالوا لسعدٍ: إنه لا يحسنُ يصلي، ولا يجزل العطية، ولا يعدل في القضية، في ذم كثيرٍ من أهل الكوفة، وهو إمامُ أهل الإيمان، وأول الناس في هذا الشأن، ووقع

مثله لسعيدٍ وطلحة والزبير وعبد الرحمن. وأُخرج ابن عباس من مكة، وقتل الزبير، وقيلَ: إن ابن عمر مات مسموماً، والله المستعان.

ثم وقع في التابعين بإحسانٍ، لأويس القرني، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وغيرهم ما لا يحتاج إلى بيان.

وبعد ذلك لأكابر الأئمة من أهل البيت، كزين العابدين، وعبد الله بن الحسن، وأولاده. ومحمد الباقر، وأخيه زيد بن علي، وجعفر الصادق، وولده موسى بن جعفر، وغيره. وهم أهل العلوم والمعارف، والحق والبرهان، وكم آذاهم الحسادُ، ووشَى بهم الواشون، حتى امتحنهم السلطان.

حتى جرى ذلك كذلك على أئمة الدين، وعلماء المسلمين، كالإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن نصر، وسفيان، والبخاري، وغيرهم، حتى رموهم بالبدع، وآذوهم بالامتحان.

ولحق ذلك، وأعظمُ منه، أكابرَ الصوفية والأولياء العارفين، كالجنيد، وأبي يزيد، وذي النون، وسهل، وغيرهم من الأعيان، ومشايخ العرفان.

ورموا الإمام الغزالي بالزندقة، وحكموا بإحراق كتبه، خصوصاً «الإحياء»، فحفظه الله وصانه.

ولما ظهر الشيخ أبو الحسن الشاذلي ببلاد المغرب، تحزبت عليه الأعداء والحساد من كل جانب، ورموه بالعظائم، ومنعوا الناس من مجالسته، ورموه بالزندقة والإفك والبهتان. ولما أراد السفر إلى مصر، بادروا وكتبوا إلى أهل مصر، حتى السلطان. وقالوا: إنه سيأتيكم رجل مغربي من صفته كذا وكذا فاحذروه، فإنا أخرجناه من بلدنا لأنه فتّان، قد أفسد عقائد المسلمين، وهو من كبار الملحدين، ومعه استخدامات

من الجان!. ورمَوا الشيخ عزَّ الدين بن عبد السلام بالكفر، فعقدوا له مجلساً لمجرد الحسد والعدوان.

***

ولم يزل هذا شأن أهل الفضل والعلم، وأئمة الدين في كل زمان، وقد اشتهر بذلك ما وقع لجماعة من سلفنا من أكابر العارفين، كالقطب الغوث الفقيه محمد بن علي، والشيخ سالم بن بصري، والسيد علي بن علوي، والشيخ عبد الرحمن السقاف، وأولاده، مثل أبي بكر السكران، وعمر المحضار، والشيخ العيدروس، وأخيه الشيخ علي، والشيخ أبي بكر العدني، والشيخ عبد الرحمن بن علي، والشيخ شهاب الدين، والشيخ أبي بكر بن سالم، وغيرهم من أكابر الأولياء، أهل العلوم والمعارف والإحسان.

فجرى عليهم ما جرى من أهل أرضهم، خصوصاً القرابة والعشيرة والجيران، حتى أن منهم من أقلقه ذلك، وأخرجه عن الأوطان. وذلك مشهور في مناقبهم، منثور في كتبهم، لا يحتاج إلى بيان، وكفى بمن ذكرناهم قدوةً، وبما حصل لهم أسوةً، لكل إنسان. وفي ذلك كله أصح دليلٍ، وأوضح برهانٍ، على أن طعن الحاسدين، وقدح الجاحدين، زيادةٌ لا نقصان، وربح لا خسران.

قال الإمام الغزالي في «فيصل التفرقة»: «واستحقر من لا يُحسد ولا يُقذف، واستُقصر من بالكفر يفرق»، انتهى.

***

وكم جعلَ الله أذى الحساد وامتحانهم لمن أرادَ أن يصطفيه تبييناً لظهور قدره، وعلو أمره، وانتشار ذكره، وكمال تأييده وصبره، وزيادة في أجره، فإن ذلك مقدمة الاجتهاد، وإقامة للجهاد، وحصول الاستعداد لمراتب الإمامة والإرشاد، وحصول

النصرة والانقياد، وحسن الاعتقاد، فلا يكره ذلك إلا من وقع له، فربما يكون اختياراً من الله في أولى ما يطلب ويستفاد.

وقد أخرجوه ﷺ من مكة، فكان سبب الهجرة لظهور الأولياء من نسله على الدوام. وأذى نوحٍ وهودٍ وصالحٍ وشعيب ولوط [كان] سبباً لإهلاك تلك الأعداء والأقوام. وقصة يوسف سبباً في حصول النبوة والملك، ودخُول أبويه وإخوانِه في ذلك النظام.

وقد قال الله سبحانه: ﴿وعسى أن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]

* * *

وبالجملة؛ فإن في ذلك لمن صبر فوائد عظيمة، وعوائد جسيمة، ونحن الآن نعدّ منها ما حضَر، وإلا فهي أكثر من أن تحصر، وبالله التوفيق فيما بطن وظهَر:

[١] **فمنها**: أن كون ذلك من شعار الأنبياء، وعلامات الأولياء في كل زمانٍ، فيدل على تحقيق الوراثة لهم، وصدق الاتّباع بإحسان.

[٢] **ومنها**: أن ذلك دليل على وجود الصدق في إيضاح الحق والبيان، لمخالفة أهل الهوان، وأبناء الدنيا وأعوان الشيطان.

[٣] **ومنها**: الشهادة بالكمال والرجحان، قال الشاعر:

لا زلتُ محسوداً على نعمةٍ وإنما الكاملُ من يُحسَدُ

إذ لا يُحسد إلا لكماله الإنسان.

[٤] ومنها: ظهور النعَم وتتابع الإحسان، إذ لولا ذلكَ لما وقع الحسدُ؛ ولذلك أمرنا بالاستعانة والكتمان.

* * *

[٥] ومنها: أن ذلك علامة أهل الإيمان، فإن البلاء شأن أهل الإيمان، ففي الحديث: «لو كان المؤمن في جُحر ضَب، أو على قصبةٍ في بحر لقيّض الله له من يؤذيه». ومن أشد البلاء الأذى باللسان، قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، وقال تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال ﷺ لما أوذي بكلام: «رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر». وقال الشاعر:

إن جرحَ اللســانِ أوقعُ في القلـ ـبِ وأنكى من جرح حَدّ السِّنانِ

كل جــرحٍ لـه دواءٌ ويـبرَى وهو في الجسم غيرُ جرْحِ اللسَانِ

ولذلك شرع الحد في القذف، والتعزير في غيره، وعدّ الغيبة والسب من أفحش أنواع العصيان؛ لأن الإنسان يطلبه الكمال، ولا يزال يسعى في اكتساب أفضل الصفات والخصال في كل شأن، فالقدح في عرضه ينادي عليه بضد ذلك، وتوهم الاتصاف به؛ لأن الإنسان محل النقصان. وإن كان القولُ من الزور والبهتان، وإن كان مما هو فيه، فهو أشد عليه، لأنه يعد ستر الله عليه من أكبر النعم، وقد أزاله القادح في عرضه.

وبالجملة؛ فإن السبَّ والذم يؤلم القلبَ، كما لو ضرب الجسدُ بل أعظم؛ لأن الوقيعة في عرضِه توهن أمرَه، وتهتك ستره، وتسيء صديقه، وتشمت به عدوه،

وتقل جاهه، وتضعف حرمته، وغير ذلك مما قد يعده بعض الناس أشدَّ من البلاء في الأموال والأبدان؛ ولذلك جُعِلَ المالُ وقايةً للعرض عند أهل المروءةِ والإحسان.

* * *

[٦] ومنها: أن ذلك عنوان محبة الله، ففي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه، حتى يسمع تضرّعه ودعاءه»، ومن أشد البلاء: أذى اللسان، كما قدمناه في هذا البيان.

[٧] ومنها: أن ذلك مقدمةُ اختيار الله للعبد واصطفائه، فقد ورد أن «الله إذا أراد اصطفاءَ عبدٍ واختيارَه، صبَّ عليه الأذى والامتحان».

[٨] ومنها: أن ذلك يدلّ على صلابة الدين، وقوة اليقين، ففي الحديث أن: «الرجل يبتلَى على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةٌ ابتليَ على قدر دينه»، فكان البلاءُ عنوانَ قوة الإيمان.

[٩] ومنها: دلالة ذلك على موافقة الحق، وعدم المداهنة للخلق؛ ولذا قيل: «ما تركَ الحقُّ لعُمرَ من صديقٍ، فإن من داهنَ وافقَ فَلَانَ».

[١٠] ومنها: الدلالةُ على الاستقامة، فإن الميل عن الطريق غالبٌ على أهل هذا الزمان، فمخالفتهم دليلٌ على استقامة الشأن.

[١١] ومنها: أن ذلك بالمنة وحسن العاقبة والإحسان، قال الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]. وهذه سنة الله للمستضعفين في كل زمان.

[١٢] ومنها: أن ذلك إشارة للتأهل للإمامة والتأييد بالكرامة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقد سبق في ذلك البيان.

[١٣] ومنها: امتثال الأمر باحتمال الصبر. قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وغير ذلك من آيات القرآن...[1].

[١٤] [ومنها]: الإيماء إلى هلاك العدو وحصول التمكين، قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، فكان من وصفهم ما كان.

[١٥] ومنها: أن في ذلك بشارةٌ بالجنة، لحديث المرأة التي يقال لها: سرقَت زينب، والحديث الآخر: «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف»، أي: مهان.

[١٦] ومنها: الدلالة على النجاة من النار، قال ﷺ: «ألا أخبركم بأهل النار كل عتلٍّ جوّاظ»، أي: شديد الجفاءِ وبذاءة اللسان.

[١٧] ومنها: أن ذلك عنوان المغفرة، ففي الحديث: «لا يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي وما عليه خطيئة»، فالأذى من البلاء، وهو دليل الغفران.

[١٨] ومنها: أن ذلك يدل على الفَلاح يوم القيامة، ففي الحديث أن: «المظلومين هم المفلحون يوم القيامة»، ومن أنواع الظلم: الأذى باللسان.

[١٩] ومنها: أن ذلك في الابتداء عنوانُ الاهتداء. قال الله تعالى: **﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾** [العنكبوت: ٦٩]، فالصبر ضياءٌ، **به مظهر مسالك الحق والإيقان.**

[٢٠] ومنها: رجاءُ صلواتِ الله ورحمته. قال الله: **﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾** [البقرة: ١٥٧]، **لصبرهم ورجوعهم إلى الله، واسترجاعهم عند كل مصيبةٍ وامتحان.**

---

(١) كذا في الأصل.

[٢١] **ومنها**: وجوبُ الحق على كل مسلمٍ بالذبّ عن عرضِه، وتصبره مع الخذلان، وفي الحديث: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»، وغيره من الأحاديث الصحاح والحسان.

[٢٢] **ومنها**: الشفقة عليه ورحمته؛ ولذلك قيل في قوله ﷺ: «ارحموا ثلاثةً: عالماً بين جهال...»، الحديث. أي: لكثرة ما يناله معهم من تعبٍ وأذى ومخالفة وعصيان.

[٢٣] **ومنها**: أن ذلك من الجهاد، بالصبرِ على الأذى، وكف اللسان، وإظهار كلمة الحق. فإن المؤمن، كما في الحديث، «مجاهدٌ بالسيف واللسان».

[٢٤] **ومنها**: حصولُ الثواب بمجرد الصبر والتسليم بلا أسبابٍ، بخلاف الأعمال فإن لها شروطاً وآداباً: كحضور القلب، والإخلاص، ووجود الحلال، قلَّ أن تجتمع لإنسان.

[٢٥] **ومنها**: زيادة الحسنات، فإن المظلومَ يُعطى من حسنات ظالمه يوم القيامة، حتى يبلغ بها أعلَى درجات ذوي الإحسان.

[٢٦] **ومنها**: تخفيفُ السيئات فإنه يُحطُّ عن المظلوم من السيئات، إن لم تكن لظالمه، فيفوز المظلوم بالغفران.

[٢٧] **ومنها**: أن ذلك قد يكونُ اختباراً للعبد في تحقيق حقيقة صبره، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

[٢٨] **ومنها**: تنبيه العبد على التوبة والاستغفار، فقد يكون ذلك بسبب تقصيرٍ من العبد في طاعة أو عصيان.

[٢٩] **ومنها**: دفعُ العين. فقد قال بعض العلماء: إن أذى الحاسدين للعلماء وأهل النعم، يدفع الله به عنهم شروراً كثيرةً، وعين كل معيان.

[٣٠] ومنها: دفع إفراط الاعتقاد المؤدِّي إلى الفساد. فقد قيل: لولا الكلام في عروضِ أهل الله، وكثرة الوقيعة فيهم، لعُبِدوا من دون الله، لما يظهر عليهم من الكرامات، ويقوم من البرهان.

[٣١] ومنها: التخفيف على المعتقَد من كثرة أذى الخلق له، فيما يقصدونه من كل محبوبٍ، فإنه ضعيفٌ، وهم كذلك. ضَعُفَ الطالب والمطلوب، ورأى بعضُهم كأنّ الذباب يقع عليه حتى أشغله وآذاه، فعبَّره له المعبِّرون بكثرة المعتقدينَ والأتباع والإخوان.

[٣٢] ومنها: السلامةُ بالاعتقاد من شر الشهرة، وشدة الاعتقاد، فقلّما ابتُلي أحدٌ بذلك إلا ولحقه إفراطٌ وتفريط في أمور الدين والدنيا، في كل زمان.

[٣٣] ومنها: دفع ما يترتب على ظهور الجاه ونفوذ الكلمة، من وجوبِ نصر المظلومين، وتعليم الجاهلين. ففي الحديث: «بحسَب امرىءٍ من الشّرّ أن يشارَ إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله». وفي حديث آخر: «لا يزال الرجل بخير ما لم يُعرف مكانه فإذا عُرف مكانه لبسته فتنة لا يثبت فيها إلا من ثبته الله».

[٣٤] ومنها: التيقظ للأمور، فإن العبدَ إذا كان له حسادٌ يتتبعون عثراتِه، ويعدّون سيئاته، فلا يزال متيقظاً حازماً من كل غفلةٍ ونسيان.

[٣٥] ومنها: الرياضةُ، وتهذيب الأخلاق، فكم ساد بتجرع مرارة الصبر وكظم الغيظ إنسانٌ، وتخلق بأخلاق حسان.

[٣٦] ومنها: ظهور خبر العبد في الخير، فما يُعرف قدر الإنسان، إلا عند البلاء والامتحان.

[٣٧] ومنها: بلوغ مقام الصبر بالتصبر، حتى يصير خُلُقاً راسخاً، مانعاً من كل جُبن وطغيان.

[٣٨] **ومنها**: نيل مقام الحلم، واكتسابه بالتحلُّم. ففي الحديث: «**إنما العلم بالتعلُّم، وإنما الحلم بالتحلُّم**». أي: وذلك بالتثبيت، وتحمل المشقة على قدر الإمكان.

[٣٩] **ومنها**: الحزمُ في كل حالٍ. فإن العبدَ إذا كان له عدوٌّ حاسدٌ، سعى خلفه، فلا يزال حازماً في أمره من كل عورة ونقصان.

[٤٠] **ومنها**: اغتنام الفرصة، وعدم التواني في كل مطلب، فإن العبدَ إذا كان له من يصدُّ عنه، ويقطع طريق مطالبه، لا يتوانى عن مطالبه في كل آنٍ.

[٤١] **ومنها**: نشر الفضْل. قال الشاعر:

وإذا أراد الله نـشْر فضيلَـةٍ طُويَـتْ أتاحَ لها لسـانَ حسُـودِ

أي: فيذيعها بذكرها في كل مكان.

[٤٢] **ومنها**: ظهورُ الجميل. فإن السامعَ يعلمُ أن القائل ظالم، فيردّ عن المظلوم، ويبحث عن التفصيل والبيان.

[٤٣] **ومنها**: رؤية عدوٍّ له خيراً منه. فقد كان علي بن الحسين رَضِيَ الله عنه إذا آذاه أحدٌ بحسدٍ أو غيبةٍ، يشكر الله. ويقول: «لولا أنه رآني خيراً منه ما حسدَني ولا اغتابني». وكان يقول أيضاً: «**اللهم** إن كان صادقاً فاغفر لي، وإن كان كاذباً فاغفر له»، فما أحسن هذا الإحسان.

[٤٤] **ومنها**: [الحث][1] على المسابقة إلى الخيرات، واكتساب الفضائل، وتحصيل العلوم، وجمع الفوائد؛ لأن ذلك تدعو إليه الغيرة ومعارضَة الأقران.

[٤٥] **ومنها**: معرفةُ الحق وأهله، فإن المبطل لا يخفى على أهل الحق والعرفان.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

[٤٦] ومنها: إتعاب عدوّه وكمدُه من غيرِ فعلٍ منه، ولا مشقة عليه، ولذلك قيل:

لا ماتَ حسّادُكَ بل خلّدوا حتّى يَرَوْا منك الذي يَكمِدُ

أي: من الفضل والإحسان.

[٤٧] ومنها: شهادة عدوّه على نفسه بالظلم والمعصية، فإن الغيبة والشتمَ من أفحشِ العصيان.

[٤٨] ومنها: زيادته ونقصُ عدوه؛ لأنه مظلومٌ مأجورٌ، وعدوه ظالم آثمٌ بالأذى والشنآن.

[٤٩] ومنها: أنه يحصل له أعمالٌ كثيرة من طاعاتِ من يظلمُه، من غير مشقةٍ ولا تعبٍ في جسم ولا جَنان.

[٥٠] ومنها: أن ذلك العمل يُسلم إليه، وهو سالم غالباً من الرياءِ والعجْبِ والسُّمعة في حقه، إذ لا يلاحظه في شأن.

[٥١] ومنها: انتظارُ النصر من الله عند الصبر، وردّ الأمر إليه، فمن ينصره الله لا يخاف من الخذلان.

[٥٢] ومنها: كون هذا البلاءِ أخفَّ من غيره؛ لأن العبد لا يخلو عن تقصيرٍ، فيبتلى لذلك. والأذى في العرض، لكونه خارجاً، أخفُّ من البلاء في الجسم والمال؛ لأن به قوامُ الأبدان.

[٥٣] ومنها: حصول الأجر إذا عفَا، والفضل والشرف في كل شأن.

[٥٤] ومنها: بلوغُ أعلى الدرجات في الآخرة، بما يناله من الثواب في كل صبرٍ جميلٍ، وأذى، وإحسان. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فلهم ذلك في الجنان.

[٥٥] ومنها: حملُه على مكارم الأخلاق، من العفو والصفح، والدعاء لمن ظلمه بالهداية والرحمة، والمغفرة والرضوان.

فهذه خمسٌ وخمسون فائدةً حضرتْ وذُكِرتْ، وإلا ففوائدُ ذلك لا يحيط بها إنسان، وشواهدها وأدلتها لا تحتاج إلى إيضاح وبيان.

***

[أبيات للمؤلف في عاقبة الصبر على الحساد]

وقد قلتُ من أبيات من قصيدة في هذا الشأن:

من نعمة الله عليَّ أنّي	لي حاسدون أبغضُوا مكاني
قيّضهم ربي فأيقظوني	من غفلة الإغفال والنسيانِ
هم علمُوني الصَّبرَ والتّأني	والحزمَ والحلمَ بلا توانِ
وهذبوا بفضْلهم أخلاقي	فبانَ خيرُ الخيرِ في امتحاني
ونشروا بذكرهم لي فضْلي	وأظهرُوا في نشرهم إحساني
فكلُّ ما قَالوه في جميلي	وكلُّ ما نَالوه في ميزاني
ونلت من أعمالهم جَزائي	بلا عنَا جسمٍ ولا امتحانِ
ولو عملتُ ما عملتُ دهري	ما نلتُ هذا الفضْل في الجنانِ
فصَار في تعريضِهم لعرضي	أفضل مرضٍ مضعَف الإثمانِ
فيغفر الله لهم فهُم لي	صاروا طريقَ الفضل والغفرانِ
وعَيبُهم لي عَيْبُه عليهم	بها تقومُ حجّة العصيانِ
فاحذر تشارهِ إن سمعتَ فضلاً	وطالبِ المغتابَ بالبرهانِ
فلن ترَى مني سوى جميلٍ	ونعمةٍ من منعم منّانِ

فمن يعَاديني لفضْل ربي … فإنما عاداهُ لا عاداني

يُريد نزعَ فضْل ربي عنّي … وخلع ثوبِ نعمةٍ كساني

فهو لحربِ الله قد تصدّى … وحاقَ بالعجز وبالخذلانِ

فقل له كِدْني بكل كَيدِ … فالله حسبي وبه أمَاني

والصبر والتقوى عليَّ درعٌ … ربي بها باللطفِ قد وقَاني

وكم ردَّ عنّي شرَّ من تعدَّى … وكم رمَى بالسّوء من رماني

وكم حمَى لي من حمى وجارِ … لمّا تحامى حفظُه حماني

فهو اعتمادي وبه استنادي … وهو وليّي ولقد كفاني

وما أبالي قطّ وهو حسبي … بقول قالٍ أو بشين شانِ

فقل لحُسّادي عليَّ موتوا … غيظاً فكل الخير قد أعطاني

قد نلتُ ما أمّلتُ منه فضلاً … وفوق ما أملتُ قد حبَاني

ما قلتُه عُجْباً ولا افتخاراً … فليسَ هذا سيرتي وشاني

بل قلتُه ذكراً لفضْل ربي … وشكرِ آلاءٍ بها أولاني

فليس من جهْدي ولا اجتهادي … ولا بأعمالي ولا أعواني

فالله حسبي وبه سُلطاني … وهو وكيلي في جميع شَاني

ثم الصلاة والسلام أبداً … على النبيِّ المصطفى العدناني

وآله وصحبه جميعاً … وتابعيهم بعدُ بالإحسانِ

تمت بحمد الله وَمنّه

والحمد لله رب العالمين

❋ ❋ ❋



(٤)

نبذةٌ في حكم الاعتماد على شجرة نسب السّادة بني علوي

وهي الباب الرّابع من كتاب

«إتحاف بني علوي بتحقيق نسبهم النبوي»

للإمام علّامة الدنيا

الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

نفع الله به



هذه النبذة

لم تتح الفرصة الاطلاع على أصل هذه النبذة المباركة النافعة، ولولا أن مفتي الديار الحضرمية، السيد العلامة عبد الرحمن المشهور (ت ١٣٢٠هـ) أدرجها في خاتمة كتابه الشهير «شمس الظهيرة»، لخفي أمرها، ولم يعلم عنها شيء.

وهذه النبذة إنما هي الباب الرابع من كتاب سماه المؤلف «إتحاف بني علوي بتحقيق نسبهم النبوي» كما جاء في سياق المؤلف كما يأتي، وكان الذي دلّ السيد المشهور عليه، هو شيخه مسند حضرموت الإمام عيدروس بن عمر الحبشي (ت ١٣١٤هـ)، بحسب ما صرح به في كتابه المذكور.

* * *

النسخ المعتمدة في التصحيح:

ينبغي التنويه هنا إلى أن خاتمة كتاب «شمس الظهيرة» المشار إليها، لم تطبع من قبل؛ ولذا فقد تم نقلها عن نسخة خطية جيدة، وتمت مقابلتها على نسخة أخرى.

هذا وصفهما:

النسخة الأولى (أ): نسخة خاصة، بقلم الفاضل حسن بن سعيد بن أحمد حسان، غير مؤرخة، تقع في ٦٥ صفحة. تم الاعتماد عليها وجعلها أصلاً لوضوح خطها.

النسخة الثانية: من مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، ذكر المفهرسون أنها بخط مؤلفها، ولكن الصواب أنها ليست بخطه، ولعل ناسخها الشيخ فضل بن محمد

ابن عوض بافضل. وهذه النسخة كانت في ملك العلامة السيد عمر بن أحمد بن سميط (ت ١٣٩٦هـ) أرسلت له من تريم إلى جزر القمر، كما يعلم من عبارة كتبت فوق حاشية العنوان تقول: «يرفع إلى سيدي الحبيب عمر بن أحمد بن سميط، زنجبار».

* * *

انظر ما يسر الله جمعه من هذه الشجرة العظيمة التي اصلها ثابت وفرعها
في السماء كيف واصل اصلها وفصلها فصلها فلا يخفى
على ذي قريحة فضلها على غيرها وفخرها على
ابناء جنسها فالله يلحق الاواخر بالاوائل
ولا يحرم المتاخرين مما منحه الاولين
من المفاخر ونرجو من
المولى الوهاب بتقريب نسب
البعيد ممن
به على القرب
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما
والحمد لله
رب
العالمين

كان ختمها في شهر شوال سنة ١٣٠٢ حرر ذلك الامام الفاضل عبد الرحمن
ابن محمد بن حسين
المشهور [illegible]
[illegible]
[illegible]
امين

نقلها الفقير الى الله [illegible]
حسين بن [illegible]
[illegible]
امين

يرفع إلى سيد [illegible]

كتاب

شمس الظهيرة الضاحية المنيرة

في

نسب أهل البيت النبوي والسر المصطفوي من بني علوي

فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي

نفعنا الله بجميعهم آمين

جمعه محبهم وخادمهم وابنهم الفقير إلى عفو الله

عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور

رضي الله عنه ونفع به آمين

[مقدمة]

قال السيد العلامة، مفتي حضرموت، الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، في كتابه «شمس الظهيرة»، تحت عنوان (خاتمة هذه الشجرة العظيمة والدوحة الفخيمة):

«اعلم أني لما جمعتُ هذه الورقات في أصول وفصول السادات إجمالاً، واطلع عليها الإمام عيدروس بن عمر الحبشي، عَزم علي أن ألحقَ بها ما حرّره علامةُ وقته، وفريد عصره، الشريف عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في تحكيم الشجرة، والحكم بها، والاعتماد عليها، في آخر مصنفٍ له في واقعةٍ، تُعلَم مما قرره؛ ليكون ذلك تنبيهاً للجاهل، ونفعاً للسامع، ودفعاً ودحوراً للمارد المنازع».

❊ ❊ ❊

[نبذة الإمام بلفقيه
في حكم الاعتماد على شجرة النسب العلوي]

وهذا نص ما كتبه الإمام السيد عبد الرحمن في «رسالته» المشار إليها:

«الباب الرابع
في ذكر كتُبِ الشجرة في أنسَاب السّادةِ المحرَّرة
وذكر من نصَّ من العلماء على أنها من كتُبِ العلم المعتبَرة

وهذا هو المقصود بالحقيقة من هذا البيان، والمطلوب من جميع السادة والإخوان، الاعتناء بتأييد ذلك بما قدروا عليه من كل دليل وبرهان،فإنه يدخل على جميع آل أبي علوي إذا طولبوا بإثبات الأنساب في الخصومات عند الحكام في المحاكماتِ أشدّ امتحانٍ، وأكبر مشقة وامتهانٍ، خصوصاً مع فساد الزمان والميل إلى أهل المال والقوة واللسان.

***

[بيان اعتماد أكابر بني علوي على الشجرة]

فلذلك أجمع سلفنا الجامعون لعلمَي الشريعة والحقيقة، والجارون على منهج السنة والطريقة، على سدّ هذا الباب، والاعتماد على كتب الشجرة في جميع الأنساب، وكفى بهم قدوةً، ولمن بعدهم أسوةً، فمن عرف مذهبهم، واختبر خبَرهم، وجدهم قد أسسوا كل فتوَى، على الحقّ والتقوى، وتمسكوا في دينهم بالسبب الأقْوَى، وما اختاروا أمراً قطُّ إلا ووجدنا أدلتَه حاضرةً، وشواهده ظاهرةً.

فلا يعجلْ عليهم من سمعَ فتوى فقيهٍ تخالفُ ما هم فيه، أو رأى العموم بخلاف الخصوص الذي جروا عليه، فإنهم أئمة هدًى على الحق ظاهرون، وإن خالفهم بعضُ الفقهاء فقد وافقَهم آخرون، والغالب أنهم لعلماء جهتهم موافقون. فقد قيل: إن الأَولى بأهل كلّ جهة فتوى عالمهم، فإنه أعلم بهم، وأعرف بمقاصدهم، وما فيه وجودُ مصالحهم ودرء مفاسدهم.

فهذا الذي اختاروه من اعتمادهم في النسب على كتب الشجرة، قد نصَّ على صحته غيرُ واحد من أهل جهتهم وقرره، وسيأتي بيان ذلك وأدلته المحررة. وقد وقع العملُ به في كثيرٍ من الجهات، واطلع عليه العلماء وقضوا به في منازعات، وأمضوه في محاكماتٍ، ولم يظهر من غيرهم فيه شيء المخالفات.

***

[واقعة في المدينة سنة ١١٢٢هـ]

فمن ذلك؛ ما وقعَ بالمدينة المشرفة، أظنه سنة **١١٢٢**، اثنين وعشرين من بعد مئة وألفٍ، عند وفاة السيد يحيى بن محمد بن علوي نور باعلوي، بالمدينة المشرفة، ولم يُعرَف هناك مَن عصبتُه من السادة؟ حتى ادّعى بعضُ قرابته إرثَه بالرحم.

فكتبَ إليَّ جماعةٌ من علماء المدينة، يسألوني عن العصبة وتعيينهم.

فأجبتُ عليهم ببيانهم. فعاد إليَّ كتابٌ من بعضهم ـ من أهل العلم ـ يسأل عن وجه ثبوتِ ذلك، وإناطة الحكم به بالجزم؟ **فحررتُ** له جواباً كافياً، وبينت له بياناً شافياً. وبلغَني أنه عرضَه على العلماء هناك فارتضوه، وفصلوا حكم الواقعة عليه وأمضَوه.

***

[واقعة حال في زبيد سنة ١١٣٠هـ]

ثم وقع باليمن مثلُ ذلك أظنه سنة **١١٣٠** ثلاثين من بعد مئة وألف. **وسألني** بعض علماء زبيد عن وجه الاعتماد على ذلك في الأنساب؟ فأرسلتُ إليه بنسخةٍ من ذلك الجواب، فاعترفَ هو وأهلُ العلم هناك أنه الحقّ والصواب.

***

ثم أوضحتُ ذلك بتفصيله، وحققته بدليله وتحليله، في كتابي المسمى بـ«إتحاف بني علوي بتحقيق نسبهم النبوي». وها أنا الآن ألخصُ ما في هذين: الكتاب، والجواب؛ من اللّبَاب، وأزيدُ عليه بياناً يدفع كل شك وارتياب.

فأقول:

قد ترجم البخاري وغيره، من علماء الحديث وأئمة الدين، جملةَ تراجم في أبواب، وأوردوا فيها أحاديث صحيحةً، وآثاراً كثيرةً، تدل على اعتبار علم الأنساب. وصحَّ أنه ﷺ وكذلك خلفاؤه الراشدون، رجعوا في كثير من أنساب العرب إلى علمائهم، ورُتّب على ذلك ما لا يحصى من الأحكام، في كثير من الأبواب، ولم يزل العلماء زمن الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى الآن، ينسب بعضهم بعضاً، وينسِبُون إلى القبائل والبطون، وذلك منشورٌ في كتب الرجال والطبقات، مشهورٌ عند أهل الحديث والروايات.

***

وقد نصَّ الإمام الحافظُ شمس الدين السخاوي في كتابه «ارتقاء الغُرَف في محبة القرباء ذوي الشرف»، أن فنّ الأنسابِ من جملة فنون علم الأثر، قال: «وهو فنٌّ جليل، يتضمن معرفة نسبِ النبي ﷺ ومن ينتمي إليه، والتمييز بين عبد مناف،

هاشميها وعبد شمسيّها ونوفليّها، وبين قريش وكنانة، والأوس والخزرج، والعربي والعجمي، والمولى والصريح.

ومن فوائده الشرعية: معرفة الخلافة والكفاءة، وتجنب تزوّج من يحرُم عليه ممن تلقاه بنسبٍ أو رحمٍ محرّم، والقيام بمن تجب عليه نفقته، ومعرفة من يرثه ممن يتصل به، ومعرفة الأرحام المأمور بصلتهم ومعاونتهم، وغير ذلك»، انتهى.

ثم استدل على ذلك بأدلة كثيرةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ الآية [الحجرات: ١٣]. وحديث: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم»، وذكر له طرقاً وقوّاه، ورد على من زعم أن علم النسب علمٌ لا ينفع وجهالة لا تضر، وروى فيه حديثاً وضعّفه ووهّاه.

قال: «وقال ابن حزم: لم ينصِفْ من زعمَ أن علم النسب علمٌ لا ينفعُ، فإن منه ما هو فرضٌ على كل أحدٍ، وما هو فرضُ كفايةٍ، وما هو مستحبٌّ»، انتهى كلام السخاوي ملخصاً.

قلتُ: وذكر الإمام الماوردي في «الأحكام السلطانية»: أنه «يجب على المتعيّن المنصوبِ على أهل الأنسَاب، حفظُ جميع أنسابهم من داخلٍ فيها، وخارجٍ منها، وتمييز بطونهم وأنسابهم حتى لا يخفى عليه بنو أبٍ وبنو أمّ»، انتهى. ومثله في «شرح الأنوار» للتورشي[1].

* * *

---

(١) كذا في النسختين، ولعله تصحيف للبوشي، شارح كتاب الأنوار للأردبيلي، واسمه علي بن أحمد بن عمر البوشي، نور الدين الشافعي المصري، أبو الحسن، توفي سنة ٨٥٦هـ ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١/ ١٩٥؛ وهدية العارفين: ١/ ٧٣٣.

[نقل الأشخر الإجماعَ على جواز النقل من الكتب المعتمدة]

وقد نص العلماءُ في وضع الديوان، على اعتبار علم النسب في ترتيب القبائل وآحادها، وكل ذلك يدل على صحة علم النسب واعتباره شرعاً، إذ لو لم يكن معتبراً شرعاً، لما رتّب هذه الأحكام عليه، وجعل منه فرضاً ومندوباً، فبذلك عُلم أنه كغيره من العلوم، يعتمد فيه على كتُبه الصحيحة، ونصوص أهله الصريحة.

قال الفقيه العلامة المحقق، جمال الدين محمد بن أبي بكر الأشخر في «فتاويه» في (باب الفرائض): ومتى نصّ على النسب إمامٌ معتبر، وعالم مطلع متقنٌ لفن الأنساب، أو وُجِد في تصنيفٍ اعتنَى به صاحبُه فيه بحفظ النسب، واشتهر بكونه ذا علمٍ بذلكَ، مع الديانة والورع الحاجز عن التكلم بلا علمٍ، والخبط بلا ضوءٍ، ولم يقع في ذلك طعنٌ من معتبَرٍ، أفاد القاضي ذلك، إما علماً ضرورياً، أو نظرياً، أو ظناً غالباً، بحيث يجوز له الاستنادُ إليه، والحكم فيه بعلمه، بناءً على جوازه في غير عقوبةٍ لله، كما هو الأصح؛ وحينئذٍ فلا حاجة إلى يمين المدّعي.

وبرهان ذلك: ما نقله الزركشي عن الأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني، من الإجماع على جواز النقل من الكتب المعتمدة، ولا يشترط اتصال السند إلى مصنفيها، انتهى. وفي «التحفة» في شرح الخطبة: «تنبيهٌ: ما أفهمَه كلامه من جواز النقل من الكتب المعتمدة، ونسْبة ما فيها لمؤلفيها، مجمعٌ عليه، وإن لم يتصل سندُ الناقل بمؤلفيها. نعم، النقل من نسخة كتابٍ لا يجوز إلا إن وثقَ بصحتها، أو تعددت تعدداً يغلّبُ على الظن صحتَها»، انتهى.

قال الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام في «فتاويه»: «وقد اعتمد الناسُ على الكتب في اللغة، والنحو، والطب، وسائر العلوم، لحصُول الثقة بها، وبعد التدليس فيها، ومن اعتقد أن الناس في ذلك اتفقوا على الخطأ، فهو أولى بالخطأ منهم. ولولا

جوازُ الاعتماد على تلك الكتب، لتعطلت كثير من المصالح المتعلقة بالطب، والنحو، والعربية. وقد رجع الشرعُ إلى قولهم في صُور كثيرة، وليست كتبهم مأخوذةً إلا عن قوم كفارٍ، ولكن لما بعُدَ التدليسُ فيها، اعتمد عليها، كما يعتمد [في اللغة][1] على أشعار العرب، وهم كفارٌ، لعدم التدليس»، انتهى. وفيما ذكرناهُ دلالةٌ صريحة، ومآخذ صحيحةٌ لمطلبنا، أن علم النسب كغيره من العلوم، وأن كتبَه المعتبرةَ حجةٌ فيه، ووجه الاحتجاجِ بها معلومٌ، فيرجع في علم النسب إلى أهله الثقات، وكتبهم المعتبرات.

* * *

[أشهر كتب نسب أهل البيت]

وقد صنف في أنساب أهل البيت كثيرون، واعتنى بها أئمة لا يحصون، ومن أحسن المؤلفات وأتقنها: كتاب «عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب»، للشريف الإمام أحمد بن عنبة الحسَني، ومختصراته المشهورة، فهي عمدة المعتمِدين، وعدة المجتَهِدين، في عموم أنساب أهل البيت.

* * *

[كتب نسب السادة بني علوي]

وأما خصوصُ نسب سادتنا آل با علوي، الأشراف الحسنيين السنيين، فإن نسبهم في غايةِ الوضوح والاشتهار، كالشمس في رابعة[2] النهار، ولم تزل محفوظةَ الأصول والفصول، تتلقاه الأبناءُ والأحفاد، عن الآباء والأجداد، بالتواتر والاستفاضة، والسماع المقبول، وقد اعتنى به كثيرٌ من الأئمة المطلعين، والثقات الورعين، وألفوا فيه مؤلفاتٍ كثيرةً، موجودة مشهورةً.

---

(١) زيادة من النسخة (ت).

(٢) في نسخة: ضاحية النهار.

فأول من صنفَ فيه:

[١] الشيخُ الإمام شمس الدين، أبو الحسن علي بن أبي بكر ابن الشيخ السقاف، كتابه المسمى بـ«الجواهر السنية في نسبة العترة الحسينية».

[٢] ثم تلاه الفقيه العلامة، نور الدين علي بن أحمد بن حسن باجبهان باعلوي، فألف فيه مؤلفاً مستوعباً للذكور والإناث، بناتٍ وأمهات[1]، والأزواج، منثوراً في غاية الإتقان. وآخرَ «رجَزاً منظوماً»، يسهُل حفظه، فجزاه الله أحسن الإحسان.

[٣] ثم تابعه على ذلك الوضع البديع، واقتفاه في الإلحاق والتفريع، الفقيه العلامة الشهيرُ، أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد باعلوي.

[٤] ونهض بتجديد ذلك، وقام به أتمّ القيام، الشيخُ العارف بالله الإمام عبد الله ابن شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس، فألف تأليفَه العجيب، الذي برز في غاية الجمع ونهاية التهذيب، وقد رأيتُ بخط ابنه العلامة زين العابدين، الذي خلف والده في المقام: أن والده المذكورَ أجمعَ على جمعه وتأليفه أكثرُ أعيان السادة الكرام.

[٥] ثم ألف بعده بقليل الشيخُ العارف بالله عبد الله بن أحمد بن الحسين بن عبد الله ابن شيخ العيدروس، فاعتنى بالإحاطة والتفصيل، على التأسيس المتقدم والتفصيل.

[٦] واقتفاه السيد العلامة السقاف عبد الرحمن بن محمد العيدروس بن عبد الله بن شيخ، المتقدمِ ذكره، فاعتنى بكتاب جدّه المذكور غاية العناية، في إلحاق الفروع وتقريرها، وتهذيب الزيادات وتحريرها.

[٧] وتبعه السيد الفاضل، العفيف عبد الله بن الفقيه عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي باعلوي، فنسج على منوال الفقيه باجبهان، السابق ذكره، ففرّع على أصله وقرّره، وهذّب ما زاده وحرّره.

---

(١) في النسخة (ب): وبنات الأمهات.

[٨] ثم قام بذلك، وشمّر عن ساق الجد، فيه سيدي ووالدي، الإمام العارف بالله عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن الفقيه باعلوي، فهذّب ذلك وحققه، وأدرك ما فات من قبله وألحقه:

فهُمْ أئمة علمٍ كلهم وضَعُوا ... ما قـرَّروه لتحقيقٍ وتعْيينِ

لا عيبَ فيهم سوى أن لا عيُوبَ لهم ... وأنهم قدوةٌ في العلم والدّينِ

[٩] فلما توفي والدي رحمه الله تعالى، لم يرفع الناس بذلك رأساً، ولم يروا بإضاعته بأساً، فألهمني الله سبحانه، وله الحمد، الاعتناءَ بذلك، اقتداء بهؤلاء السلف، واعتماداً على ما سبق منهم في ذلك.

* * *

[عناية المؤلف بشجرة النسب العلوي]

فطلبتُ هذه المؤلفات جميعَها، وجمعتُ ما قدرت عليه من نسخها الصحيحة، فتأملتُ أصولها وفروعها، ولخصتُ منها مؤلفاً جامعاً محيطاً بالأصول والفروع، فجاء بحمد الله فرداً في ذلك الجمع، وفيه كل تحقيقٍ مجموعٌ، وكل ما زدته فيه من فروعٍ، أو ألحقته من مشاهد ومسموع، فذلك بعد حُصول العلم به من طريقه، علماً ضرورياً، أو نظرياً، أو ظنّاً غالباً، في تأصيل ذلك وتفصيله، وتحريره وتحقيقه. وسميته بـ«الإتحاف»، كما تقدم ذكره.

فما في الأصول؛ فقد اجتمعت عليه تلك المؤلفات كلها، وأما ما لحق بها من الفصُول؛ فكلّ مؤلف إلى زمن تأليفه، وما انفردتُ أنا إلا بطبقة أهل هذا الزمان، الذين تسهُل معرفتهم بالتواتر [والاستفاضة][1] والعيان.

* * *

(١) لم ترد في النسخة (ب).

وبذلك يعلم أن نسبَ سادتنا آل باعلوي، لم يزلْ إلى الآن، في غاية الحفظ ونهاية الإتقان، وكتبه المؤلفة فيه، المتقدم ذكرها، عمدةٌ للقاضي والمفتي وغيرهما، لأن مصنفيها المتقدم ذكرُهم من الأئمة الأعلام، وثقات الإسلام، وقد ذكروا ذلك بالجزْم، فالظاهر أنه عن علمٍ، لقرب الزمان، وإمكان المشاهدة والعيان، والتلقي ممن قبلهم من أهل العلم بذلك والإتقان، وأنه لا وجه لطعن طاعنٍ في ذلك ولا محل، ولا يتجرأ على ذلك ـ بعد أن اتضح له ـ إلا من في قلبه خلل، بل ربما يكون ما اجتمعت عليه هذه المؤلفات كلها، من الطبقات التي منتهاها أحفاد السقاف، كالمتواترة، فإن نسخَها الموجودةَ تفوق[1] على عشرين نسخة محررةً، وقد صرح العلماء بأن تواتر الكتُب معتبرٌ كتواتر الخبر.

***

[فتوى للعلامة العرشاني اليمني]

ونقلتُ من خط سيدنا الفقيه العلامة أبي بكر بن حسين بن محمد بافقيه التريمي، ما ملخصه: «سئل الفقيه العلامة، علي بن عمر العرشاني اليمني: هل يجوز اعتماد القاضي، والشاهد، والمفتي، على كتب الشجرة، في نسب السادة، المحررة المعتبرة، إذا كان من صنفها من الثقات المطلعين أم لا؟

فأجابَ: نعم، يجوز للحاكم الحكم بما فيها، وللمفتي أن يعتمد عليها، إذا حصل بها العلم، وكذلك للشاهد أن يشهد بما فيها، إذا حصل له بذلك الجزم، من غير أن يسند ذلك إليها، كالاستفاضة؛ لأن الإحالةَ تقتضي ضعف الجزم، الذي هو مناطٌ للشهادة».

---

(١) في النسختين: تفيق.

ثم نقل ما تقدم عن الجمال الفقيه، جمال الدين الأشخر في «فتاويه».

***

[فتوى للعلامة الخطيب التريمي]

ووجدت أيضاً بخط الفقيه العلامة، عبد الله بن أبي بكر الخطيب، قاضي تريم، ما ملخصه:

«سُئل السيد الفقيه العلامة الولي، أبو بكر بن محمد بافقيه العلوي القيدوني: هل يجوز الاعتمادُ في الأحكام الشرعية على كتُب النسب في شجرة السادة آل باعلوي، كالذي ألفه الشيخ العلامة العارف بالله الشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس، بأنا نرى السادة عندنا بتريم كالمجمعين على جواز ذلك وصحته؟

فأجابَ بقوله: نعم، يجوز الاعتماد على ذلك؛ لأن المؤلف المذكور من الأئمة الكبار الثقات، لا ينقل بالجزْم إلا عن دليلٍ وعلمٍ، ومؤلفه المذكور معتبرٌ مشهور.

وقد سئل عن ذلك: الفقيه العلامة علي بن عمر العرشاني، والفقيه المحقق أبو الفتح الحسين المزجّد، فأجابَا بمثل ما أجبتُ». ثم ذكر ما قاله الفقيه جمال الدين الأشخر كما تقدم ذكره، انتهى.

وصحح على جوابه هذا جماعةٌ، كالفقيه عبد الله بن أحمد بازرعة، والفقيه محمد ابن سليمان باحويرث، والفقيه أحمد بن علي بابحير الدوعني، والفقيه أبي بكر بن أحمد بلعفيف، والفقيه محمد بن عبد الله باعلي الهجرانيين، والفقيه أبي بكر بن عبد الله الخطيب المذكور.

***

[نصوص في قضية بن سهل باحسن في الإرث بالرحم]

ثم وجدنا مكاتبات لمشايخنا أعيان الزمان، وأئمة التحقيق والعرفان، [المتقدم ذكرهم][1] في واقعة دعوى السيد أحمد بن سهل باحسن الرّحِمَ في هذه القصة، ومعارضيهم، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وفي تلك المكاتبات نصوص صريحة بأن كتُبَ الشجرة حجةٌ صحيحة معتبرة، وكفى بهم قدوةً في ذلك عند من أنصف؛ لأنهم أعلم بذلك وأعرف.

[١] فمن مكاتبة شيخنا العلامة العارف بالله، جدي لأمي، الشيخ محمد ابن عبد الرحمن العيدروس إلى الفقيه العلامة السيد عمر بن محمد بن طه باعلوي، قاضي سيون، ما لفظه: «وقد عرفت، وأنت العارف، وما مثلك يحتاج إلى تعريف في معروف، أن أنساب السادة آل باعلوي محفوظة مضبوطة، معلومة الاتصال، وفيها كتب ومصنفات لأجلاء ثقات، ونسخها معتمدة متعددة تعدداً يوجب حصول العلم بها، والجزم بما فيها، وإناطة الأحكام به.

ومن زمان سيدنا أحمد بن عيسى إلى وقتنا هذا، لم يفتح باب الإرث بالرحم في آل باعلوي، ونصوص العلماء في «الشجرة» واضحة قاطعة»، انتهى المراد منها.

فأجابه الفقيه السيد عمر بن محمد المذكور، بأن «ما عرفتم به سيدي هو الحق المعروف الواضح المقرر، الذي عليه عمل السلف ومعهم الخلف، وفتح باب دعوى الإرث في آل باعلوي من الغلط والشطط»، اهـ. المقصود منه.

[٢] ومن مكاتبة والدي العلامة العارف بالله، عبد الله بن أحمد ابن الفقيه محمد باعلوي، إلى الفقيه السيد عمر المذكور، أيضاً: «فإن شجرة آل باعلوي عمدة

---

(١) لم يرد في (أ).

وعليها مدار العمل من قديم الزمان، وفيها كتب مؤلفة لمشايخ عارفين، وفقهاء محققين، والعصبة موجودة من آل البيتي وآل إسماعيل، ولا يمكن انقطاعها في نسب آل باعلوي. وقد امتنع الفقيه عبد الرحيم ـ عندنا بتريم ـ من سماع دعوى الإرث بالرحم؛ لأن وجودَ العصبة مستفيضٌ، بل متواتر؛ لأن الكتبَ المصنفة ونسخَها المتعددة تفيد الاستفاضة والتواتر». اهـ. ملخصاً.

[٣] ومن مكاتبة سيدي وخالي العلامة عبد الرحمن بن محمد العيدروس، المتقدم ذكره، إلى الفقيه السيد عمر المذكور أيضاً: «وما تعذبنا إلا من التجري على فتح باب دعوى الإرث بالرحم في آل باعلوي، وذلك من غلطات فقهاء الوقت وأهله، وليس ذلك بعجب، فإن الجهل طمّ وعمّ[1]، وإذا كان هذا الغلط يصدر من طلبة العلم المنظور إليهم، فما ظنك بغيرهم. فكيف يمكن الإرث بالرحم أو تسمع دعواه في نسب آل باعلوي المحفوظ الجلي الواضح، المخدوم المحقق في كتب صحيحة، صنفها الثقات الأثبات، ولم يزل العمل عليها خلفاً عن سلف، بل نسخها متعددة منتشرة في الآفاق. ولا شك في حصول العلم بها بالاستفاضة والتواتر، لمن اطلع عليها واختبرها»، انتهى بمعناه.

[٤] ومن مكاتبة الفقيه العلامة علي بن علوي عيديد باعلوي، قاضي شبام، ما لفظه: «وذكرتم من أجل السيد أحمد بن سهل، ودعواه الإرث بالرحم، فهذا باب مغلقٌ لم يفتح قط في آل باعلوي، وقد أنكر عليه السادة الأعيان: السيد محمد بن عبد الرحمن العيدروس، وولده عبد الرحمن، والوالد عبد الله بن أحمد بلفقيه، والسيد عبد الله بن علوي الحداد، والسيد أحمد بن عمر الهندوان، وامتنع الفقيه عبد الرحيم ابن محمد بن قاضي من سماع دعواه ذلك، ووجه الامتناع جليٌّ؛ لأن العصبةَ موجودةٌ

(١) في (أ): طمى وعمى، وفي (ب): أعمى وأصمى. ولعل الصواب: عمّ وطمّ، أو: أصم وأعمى.

معلومة، وأنساب السادة محفوظة، أصولها وفروعها، في كتبٍ صحيحةٍ، لأئمة ثقات معتبرينَ، وكفى بهم عمدةً في ذلك». انتهى.

[٥] ومن مكاتبة الفقيه عبد الرحيم بن محمد بن قاضي باكثير، قاضي تريم، إلى السيد عمر بن محمد[١] المذكور: «ولا يخفاكم، أن السيد المذكور، وصل إلينا وقصدُه دعوى الإرث بالرحم، بزوجته مريم بنت عبد الله بن عمر بن بركات كريشة، من السيد عبد الله بن عبد الرحمن كريشة، المتوفّى بمكة، فما وسِعَنا فتحُ ذلك الباب له، ولم نسمع دعواه؛ لأنا سألنا السادة، وبحثنا على الأمر، فوجدنا من المستفيض وجود العصبة، واتصال نسب السادة، ثم راجعنا كتب الشجرة فوجدنا ذلك فيها محققاً، ووجدناها كتباً صحيحةً معتبرةً، والعمل عليها مستمر من العلماء المحققين قديماً وحديثاً، ووجه الاعتماد جليٌّ، وتقوم عليه شواهده»، انتهى ملخصاً.

[٦] وأخبرني الثقةُ عن السيد الفاضل العارف أحمد بن زين الحبشي باعلوي، أن السيد عبد الله بن علوي الحداد، كان أرسله في تلك الواقعة إلى فلان المذكور، يلومُه في دعوى الإرث بالرحم، ويعنفه تعنيفاً شديداً على ذلك.

[٧] وأخبرني بعض السادة الثقات عن السيد عبد الله بن علوي الحداد، أنه قال: مثَلُ فلان المذكور في دعواه ذلك مثل من استمسك بغصن شجرةٍ عن الغرق، فلما نجا به واستوى عليه، أخذ يقطعه!.

[٨] وسمعتُ مثل ذلك، أو قريباً منه، عن السيد أحمد بن عمر الهندوان، ويقول: «إن فتح هذا الباب ضَرورةٌ[٢] عامة على جميع السادة، ووهنٌ في نسبهم».

---

(١) في (أ): محمد بن عمر، وهو خطأ.

(٢) أي: ضرر. يبدو أنها كتبت كما هي باللهجة المحلية الحضرمية.

[موقف الحداد والهندوان من شجرة النسب]

ولم يزل السيد عبد الله الحداد، والسيد أحمد بن عمر الهندوان، المذكوران، يردان الأنساب إلى الشجرة، ويأخذان بما فيها في كل قضية لهما، أو وردت عليهما، وقد وقع لي ذلك معهما في قضايا كثيرة، ترفع إليهما، فيعتمدون ما عندي في (كتب الشجرة)، وكانا ممن يحضّني على الاعتناء بها، والاجتهاد في خدمتها.

* * *

[الخاتمة]

فهذا آخرُ ما أردنا ذكره، وأحببنا نشره، من كلام مشايخنا الكرام، وعلماء بلدتنا، سادتنا السادة الأعلام، في تصحيح العمل على كتب الشجرة، فإنهم أعلمُ بها من غيرهم، وقد اختبروها فاعتبروها، مع كثرة اطلاعهم، وسعة باعهم في العلوم، فحالهم عند الناس معلوم، وكلام العلماء في علوم الأنساب المجهولة غير خافٍ عليهم».

انتهى كلام الحبيب عبد الرحمن نفع الله به».

* * *

(٥)

كشفُ الحقّ عن علوم الحقيقة

وتمييز التلبيس عن رسوم الطريقة

ويليه:

جواب مكاتبة ضمنها سؤال من الحبيب

الحسن بن علي الصادق الجفري

تأليف

علّامة الدنيا الحبيب

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه باعلوي

هذا الكتاب:

كتاب قيم، من مؤلفات علامة الدنيا، نفعنا الله به، فيه فوائد غزار، وفهوم لا ينالها إلا الكبار. نثر فيه إجاباته على أربعة أسئلة وردت عليه سنة **١١٣٥**هـ، من جهات شتى. تظهر فيها عظمة ذلك الإمام، واشتهار صيته في بر عربها والأعجام. وملحق به نص مكاتبة جرت بينه وبين أخيه في الله، السيد العلامة الحسن بن علي الصادق بن الهادي الجفري المتوفى سنة **١١٧١**هـ، بالقرين، قرب سيون.

النسخة المعتمدة في التصحيح:

يسَّر المولى جل شأنه، الوقوف على نسخة فريدة من هذا الكتاب، **محفوظة في** بعض الخزائن الخاصة، في وادي حضرموت، صانه الله وحرسه، تقع في **٣٦** ورقة = لوحةً، أي **٧٢** صفحة، وتمت المقابلة عليها، وتصحيح ما يلزم تصحيحه، نحواً وإملاءً، مما هو واجب العناية بكتب التراث.

والله ولي التوفيق

* * *

كتاب كشف الحق عن علوم الحقيقة

وتمييز التلبيس عن رسوم الطريقة

تأليف الفقير إلى الله عبد الرحمن بن عبد الله

بن أحمد بن الفقيه باعلوي

نفعنا الله به وبعلومه

آمين آمين آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القريب المجيب لاهل المسايل الفتاح
العليم بحكم قبول في كل اقبال على قابل بحسب
ما تعطيه الحقايق وتاخذه القوابل المنعم المناح
بكل نوال لكل مستجيب ولكل سايل الجامع
القاسم بين عباده كما شا فيما شا سوابغ
المدد والفضايل أحمده ابلغ حمد صدر
من اصدق قايل واتوسل اليه بجوده الشامل
اشرف الوسايل وبعبده العبد المصطفى الكامل
سيدنا محمد واله الكرام واصحابه الفخام
واتباعه الاماثل وبعد فانه ورد علي عام
خمس وثلاثين ومايه بعد الالف ثلاث مسايل
وهي وان كانت من جهات شتى لكنها اتفقت في
ايام متقاربه وهي في المعنى متناسبه من حيث
التاصيل والتفصيل والدلايل فاتفق الجواب عنها
في زمن واحد واقتضى الحال وداعية الحق في تصحيح

المقال

حيث لا تعتدوا في الدعا ومنهوم من كلام
العلما وكذلك التعدي بالدعا بسلب دينه
او دنياه الا اذا كان الفساد من ذلك الوجه
ولا يزول الا به والله اعلم وأما
من اعطي استجابة الدعا وخرق العاده فلا
باس ان يضعها موضعها خصوصًا في نفع
المسلمين لكن الاولى تركه في ذلك وتفويض
الامر الى الله لان العبد لقصوره عن معرفة
حقايق الامور وما تخفيه الصدور قد
يضع الاشيا في غير محلها فيبتلي ويسلب ويعاقب
والاولى التفويض الى العليم الخبير والادب
الوقوف مع اختياره في كل قليل وكثير
وان لم يكن بذا وذا عجبا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله القريب المجيب لأهل المسائل، الفتاح العليم بكل قبول في كل إقبال على قابل، بحسب ما تعطيه الحقائق وتأخذه القوابل، المنعم المناح بكل نوال لكل مستجيب ولكل سائل، الجامع القاسم بين عباده كما شاء فيها سوابغ المدد والفضائل، أحمده أبلغَ حمدٍ صَدَرَ من أصدقِ قائل.

وأتوسّل إليه بجوده الشامل أشرف الوسائل، وبعبده العبد المصطفى الكامل، سيدنا محمد وآله الكرام وأصحابه الفخام وأتباعه الأماثل.

وبعد؛

فإنه ورد عليَّ عامَ خمس وثلاثين ومئة بعد الألف ثلاثُ مسائل، وهي وإن كانت من جهات شتى لكنها اتفقت في أيام متقاربة، وهي في المعنى متناسبة من حيث التأصيل والتفصيل والدلائل.

فاتفق الجوابُ عنها في زمنٍ واحد، واقتضى الحالُ، وداعيةُ الحق، وتصحيح المقال لكل قائل، تأصيلُ أصولٍ تتفرع عنها الجواباتُ وما يلائمها، في فصولٍ، لينجلي الحق لكل قائل، في تلك المسائل، وما أشبعها للسائل وغير السائل.

***

ويتضح بذلك الطريق الواضح بالحقيقة، ومعرفة كثرة التلبيس من أهل

الدعوى والتدليس على الناس، في رسوم الطريقة، وعلوم الحقيقة، في جميع الخصال والشمائل، وسميتُها:

كشْف الحقِّ عن علُوم الحقيقَة

وتمييز التلبِيسِ عن رسُوم الطريقة

وناهيك بها من رسالة جامعةٍ للمقصودِ من أفضل الرسائل، ورتبتها على مقدمةٍ، وخاتمةٍ، وعشرة أصولٍ، وعشرة فصولٍ، في تفصيل المقاصدِ وإيضاح الدلائل.

❋ ❋ ❋

فالمقدمة

في بيان المسائل وسوق لفظ السائل

وما دعى إلى إجابته وما هو عليه حامل

المسألة الأولى: من بعض الإخوان من اليمن الميمون ما لفظه: «ما قولكم يا سيدي، وقرة عيني، فيمن تصدى في هذا الزمن لتربية المريدين، وتسليك الواردين، على قاعدة أهل الطريق، التي هي خلاصة الدين، وخاصَّة أهل اليقين، وهو مسلكٌ عزيز قد عفَت آثاره، ومنزلٌ كريم قد خبَتْ نارُه، وخفيت أسراره.

بيت:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُر بمكة سامِرُ

وإنا نجدُ في كلام كثير من المحققين العارفين الأكابر، الجامعين إلى علم الأنوار وذوق الأسرار التحقيقَ في علم الظاهر، كحُجة الإسلام الغزالي وغيره من المقدمين، والشيخ عبد الوهاب الشعراوي وأمثاله من المتأخرين، تأصيلاً عظيماً لفصُول هذه الطريق، وتفصيلاً طويلاً يحيلُ من حيث العادة الغالبة الآنَ، الوصولَ إلى التحقيق، بحيث يكاد العقل يجزم بأن طريقَ هذه الطريق اليوم كالمسدودة، ودعوى التحقيق في هذا الزمان كالمردودة، مع أنا نرى أكثر المتصدِّين الآن لهذه الأمور الغالب عليهم القصور في العلوم والفتور في الأعمال، وعدَم الذوق وقلة النور في حل الإشكال.

على ما يظهر على ظاهرهم، من الطمع العام فيما عند الأنام، فجعلوا الترسم بهذا الطريق شبكةً لطلب الجاه وجمع الحطام، والتلبيس على العوام، ونجد أكثرهم إنما

يتصدَّى تبعاً لأبيه، أو لصديقه وأخيه، فتعدى عن طوره، واعتدى على غيره، غروراً بتعظيم حواشيه، وخاصته وذويه، وانجفال العوام وإقبالهم عليه.

فاكشفوا لنا يا سيدي القناع عن هذه المهمة، وافتحُوا لنا باب الطريق إلى الطريق، وكيف النجاة من هذه الغمة، وكيف الخلاص من هذه الحالة المظلمة المدلهمة؟ فإن محبكم السائلَ قد جال بهذه المسائل في هذا الإشكال في الشام واليمَن، فلم يجد لحل إشكاله، وإجابة سؤاله، أهلاً سواكم في هذا الزمن، لجمعكم في الشريعة بين المعقول والمسموع، وتأهلكم في الطريقة لتأصيل الأصول وتفريع الفروع، وقد كفى وشفى ما ظهر منكم من تحقيقٍ، وبان به وجه الحقّ والطريق فيما ظهر وبطن.

أسأل الله أن يتولاكم في السر والعلن، ويحفظكم بعين عنايته، وأولى ولايته، ويحفظ بكم الخاصة والعامّة من مضلات الفتن، ومضراتِ المحن».

***

وأما المسألة الثانية: فهي من الهند من بعض الفضلاء، فيمن يتصدر يتكلم بلسان أهل الحقيقة، وأذواق أهل الطريقة، ويتصدى لقراءة كتب الحقائق، ونشرها بين الخلائق، وإذاعة ما فيها في الجموع التي فيها الكاذب والصادق، والمنتقد المخالفُ والمعتقدُ الموافق، ويزعم أن ذلك حق الدين، وعنوان أهل اليقين، وصفوة صفات المتقين.

مع أنا نجدُ من شيوخنا من هو عندنا أعظم حالاً وأجل إقبالاً، وأقوم أعمالاً ينهَى عن ذلك ويَنْأَى عنه، ويحذِّر من الدخول فيه، والقرب منه، ويرى أن الأهم الاشتغالُ بعلم المعاملات، والاجتهادُ في تقويم العبادات، وإقامةِ الصلوات في الجماعات، وأن دَعوى ما يخص الخاص بين يدي العامّة من الطاماتِ والضلالات العامات.

فأجيبوا سيدي عن هذا السؤال وأزيحوا عنا ظلمةَ هذا الإشكال، فقد صار الناسُ في ذلك فريقين، وانقسَموا إلى طريقين، وقد عوَّلنا في ذلك عليكم، ووجهنا وجه الطالب منكُم إليكم، فأسعفوا بالمراد، وأوضحوا وجهَ الحق بواضحِ الدليل وأوضَح الإرشاد، أدامكُم الله نفعاً للعباد، ونوراً يستضيء به طلابُ الحق في جميع البلاد، وأقامكم علَماً لأهل الدين وإماماً للمتقين في طريق الرشاد.

وتكرر هذا السؤال أيضاً من تلك الجهة بلفظٍ قريب من هذا، مع سوق بعض ألفاظ المسؤول عن حاله، ومعنى مقاله.

***

وأما المسألة الثالثة: فمن مكة المشرفة، من بعض أهل العلم:

«ما قولكم يا سيدي وحبيبي في الله، ومن عليه بعد الله ورسوله معتمدي في دين الله، في هؤلاء الذين ينتمون إلى أهل الطريق في هذا الزمان، ويظهر على أيديهم شيء بصورة الخوارق والتصرف في الأعيان، كالمعروفين بالانتماء إلى سيدي الشيخ الشهير أحمد بن علوان، والمشهورين بالانتساب إلى الشيخ الكبير أحمد الرفاعي صفوة الرحمن، فقد افتتن العوامُّ بهم في الطعن حيث لا يضُر بالأبدان، وإمساك الحيات واقتحام النيران، وغير ذلك مما يتعاطاه فقراء هذا الزمان، مع أن من تأمل أحوالهم وعاين أفعالهم وجدَها مُباينةً لمباني الدين، وبعيدة عن طريق المتقين، ومنافيةً لقاعدة التصوف واليقين، بل هي أقرب شبهاً بأهل البهتان، وأجدر شأناً إلى أهل الإثم والعصيان.

فأوضحوا لنا هذا الواقعَ بواضح البيان، وما هذا الذي يجولُون به في هذا الميدان، وأرشدونا إلى الصّواب فيما نقولُ فيه عند إقامة الدليل والحجة والبرهان، وأميطوا هذا الأذى عن طريق الخاصة المخصُوصة بأهل العرفان.

فقد طال منا البحثُ في ذلكَ ومراجعة أجلّاء الأعيان، وأدلاء أهل الحق الظاهرين في هذا الزمان، فما دلونا إلاّ على الله ثم عليكم، وما وجهونا في جلّ ذلك الإشكال إلا إليكم، فتعين عليكم أن يكون الجواب منكم، ووجب بحكم الانحصار فيكم، أدامكم الله نفعاً شاملاً لأهل هذا الزمان، وقدوةً وعُدَّةً في كل المهمات لأهل هذا الشان.

***

فهذه الثلاث مسائل أَوْرَدْتُ كل واحدة منها بلفظ السائل ليعلم الواقف على الجواب الموافق والمخالف ما أبداه السائل من صورة واضحة من ضرورة، فإن الضرر بذلك واقع والغرور به شائع، ولم يجب عنه مجيبٌ ولم يدفع عنه دافع، فتعين عليَّ أن أبدي ما عندي في ذلك، وما وصل علمه إليَّ، وانحلَّ فهمه لديَّ.

وقد توقفتُ مدةً عن الجواب، ورأيت أن السكوتَ أسلمُ والصمت أغنمُ من فتح الخطاب، لغلبة العجز والقصورِ والميل عن الصواب، وكثر الجاحدين والحاسدين المعادين لهذه الأسباب، والمعاندين لمن فتحَ هذا الباب، ولكن رأيتُ الحق معروفاً بنفسه لا بالرجال، والمنصفون ينظرون إلى المقولِ لا إلى من قال.

فإن وفّق الله فيه للحق فبفضله، وإن وقعتُ في الخطأ فإني من المعترفين بالقصور، ومن أهله.

مـن ذا الذي ما سَـاء قَطْ ومـن لـه الحسْـنى فقَـطْ

وليس درجةُ الكمال إلا لمن خصّه الله واصطفاه، وحقَّقه بحق العصمة في جميع الخصال.

***

[مسألة رابعة]:

وألحقتُ بهذه المسائل الثلاث مسألةَ رابعةً، قد سئلتُ عنها قديماً، وأجبت عنها سابقاً؛ لأنها مناسبة للحال، وتندرج مع تلك المسائل في أصول الأقوال، وتفريع المقالِ، وهي من اليمن أيضاً، ولفظ السائل عنها:

ما قولكم يا سيدي، فيما ينسب إلى أهل الله من أهل الذوق والكشف الصحيح واليقين، كمسألة وحدة الوجود، والتجلي في الصور، المنسوبين إلى الشيخ محيي الدين، وقولته المشهورة في مسألة الكسب، والآيات المتشابهات من إثبات المعنَى بلا تقييدٍ ولا تعيين، هل يخالف ذلك ما جرى عليه أكثر العلماء المحققين؟ وأهل العقائد المدققين؟ أم لا خلاف في الحقيقة، وإنما الاختلاف صورةً؟ من حيث العلمُ والاستدراك والكشفُ والذوقُ عند أهل الطريقة؟

❊ ❊ ❊

[الشروع في الجواب]

فنأخذ بإذن الله في الجوابِ ونقول، بحسَب ما أفاضَ الله من العلمِ على العقول، وفتح به من الفهم في المنقول، وما يشهد لذلك من كلام المحققين من حكماء الطريق وعلماء الأصول، والله المسؤول في بلوغ السول وحصول المأمول.

وأما الأصولُ:

فالأصْلُ الأوّل

من المعلومِ أن الكلام على الشيء فرعٌ من تعقّل جملتِه، وتصور ماهيته، من حيث الجملة لا التفصيل، إذ لا يطلب المجهولُ، ولا يمكن الإثبات والنفي فيه إلا بعد علمه، ولا الإنكار له ولا القبول، ولا بد قبل تفصيله من معرفة أصوله، إذ لا يمكن التفريقُ في الفروع إلا بعد تحقيق الأصول، ليعرف ما يرجع إليها من الأحكام، ويترتب عليها من اللوازم والإلزام.

ثم إن المتكلمَ في أيّ فنٍّ من العلوم، إن لم يلحق فرعَه بأصله المعلوم، ويحقق أصله أيضاً من فرعه المنظوم، ويصل عقله فيه بنقله الصحيح، ويقابل فهمه فيه ما نقلَ عن أهله بالتصريح، فسكوتُه عن التعرض لحل مشكلاته، وسكوته عن التصدي لكشف معضلاته؛ أولى به من تعاطيه وكلامه؛ لأنه الخطأ أقرب إليه من الصواب، عند تفريقِ أقسامِه، وتحقيق تأصيله وتفصيله وانقسامه، **اللهم** إلا أن يقتصر على مجرد الرواية وضبط المنقول على أهل الدراية فرب حامل فقه غير فقيه ورب مُبَلّغ أوعى من سامع فيه.

***

ولا شك أن علم التصوف الشاملَ لعلم الرقائق والحقائق، صفوة الدين، وزبدة العلوم، وتفرعه عليها، وانتظامه بحصولها معلومٌ، فهو خلاصتها الحاصلةُ، وثمرتها الكاملة، فالكلام فيه على التحقيقِ والتفريع يتوقفُ على معرفة الأصول والفروع، والأخذ بالحظ الوافر في العلومِ ومن المعقول والمسموع، مع مساعدة قريحةٍ ذكيةٍ، واستعدادٍ بقلب سليم ونفسٍ زكية، من ذي اعتقادٍ صافٍ، وذوق وافٍ، ونور ضافٍ، مع خلوّ من التعصب وقبح العلل والأغراضِ، وتنزه من التعسف وحب الانتقام والاعتراضِ.

فالتصوفُ في الحقيقة، فقهٌ في الدين، واتصافٌ بصفات المتقين، واجتهاد في تقوية اليقين، فهو مبنيٌّ على علم الأحكام، وأصولها، وفروعها، والحديث، والتفسير، المبنيةِ هي على أكثر العلوم، كما يعرفه العارف الخبير، مع زيادةٍ يتوقف عليها علمُ التصوف، وهي علم الأخلاقِ، وأسرار الخليقة، المبني عليها أكثرُ أحكام الطريقة، وأعلى من ذلكَ، من اتضاح جليّة الحق، ومظاهر الخلق، بمشاهدة الأنوار، وذوق الأسرار، بالحقيقة التي هي غايتُه عند من عرَف تحقيقه.

❊ ❊ ❊

الأصل الثاني

التصوفُ: فقهٌ مخصوصٌ؛ لأن علم الأحكامِ المسمَّى بالفقه، والفروعُ مسائله، كلُّ حكمٍ عامٍّ في عام يعمُّ الخواصَّ والعوامَّ، على بساط الإسلام. فأحكامه عامةٌ كلية، وأحكام التصوفِ خاصٌّ في خاصّ، يختص به الخواص، فأحكامه خاصةٌ حَريةٌ.

ومعنى ذلك: أنه يختلف الحكمُ الواحدُ فيه بين المحكوم عليهم بحسَب الحالِ والمقامِ، وما يقتضيه الوقت والنظام، فلا يحكم فيه بحالٍ إلا بحسب الحالِ والفرد الخاصِّ، والزمان والمكانِ، لا على العمومِ ولا على الدوام؛ فلذلك؛ لم يكف فيه شيخُ التعليم؛ لأنه إنما يلقي الكلمات والتعميم، وتوقَّفَ على شيخ التربية؛ لأنَّ له نظراً دقيقاً، وتحقيقاً وتفريقاً، يختلف باختلاف ما ذكرناه بالتأخير والتقديم.

فإذا عرفت ذلك؛ علمتَ أن الخاص مندرجٌ في العام، وأن كل تصوفٍ فقهٌ، فما الفقهُ إلا أحكامٌ، ولا عكسَ، أي: فليسَ كل فقهٍ تصوفاً، لأنه عام.

فالطريقة: هي العمل بالشريعة على وجه مخصوص، وحال مخصوصٍ، **والحقيقةُ** ثمرة الطريقة، ولا تكون إلا مطابقةً للشريعةِ، لترتبها عليها، ورجوعها إليها، ومن لازمِ ذلك: أن تكون الحقيقةُ مطابقةً للكتاب والسنة، فكلُّ حقيقةٍ لم تُبْنَ على طريقةٍ، وتشهد لها شريعةٌ؛ فهي مردودة، وكل طريقة لم تأتِ من جهة الكتاب والسنة فهي مسدودة: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وفي الحديث: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بَعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كل بدعة ضلالةٌ، وكل ضلالةٍ في النار». وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

فالقرآنُ العظيم فرقانٌ، يفرِّق بين الحق والباطل، ونورُ هدًى يعرف به العالم والجاهل، وميزانُ قسطٍ يميز بين الأفضَل والفاضل، والعالي والنازل، فهو مع السنة الشريفة التي هي شرحُه وبيانُه. يحكم على كل قائلٍ وفاعلٍ، وترد إليه عند التنازع في جميع الأحكام والمسائل. قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]. وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷺ: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي، فاستنطقوا القرآن بسنتي، فإنها لن تعمَى أبصاركم، ولن تزل أقدامكم، ولن تقصر أيديكم، ما أخذتم بهما». وقال أيضاً: «خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

وقال أيضاً: «ما بالُ أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنعه! فو الله إني لأعلمُهم بالله، وأشدُّهم له خشيةً». وقال أيضاً: «ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومثله معه، ألا يوشك رجلٌ شبعانٌ على أريكته يقول: حسبكم هذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه، ألا إن ما حرَّم رسول الله مثل ما يحرم الله...»، الحديث.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديثِ، الحاكمة على كل مسلم أن لا يقبل ولا يسلِّمَ إلا ما شهد له الكتاب والسنة، ولا يلتفت إلى غيره من الأقوال، سواءً كان قائلُه من أهل العلم والنظر، أم من أهل التصوف والذوق والكشف الذي ظهَر.

فإن النظرَ يخطئُ ويصيب بالإجماعِ، والكشفُ إن خرجَ عن الكتاب والسنة فليس بصحيحٍ ولا له من سماعٍ؛ لأن الكشفَ الصحيح لا يخرج عن الكتابِ والسنة، لأنه ثمرةُ الدين والاتباع، وإن الشريعة ظاهرُ الحقيقة، والحقيقةُ باطنُ الشريعة، وهما متلازمان، فكل شريعةٍ غيرِ مؤيدة بالحقيقة فغيرُ مقبولةٍ، وكل حقيقةٍ غيرِ مؤيدَة بالشريعة فغيرُ محصولة.

فالكتابُ والسنة أصلُ الشريعة والحقيقة، وهما وحيٌ يوحَى، لا يخطئ أبداً، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فالقرآن العظيمُ كافٍ وافٍ يحل كل إشكال، شافٍ لكل داء عضال، والسنةُ شرحه وبيانه على الكمال، فلا يخرج عنها حكم عند من له الفهم، وأوتي الحكمة والعلم. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وتفصيل كل شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] الآية، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. قال الجنيد: علمُنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال بعض المحقِّقين: كل فهمٍ وفتحٍ لا يشهدُ له الكتابُ والسنة، فليس بشيء، فلا يفتح لولي قط إلا في الفهم في الكتاب العزيز والسنة، ولا يخرج علمُه جملة واحدةً عنهما، فإن خرج فليسَ بعلم ولا كشفٍ، بل إذا حققتَه وجدته جهلاً.

* * *

الأصلُ الثالث

علم التصوف المسمَّى علم الباطن، على قسمين: علم الرقائقِ، وعلم الحقائق. **ويقال:** علمُ المعاملة، وعلم المكاشفة.

وهو بقسميه لا يتحقَّق إلا بعد إحكام الأحكام الظاهرة، والعمل بها؛ لأنه فرعها وغايتها العائدة في الدنيا والآخرة، ولسنا نعني الأخذ بها على طريق أهل الجدال، ومجرد الأقوال، بل التلقي لها على طريق السلف الصالح، بالإيمان والقبول، والإذعان والتسليم للمنقول، والتقليد المحض لله وللرسول، على حسب الإطلاق والتقييدِ في جميع الشأن على حسَب النزول، واستعداد القلب بالتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل، ليتجلى النور النازل بتلك الفروع على تلك الأصول، بحسب الفيض لا الفكر على العقول، وذلك ثمرة التقوى في جميع المنازل.

قال الله وهو أصدق قائل: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من كل إشكال وحرج، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣] من غير طريق الحس والفكر. وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والآيات في ذلك كثيرة والأحاديث أكثر وكله أخلاق وأذواق وهيئات وأحوال، إنما يتلقى كمالها بالوهب بواسطة أهل الكمال لا بمجرد الكسب وتعلم العلوم وتحصيل الأعمال.

[القسم الأول:
علم الرقائق والتصوف والسلوك]

فأما القسم الأول، المسمى بالرقائق، والتصوف، والسلوك، وعلم المعاملة. فهو ما يتعلق بتعمير الباطن بالمعاملات القلبية، بتخليته عن المهلكات، وتحليته بالمنجيات.

وهو على كل حال مطلوبٌ، وفيه ما هو فرضُ عينٍ، وفرض كفايةٍ، ومندوب.

فالفرض العيني فيه على كل شخص: ما يتوقفُ عليه أداءُ الواجباتِ الظاهرة والباطنة، بحيثُ ينتفي عنه السخَطُ، واجتنابُ المحرماتِ، البارزة والكامنة، حتى لا يبقى إثمٌ، وما سوى ذلك فرض كفايةٍ، أو مندوب.

وهذا العلمُ بالمحلّ الأفضل من الدين، وهو الفقهُ الحقيقي، وأهم العلوم عند العلماء المتقين، أصحاب اليقين؛ لأن موضوعه: أعمالُ القلب، وبه صلاحها، وتطهيرها من الأمراض والعيوب، والاستعداد لتجلّي المعارف وأسرار العلوم وأنوار الغيوب، ولا شك أن عمل القلوب أجلُّ من عمل الجوارح.

ولا يصح العمل الصالحُ، إلا من قلب صالحٍ. ففي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغةً، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

فالاجتهاد في إصلاحه بُدُّ كل إنسانٍ؛ لأنه ـ أي القلب ـ موضعُ الإنسانية منه، أي الإنسان، ومنبع الإيمان، ومطلع المقامات والإحسان، فإذا مرض القلب بالغفلة، ومات بالقسوة، وتلاشى بنوره في ظلمة العصيان، كانت عقباه الموت الأبديُّ، والسخط الدائم، ونهاية الخسران، وإذا اعتلَّ الجسمُ ومات بتلك العلةِ فما هو بنقصان، بل قد يكون زيادة في الدين بالصبر على ما كان.

وعلى الجملة؛ فوائد هذا العلم الذي به صلاح القلوب لا يحصيها لسانٌ، ولا يفصّلها بيان، ولا يسعها التعبيرُ، ولا يعرف قدره إلا من هو خبير.

فهذه طريقُ التحقق بحق الدين، والتخلّق بأخلاق الله وأوصافِ المتقين، وذوقُ صافي المعرفة، وصفاء اليقين. وهو أوسع من علم الأحكام، وأكثر انتشاراً في الفروع والأقسام، وأدقُّ معانٍ وأحلى بيان، وأعْوَصُ على الأفهام؛ لأنه أحل[١] القلوب وصفاتها المحمودة والمذمومة لا تتناهى أعدادُها، وكيف يحاط بحدودها وقيودها، وحقائقها ودقائقها وأعدادها، فقد يخفى بعض معاني هذا العلم حتى تكل عنه العبارة، وتقصر عنه الإشارة، فيقع فيه الإنكار بواسطة تلك الغرابة والنكارة، وأكثر ما يُدرَك علمه لأهل اليقين، بنور الفراسة والإلهام وللمتقين، باستقبال القلوب السليمَة المقدسة عن الشكوك والظنون والأوهام.

❊ ❊ ❊

[القسم الثاني:
علم الحقائق والمكاشفة]

وأما القسم الثاني، المسمى بعلم الحقائق والمكاشفة، والعلم اللدني، وإلهي[٢].
فهو: ما يتعلق بعرفان الحق في ذاته وصفاته، وفيض النور والجود منه على أعيان الوجود في جميع تعيناته، في جزئياته وكلياته، بالعلم والذوق والشهود.

وهو أعلى العلوم وغايتها، ولباب فوائدها ونهايتها، وهو نور إلهي يظهر في القلوب، عند تزكيتها وتطهيرها من الأمراض والعيوب، فتنكشف له حقائق الأمور ومعاني الأحكام العلميات والعمليات، وما بينهما من الروابط والمناسبات، وتفصيل

---

(١) كذا في الأصل. وفي الهامش: «ظن. لأن أخلاق القلوب».
(٢) كذا في الأصل. ولعله: والإلهي.

المجملات، أو ذوق المعاني والتعينات، وغير ذلك مما لا تحصيه الأقلام، ولا تحويه الصدور، حتى تحصل المعرفة بالله في ذاته وصفاته، وأفعاله وأحكامه وحكمته، في جميع الكون وأحواله وأسراره، وأنواره السارية في معانيه وأطواره، فيرتفع به الغطاء حتى تتضح جلية الحق كالعيان وينفتح باب المعرفة التي لا يحتاج معها إلى بيان.

فهو العلمُ الحقيقي المعطي كلَّ مقصود، في تحقيق الوجود، وإفاضة النور والجود، لا يخرج عنه شيء عند أهل الذوق والشهود.

وهو ممكنٌ في كل إنسانٍ؛ لأنه خلق في أحسن تقويم، وأعدلِ ميزان: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]. لكن تراكم على مرآة قلبه الصدى والخبث وران، وأظلمت بحجاب الغفلة والشهوة والقسوة والعصيان: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠].

فرده الله إلى أسفل سافلين، وانحط عن التأهل لمعرفة الحق والحقائق والعرفان، فإذا رجع إلى مولاه، وعرج إلى أولاه في علاه، فبقدر صفاء السريرة، وجلاء مرآة القلب والبصيرة، تتجلى له تلك المعاني والغيوب، في ألواح القلوب.

وهذا العلم الشريف لا نهاية لأنواره وأقسامه، ولا غاية لتفصيل فنونه وانقسامِه؛ لأنه يتعلق بالذات والصفاتِ التي لا نهاية لها، والإيجاداتِ والوجودات التي لا غايةَ لها، فهو أوسع العلوم لشموله لها كلها، بل لكل معلومٍ، وأشرفها نفعاً؛ لأن موضوعَه معرفةُ الحق والحقائق، وكل جود وموجودٍ، وأصحها شهادة العقل والنقل، ومشاهدة أهل الذوق والشهود.

* * *

الأصْلُ الرّابعُ

استغرب قومٌ وقوعَ العلم اللدنيِّ هذا، وأنكروه، وعادوه، لجهلهم به، والمرء عدو ما يجهله، واستحقروه، وحصروا العلوم في الفقه، والأصول، والحديث، والتفسير، وأنه لا أثر لهذا العلم اللدنيِّ الذي يذوقه أهل الطريقَة، ويشهده أهل الحقيقة ولا تأثير، وذلك مبلغهم من العلم، لقناعتهم بالقصور، ووقوعهم في التقصير؛ لأنه لا يعرفُ قدر هذا إلا من ذاقه وشهدَه، فهو به خبير.

وأفرطَ آخرون؛ فقالوا: هو العلم على الحقيقة، وصاحبُه به غنيٌّ عن العلم، يكفيه في جميع أمرِه شريعةً وحقيقةً.

والحقُّ الذي لا محيصَ عنه: أن الكتاب والسنة وعلوم الشريعة، هي الأصولُ، وأنه فرعٌ عليها، ومنشؤه منها، فلا عثور عليه إلا من طريقها، ولا إليه من دونها وصولٌ. وقولهم: إنما العلم بالتعلم على ذلك محمول؛ لأن الكتاب والسنة له أصولٌ، فهو وإن كان كاملاً في نفسه، شريفاً في ذاته، لا يستغني عن سائر العلوم، بل لا يحصل إلا بمقدمات كثيرة لا تنتظم إلا على علوم كثيرةٍ، من علوم المنقول والأخبار، ومسالك العقول والأسرار، ومواقع الاستبصار، ومن بعد ذلك تتفجر أنهارُ العلوم، بحسب زكاة القلوب وذكاء الأفهام، وتتفرع على تلك الأصول بأنوارِ الفراسة ومواهب الإلهام، ويحصل التحقيق الذي لا يشوبه الظنون ولا تخالطه الأوهام.

فمن سلك طريق القوم، السالمين من اللوم، واقتدى بآثارهم، واهتدى بأنوارهم، عرف ذلك بالذوق والكشف والشهُود، وعَلِمَ الحق في جميع الحقائق بإفاضة نور الجود من واجب الوجود.

[كلام حجة الإسلام في التطلع إلى الحقائق]

قال الغزالي في كتابه «المنقذ من الضلال»، بعد أن شرح تحقيقه للعلوم التي معَ الناس، ووقوفه على حقائقها وغاياتها، وما يحصل منها من كمالٍ:

«ثم إني لما فرغتُ من هذه العلوم، أقبلتْ همتي على طريق الصوفية، وعلمتُ أن طريقهم لا تتمُّ إلا بعلمٍ وعملٍ. فابتدأتُ بتحصيل علمِهم، وحصلت على ما يمكن أن يحصَّل من طريقهم بالتعلم والسماع. وظهَر أن أخصَّ خواصِّهم ما لا يمكنُ الوصول إليه بالفعلِ، بل بالذوق والحال، وتبديل الصفاتِ.

فكم من الفرق بين أن يُعلم حدُّ الصحة والشَّبَع، وشروطهما وأسبابهما، وبين أن يكون صحيحاً أو شبعانَ!. وكم من الفرق بين أن يكونَ سكرانَ، وبين أن يعرف حدَّ السكرِ، بل السكرانُ لا يعرف حدَّ السكرِ ولا علمَه! والصاحي يعرف حدَّ السكر وأسبابَه، وليس له من السكر شيءٌ.

وكذلك فرقٌ بين أن تعرف حقيقة الزهدِ، وشروطَها وأقسامَها، وبين أن تكون زاهداً، حالُك الزهدُ، وعزوفُ النفس عن الدنيا.

فعلمتُ يقيناً أنهم أربابُ أحوالٍ، لا أصحابُ أقوالٍ، وأنّ ما يمكن تحصيله من طريقهم بطريق التعليم فقد حصلته، ولم يبقَ إلا ما السبيلُ إليه بالسماع والتعلم، بل بالسلوك والذوق».

***

ثم ذكر خروجه من بغداد في طلب ذلك السلوك، ولزومه للخلوة والرياضة، والمجاهدات والعزلة، ودوامه على ذلك مقدار عشر سنين.

إلى أن قال: «وانكشفَ لي في أثناء هذه الخلواتِ أمورٌ لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدْر الذي أذكره لتنتفعَ به: أني علمتُ يقيناً، أن الصوفية هم

السالكون لطريق الله خاصةً، وأن سيرتهم أحسَنُ السير، وطريقتهم أصوبُ الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو جمع عقلُ العقلاءِ، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا أشياء من سيرتهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا لذلك سبيلاً.

فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، وظاهرَهم وباطنهم، مقتبسةٌ من مشكاة نور النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نورٌ يستضاء به. وليتَ شعري! ماذا يقول القائلون في طريقةٍ طهارتُها، وهي أول شرائطها، تطهيرُ القلب عما سوى الله بالكلية. ومفتاحها، الجاري منها مجرى التحرُّمِ من الصلاة: استغراقُ القلب بذكر الله. وآخرها الفناءُ بالكلية في الله. وهذا آخرها بالإضافة إلى ما لا يكادُ يدخل تحت الاختيارِ والكسب من أوائلها، وهو على التحقيق أول الطريقة، وما بعدَ ذلك كالدّهليز للسالك.

ومن أول الطريقة تبدو لهم المكاشفاتُ والمشاهداتُ، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكةَ، وأرواح الأنبياء، والصور، إلى درجاتٍ يضيق عنها نطاقُ النطق، ولا يحاول معبر أن يعبِّر عنها، إلا اشتمل لفظُه على خطأ صريح.

وعلى الجملة؛ ينتهي الأمرُ إلى قربٍ يكاد يتخيل طائفةٌ منه الحلول، وطائفةٌ الاتحادَ، وطائفةٌ الوصولَ، وكل ذلك خطأ، وقد بينا وجه الخطأ في كتاب «المقصد الأسنَى»، بل الذي نازلته تلك الحالةُ، لا ينبغي أن يزيد على أن يقول:

فكان ما كان مما لستُ أذكرُهُ فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخبرِ

وبالجملة؛ فمن لم يرزق شيئاً منه بالذوقِ، فليس يدري من حقيقة النبوة إلا الاسم. ونهاياتُ الأولياء على التحقيقِ، بداياتُ الأنبياء.

وكان ذلك أولُ حالِ رسول الله ﷺ حين تبتل في غار حراء، حتى كان يخلو فيه بربه، ويعبده. حتى قالت العربُ: إن محمداً عشق ربه!. وهذه حالةٌ يتحققها بالذوقِ من سلك سبيلَها، ومن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع، إن أكثر معهم الصحبةَ، حتى يفهم ذلك بقرائنِ الأحوال يقيناً، فمن جالسَهم استفاد منهم هذا الإيمانَ، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

ومن لم يرزَق صحبتهم؛ فليعلم إمكانَ ذلك يقيناً، بشواهد البرهان، على ما ذكرناه في (كتاب عجائب القلب) من كتاب «الإحياء».

فالتحقيقُ بالبرهان: علمٌ. وملابسةُ عينِ تلك الحالة: ذوقٌ. والقبولُ من التسامع والتجربة بحسن الظن: إيمانٌ. فهذه ثلاث درجات: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ووراء هؤلاء قومٌ جهالٌ، ينكرون أصل ذلك، ويعجبون! ويقولون: كيف يذوقون؟. وفيهم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]». انتهى ملخصاً.

* * *

والبرهانُ الذي أشار إليه في (كتاب عجائب القلب) هو قريب مما ذكره في «المنقذ من الضلال» أيضاً، وغيره من كتبه.

وحاصله: أن الإنسان في أول الفطرة خلقَ خالياً ساذجاً، لا خبر عنده من عوالم الله التي لا يحصيها إلا الله، ثم خلقت له الإدراكاتُ، ليطلع بكل واحدٍ منها على جنسٍ من الموجودات. كما قال الله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [النحل: ٧٨] الآية.

فأولُ ما خَلقَ في الإنسان حاسةَ اللمسِ، فيدرك بها أجناساً كثيرة: كالحرارةِ، والرطوبة، واللين، وأضدادها، وغير ذلك. مع قصوره عن المشمومات، والمبصرات، والمسموعات: كالريح، واللون، والصوت، قطعاً فهي معه كالمعدومة.

ثم يخلق له البصر، فيدرك الألوان والأشكال وغيرها، ثم السمع فيدرك الأصوات ونحوها، ثم الذوق، كذلك اللون. [ثم] يجاوز عالم المحسوسات، فيخلق فيه التمييز، وهو طور آخر من أطوار وجوده، يدرك فيه أموراً زائدة على المحسوسات، ثم يترقى طوراً آخر، فيخلق له العقلُ، فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات، وأموراً لا تدرك في الأحوال التي قبله.

ووراء العقل طورانِ آخران، موجودان. هما: الإلهام والكشف، والرؤيا الصادقة وبعدها النبوة والرسالة. والدليلُ على وجودهما: وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالحواسِّ ولا بالعقل ولا بالتجربة، كأشياء كثيرة من علوم النجوم، والطب، والخواص وغيرها، كما يعلمُ ذلك من يختبرها.

هذا مع من ينكر النبوة، وأما من يقرّ بها؛ فإنه: إذا جُوِّز للنبي الإخبارُ عن الغيب وأمور المستقبل عقلاً، فلا يستحيلُ أن يخلق شخْصٌ يدرك ذلك.

وأيضاً؛ الرؤيا الصادقة ينكشفُ بها الغيب، وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيلُ في اليقظة، فلم يفارق النومُ اليقظةَ إلا في ركود الحواسِّ، وعدم اشتغالها بالمحسوساتِ، فكم من مستيقظٍ غائصٌ، لا يسمع ولا يبصر.

فكما ثبتَ أن بعض الحواسِّ معزولٌ عن مدركاتِ بعضٍ منها، والحواس جملةً بمعزل عن مدركات التمييز، والتمييز بمعزلٍ عما لا يدركه إلا العقل، فكذلك العقلُ، بمعزلٍ عما فوق طورِه من الإلهام بالوحي.

فالمميز إذا عرض عليه مدركاتُ العقل أباها واستبعدها، فكذلك قومٌ من العقلاء، أبوا واستبعدوا الإلهامَ والوحي، وذلك عينُ الجهل منهم، إذ لا مستندَ لهم، إلا أنه طورٌ لم يبلغوه، فظنوا أنه غير موجودٍ في نفسِه، والأكمَهُ لو لم يعلم بالتواتر والتسامع بالألوانِ والأشكال، وحكيَ له ذلك ابتداءً، لم يفهمها، ولم يعرفها، ومن عرفَ الرؤيا؛ وأن النائمَ وهو كالميتِ أو الخشبة الملقاة، يدركُ بعض المغيبات، إما صريحاً وإما في كسْوة مثالٍ، لزمه الإقرارُ بذلك، وكذلك من اعترفَ بالنبوة اعترف بذلك.

وقد منَّ الله بالرؤيا، وجعلها أنموذجاً من النبوة، ليعترف بها العقلاءُ، فإن من لم يكن معه أنموذجٌ من الشيء لم يعرفْه ولم يقرَّ به، ولكن هذا بعض خواص النبوة وما علاها من خواصّ النبوة، لا يدركُ إلا بالذوقِ، من سلوكِ طريق التصوف.

فيدركُ السالكُ في أوائل طريق التصوف أنموذَجاتٍ من ذلك، فيحصل له نوعٌ من الذوق، بالقدر الحاصل، ونوعٌ من التصديق بما لم يحصل، بالقياس إليه»، انتهى.
وهذا المعنى هو الذي أشار إليه فيما تقدّم، من أن من لم يرزق شيئاً منه بالذوق، لم يدركْ من حقيقة النبوة إلا الاسم.

***

وقال في «مشكاة الأنوار»: «من المعارف الربانية ما تقصر عنها قوة الروح العقلي الفكري، فلا يتعدى بها المعتكفُ في عالم العقل أن يكونَ وراء العقل طورٌ يظهر فيه ما لا يظهر بالعقل، كما لم يبعد أن يكون العقل طوراً وراء التمييز والإحساس، تظهر فيه عوالم وعجائبُ يقصر عنه الإحساس»، انتهى.

وقال بعضهم: المعقولُ حدٌّ تقف عنده من حيثُ هي مفكرةٌ، لا من حيث هي قابلةٌ ومطلقةٌ من التقييد بالفكر، فقد تحكم العقولُ المقيدة بأفكارها باستحالة أشياء كثيرةٍ، هي عند أصحاب العقول السليمة المطلقةِ من القيود المذكورة، من قبيلِ الممكنة

الوقوع، بل الواجبة؛ لأنه لا حدَّ للعقول المطلقة تقفُ عنده من حيثُ هي قابلة، بل تترقى دائماً إلى المنازل العلية، وتتلقى أبداً من المناهل الغيبية، والحضرات الإلهية: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢]، انتهى.

* * *

[فذلكة في الفرق بين الخيال والعقل]

وكأن الحسَّ والخيالَ قد يحكمانِ بأشياء يبطلها العقلُ، كحكم الحسن بوقوفِ الظلِّ مثلاً، وتصويرُ الخيال للمعاني أشكالاً، ولرائحة المسك ـ مثلاً ـ لوناً وطعماً، فيحكم العقل الصافي ببطلان ذلك، وقد يبقى منها التشغيبُ عليه.

بل قد يغلبان العقلَ الضعيفَ، فتجده ينفر من السوادِ في الليل مثلاً، ومن البعيد قبل معرفة الحقيقة، يتخيلُ أنه مؤذٍ، وقد ينفر مما يعرفه إذا ذمَّه الشاعرُ، أو قيل في مثل العسل: أنه مقيئٌ مهوّعٌ، أو مرّ، والسبب في ذلك: إلف الإنسان لهما، لسبقهما في الوجود على الحاكم العقلي.

فكذلك الحاكم العقليُّ، إذا ألفَ التلقي من الحواس والأفكار، واعتقد أنه لا علمَ إلا ما يقيده التعليمُ، وليس وراء ذلك طريقٌ؛ احتبسَ بذلك في عالم الصور في قيود الفكر، عن التلقي مما فوقَ ذلك. فتجد العقولَ المقيدة بالأفكار، والمتشبثة بالحواس والخيال والأوهام، قد تحكُم باستحالة ما جاء به النبي المرسل بلسان قومه، أهل الله، من صفات الحق وأسمائه المتشابهة.

فإن قوماً عقولهم مقيدة بأفكارهم، مغلوبة لأوهامهم، فتحملهم على التأويل، المفوت لكمال الإيمان، ثم لكمال العلم! فإنه وإن أصابَ في التأويل، لكنه لا يكون علماً؛ لبقاء الاحتمال عندَه، فكيف وخطؤه في ذلك أقربُ من صوابه.

* * *

[وجوب الأخذ بعقيدة السلف الصالح]

فينبغي لذي الهمم الدينية، والمطالب اليقينية، من المواهب اللدنية، أن يطهر قلبه عن الأخلاق الدنيّة، والأعراض الدنيوية، ويقدس لبَّه عن التقيداتِ العادية، والبدع والحوادث الكونية، ويكون من بداية أمره على عقيدة السلف الصالح، الذين آمنوا بالله ورسوله، وقلدوا الله ورسوله فيما قالَ، في جميع ما أنزلَ، فسَلمُوا بذلك عن تقييد العقول والأفكار، بتمثيلٍ، أو تشبيهٍ، أو تعطيلٍ، أو تأويلٍ بمجرد العقل القاصر عن مطلقِ التحقيق في التنزيه، ومزج الاعتقاد بشَوب ظنون الأقيسة، التي بسببها تدخلُ البدعة فيه، فيؤمن بالمتشابهات، والأسماء والصفات، كما وردت، ويثبتها لله كما أرادَ، مع التنزيه.

فليس كمثله شيءٌ، لا على ما يصوِّره أهل التأويلِ بمجرد الظن الفكري، فرُبَّ أمرٍ يكون بالنسبة إلى إدراك أهلِ الفكْر صفةَ كمالٍ، يليق بجانب الحقّ، ويكون بالنسبة إلى علم الحقِّ تعالى نفسِه، وبتلك الصفة نقصاً، وبالعكس.

وذلك؛ لأن معرفة الله التي جاءت بها الشريعةُ، من الجمع بين الظاهر المتشابهات، وبين التنزيه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فوقَ طور العقلِ، من حيث أفكارُها، لا من حيث قبولها للمواهب الإلهية. وقد قال الشافعيُّ: للعقلِ حدٌّ يقف عندَه، كما أن للبصر حد ينتهي إليه، والله أعلم.

***

فإن قلتَ: كيف يكونُ فوق طور العقل طورٌ؟ وما بعث رسول الله إلا أهلَ العقول؟ وإنما مناطُ التكليف، وخطابُ الشرع العقلُ.

قلتُ: إنما خوطب أهلُ العقول بالإيمان والقبول، والعقلُ قابلٌ لذلك، وإن لم يدرك حقيقتَه، فيعتقدُ أولاً تقليدَ الله ورسوله، ثم عند ترقيه في درجات التقوى

والدين، وانفتاح عين البصر واليقين، يذوق معنى ذلك بالوجدان، ويدركه بالشهود والعيان، وكما أنه يكلف أولاً بالشهادتين والإجمال، وما حضر من الأعمال، ولا يلزمه التفصيل وغيره إلا في ثاني حالٍ؛ فكذلك هنا، يقلد الله ورسوله أولاً، ثم يذوقُ ويعلمُ ثانياً، ويتدرج في معارج الكمال.

وكما تحدث في القلب العلومُ الأولية الضرورية، من غير سببٍ خارج، بل بوهبٍ رباني، ثم تكثر، ويتفرع بالنظر في المحسوسات والمعقولاتِ على سبيل التفكر في جميع المعاني، كذلك يهبُ الله العلمَ اللدنيَّ لمن شاء من الأولياء، والوحيَ للأنبياء، ولا يزال يعظم ويتنوع بالذكر لله ولصفاته، والتدبر فيما أنزله من كتابه وسنة رسوله، على سبيل التذكير، كما يعرفه الخبير به، الـمُعَاني له.

* * *

الأصل الخامس

فيما يدلُّ على وجود هذا العلمِ في المنقولِ، وشهادة الآيات والأحاديث، وأخبارِ السلف به، وأنه فوق طور العقول، وأنه لا يعرفه إلا أهلُه، ولا يحل إفشاء غامضِه إلا عليهم، لأنهم أهل الفضل الخالصِ من شوائب الفضول.

قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] وقال: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ، لكل حرف منها ظهرٌ وبطنٌ، ولكل بطن حدٌّ، ولكل حدٍّ مطّلعٌ». وفي رواية أخرى: «لكل آية منها ظهر وبطنٌ، ولكل بطن منه بطنٌ آخر، إلى سبعة بطون».

وقال ابن عباسٍ: إن القرآن ذو شجونٍ وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تدرك غايته. وقال ابن مسعود: من أرادَ علم الأولين والآخرين؛ فليتدبر القرآن. وقال علي رَضِيَ الله عنه: لو شئتُ أن أوقر سبعينَ بعيراً من آية من القرآن لفعلتُ. وفي رواية: من البسملة. وفي أخرى: أربعين جملاً من الفاتحة.

وقد سئل رَضِيَ الله عنه: هل خصكم رسول الله بشيءٍ؟ فقال في أثناء كلامه: أو فهم أوتيه رجل في كتاب الله.

وقال ﷺ في حقِّ ابن عباس: «اللهم فقِّهه في الدين، وعلمه التأويل»، فلذلك

ورد عن ابن عباس في المتشابه: أنا ممن يعلم تأويله، وورد عنه أيضاً: إن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله، ومن ادعى علمه فهو كاذبٌ، انتهى.

فالجمع بينهما: بأن المثبَت هو العلمُ به من طريق الوهب الإلهيِّ من باب ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣]، والمنفيُّ هو العلمُ به من طريق النظر؛ لأنه فوق طَور العقول، من حيث الفكر.

فهذه الآياتُ والأخبار والآثار دالةٌ على أن العلمَ اللدنيَّ، من كتاب الله وسنة رسوله، يؤخذ[1] وعليهما فيه يعوّل، ولعلك تظن أن التفاسير المعروفة كافيةٌ في شرحه، والشروح المألوفة قصارى فتحِه!. فأي عالم أدّى حق تفسيره، وأي مفسّر خرجَ عن عهدته؟ ولكن كل مفسر فسّره من وجهٍ بقدر طاقته وفهمه، ولم يحيطوا بعلمه، ولا يزال غضاً طرياً، تتفجّر كل يوم من كل كلمةٍ منه بحور العلوم، بقدر الاستعداد والفهوم.

وإذا أعجزت ألفاظه الظاهرةُ أئمةَ البلغاء، ومصاقع الفصحاء، فمن باب أولى أن تعجزهم معانيه، وتدهشهم بما فيه.

وقد رأيتُ بعض العلماء المتأخرين بلَّغ وجوهَ الإعراب في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١ - ٢] إلى غاية مراتب الآحادِ بحسب المراتب: ٩٨٧٦٥٤٣٢١. يعني: تسعمئة ألف ألف، وسبعة وثمانين ألف ألف، وستمئة ألف، وأربعة وخمسين ألفاً، وثلاثمئة وواحد وعشرين وجهاً، فصَّل منها جملة طويلةً، وأشار إلى الباقي، ولا شك أن المعاني تتنوع بتنوع الإعراب، وتزيد ما لا نهاية له فسبحان اللطيف الخبير!. وكيف تنتهي غرائبه أو تنقضي عجائبه، وهو كلام

---

(١) كذا في الأصل، ويمكن أن تقرأ: يوعد.

الله، وصفة من صفاته، لا حدَّ ولا منتهى لها ولا لمتعلقاتها، ولا يعلم أسراره[1] إلا المتكلم له سبحانه.

وكذلك سنةُ نبيه المصطفى، ورسوله المجتبى، الذي أعطي جوامع الكلم، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤]، فإنها مع القرآن في قرنٍ، ويصدران من مشكاةٍ واحدة.

فلا تنكشف حقائقُ معانيهما ودقائق ما فيهما إلا لمن ألقى السمع وهو شهيد، قد تجردَ من العلائقِ في المسلك السديد، وتبرى من العوائق بذوق أسرار التوحيد، فَطَهُر قلبه، وتقدس لبه، وصار مرآةً مجلوةً، بنور النبوة، وسر الفتوة، وإلا فإن فهمَه مقصورٌ على ظاهر العبارة، قاصر عنه إدراك دقائق المعاني ومواضع الإشارة، ومن هنا تتفجّر من الكتاب والسنة لأهل الأسرارِ العلومُ والمعارف، وتنكشف لهم بالنور الإلهي الحقائقُ واللطائف، التي إذا سمعها غيرُهم أنكَرها، وانتقدَها على قائلها وزيفِها وغيّرها؛ لأنه لم يذق حلاوتها لمرارة فمه، ولم يعرفها لقصور علمه، وتقصير فهمه. شعر:

وكيف يرَى الأعشى الدقيقَ إذا نأى ... ويطعم حلوَ الذوقِ مَن فَمُه مُرُّ

[غيره]

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفَتُهُ مِن الفهم السقيمِ

* * *

[أحوال الناس مع علم الحقائق]

وكم حمَلَ قوماً جهلُهم به على أن جهَّلوا أهله، ورموهم بالعظائم في الدين؛ لأن معانيهم تضيقُ عنها العبارةُ، وتوهم ببادئ الرأي أشياء فيها نكارة.

---

(١) كذا جاءت الضمائر في الأصل.

كتوهّم القول بالحلول والاتحاد، أو بخروج عن دائرة الشريعة وسبيل الرشاد، وهم عن ذلك بريئون، وحاشاهم منه وهم الأئمة العارفون، والعلماء المحققون، والأولياء المتقون، ولكن كُذِّبوا كما كُذِّبَ الأولون، وقالوا: ساحر أو مجنون!

فهؤلاء في غاية التفريط.

وجاوز آخرون حَدَّ الصوابِ، فوقعوا في الإفراط والتخليط، فاغتروا بهذا العلم الشريف، ووقعوا في مباينة الشريعة، وخلع ربقة التكليف، وسقطوا في نهاية الغلط والتغليط، فاعتقدوا الحلولَ والاتحاد، ومالوا إلى الإباحة والإلحاد، وخرجوا عن دائرة أهل الرشاد.

ورأى قومٌ من أهل العلم عدمَ جواز قراءته وبذله، وتحريم المذاكرة به ولو مع أهله، خوفاً من الفتنة به على أهل الدين من هذا الخبطِ والتخبيط.

***

والحقُّ الذي لا محيصَ عنه: إن ذلكَ يختلف باختلافِ الناس، فمن يضره في دينه، ويختلُّ به جزم اعتقاده ويقينه، فهو عليه ممنوعُ، ومن يعرفه من أهله، ويذوق تحقيق تفصيله بوصْله، فيلحق فرعه بأصله، فهو من أفضل العلوم، ولا بَدْعَ في ذلك؛ فالشمسُ تنفع أكثر الناسِ، وتغطش أعين كثير من الحيوانات.

ولا بأسَ بمطالعة كتبه لمن هو سليم الاعتقاد في أهله، سالم من الانتقاد عليهم، إن استفادَ، وإلا سلم لهم في المراد.

وعلى هذا التفصيل يحمل كلام السلف؛ فإن علومَ الأسرار، فوق طور العقول والأفكار، وكلما بُسطت فيها العبارة، زادها نكارة، فلا تدركها العقول الضعيفة، ولا المتشبثة بالبدع، ونحو الكبر، والمُعْتَقِدُ أنه لا علمَ إلا من طريق التعلم والفكر.

ومن هنا كان من يريد تفهيم هذا العلم لغير أهله، لا يقدر على ذلك إلا بضربٍ من الإشارات والأمثلة، والمخاطبات الشعرية، إن كان في غيره من العلوم ذا حقيقة ومزية.

ولم يزل العلماء والأئمة يسلمون للقوم ما لم يفهموه، ولا ينكرونه، وقد نقل: أن الإمام أبا العباس بن سُريجٍ، حضر مجلس الجنيد، فقيل له: هل فهمت ما يقول؟ فقال: لا أدري ما يقول! ولكني أجد لكلامه صولةً في القلب ظاهرةً، تدل على عمل في الباطن وإخلاص.

وقد روي عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءَين، أما أحدهما فبثثته في الناس، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم، أعني: مجرى الطعام.

وقال الغزالي في «الإحياء» وهذه هي العلوم التي لا تسطَّر في الكتب، ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيءٍ منها إلا مع أهلها، وهو المشارك فيه على سبيلِ المذاكرة، وبطريق الاستتار، وهذا العلم الخفيُّ، هو الذي أراد ﷺ بقوله: «إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله، فإذا نطقوا به لا يَجْهَلُهُ إلا أهل الاغترار بالله عز وجل، فلا تحقروا عالماً آتاه الله علماً، فإن الله لم يحقره إذْ آتاه»، انتهى.

وعن ابن عباس رَضِيَ الله عنهما أنه قال: لو أني ذكرتُ لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] لرجمتموني، ولقلتم: إني كافر!. ونقل الغزالي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين رَضِيَ الله عنهما من شعره:

يـا رُبَّ جوهر علمٍ لـو أبوحُ بهِ ... لقيـل لي أنتَ ممَّـنْ يعبـدُ الوثنا

ولاستَحَلَّ رجالٌ مسلمون دمي ... يـرَوْنَ أقبـحَ مـا يأتونَـهُ حسـنا

قال الغزالي: «أراد بهذا العلم الذي يستحلون به دمه: علوم الأسرار، والعلم اللدنيَّ، خلافاً لمن زعم أنه معرفةُ من يولَّى من الخلفاء ومن يعزل؛ لأن ذلك لا يستحلّ علماء الشريعة به دمه، ولا يقولون له: أنت ممن يعبد الوثن.

وقال سهل بن عبد الله: بعد الثلاثمئة لا يحل أن يتكلم بعلمنا هذا.

وروي عن الشيخ أبي عبد الله القرشي أنه قال: لي أربعون سنة ما وجدت أحداً أتكلم معه بكلمةٍ حقيقةٍ، ولقد خفتُ أو خشيتُ اندراس هذا العلم عليَّ، فكنتُ أستلقي وأتحدّثُ به مع نفسي.

وقيل: كان الحسنُ البصري، والجنيد، والشبلي، وأمثالهم، لا يقرِّرون علوم التوحيد إلا في قعر بيوتهم، ومفاتيحها تحت أوراكهم. ويقولون لمن يلومهم في ذلك: أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله، ويرمى الصحابة والتابعون الذين[1] أخذنا عنهم هذا العلمَ بالكفر والزندقة ظلماً وعدواناً؟

ويشهد لذلك قوله ﷺ: «كلموا الناس على قدر عقولهم»، وفي آخر: «حدثوا الناس بما يعلمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله». وقال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، ونكلم الناس على قدر عقولهم». وقال ﷺ: «ما أحدٌ يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم».

وقال علي وأشار إلى صدره: إن هاهنا علوماً جمة، لو وجدت لها حَمَلَةً.

وقد صدق؛ فقلوبُ الأبرار قبورُ الأسرار. وقال بعض العارفين: من أذاع سراً لله في هذا الزمان، فقد أضاع نفسه ودينه، وأدنى عقوبته الحرمان والافتتان.

وكان بعض المحققين يقول: يحرم النظرُ في كتبنا على من لم يكن من أهل

---

(١) في الأصل: الذي.

طريقتنا، ولا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به، وإلا دخل هو والمنقولُ إليه جهنمَ الإنكار.

وقال بعضهم: من تعدى حدود القوم، وباح بالسر المكتوم، استحق القتلَ واللوم. فمن نقل كلامهم إلى غير أهله، فهو كمن نقل المصحف إلى أرض العدو الذي لا يؤمن به، فاتخذوه هُزْءاً، أو لعباً وتعنتاً وكفراً.

وقال الشافعي، شعراً:

فمـن منحَ الجهّالَ علـماً أضاعَهُ ... ومن منعَ المستوجبين فقدْ ظلَمْ

وأكثر ما يكون الشطح والميل في العبارةِ: في علوم الحقائق. وأما الرقائق فهو أقربُ إلى الفهم، وأسهل من طريق التعلم، لكن قَد ما...[1] علوم التوحيد، وأقوال أهل الأحوال والمواجيد، فتدقُّ دقائقه عن التعبير، ويعسر فهمه إلا على من هو به خبير، وقراءة كتبه وتدريسُها المطلوب، ومطالعتُها وتكرارها لكل محب للقوم نورٌ لكل محب محبوب، ففيها تنوير للقلوب، وتطهير للعيوب، وبذكرهم وأقوالهم تتنزل الرحمة وتتفتح أنوار الغيوب.

قال بعض العارفين: ليس للقلوب اليومَ أنفعُ من كلام القوم، فمن أدمن على مطالعة كتبهم، والنظر في حكاياتهم، ومذاكرة أحوالهم، فتح الله عين قلبه، وشرحَ معنى صدره.

وقال بعضهم: إذا فاتك لقاءُ الأولياء والأكابر، فإن كلامهم فيه صفاء السريرة، ونور البصيرة.

وقال آخر: كلماتُ المشايخ مفاتيح القلوب.

وقال بعضُهم: قد تخرجُ منهم الكلمة ليس لها قيمةٌ إلى يوم القيامة.

---

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: تعلموا علوم الصوفية، فإن جذبات الحق قلَّتْ في هذا الزمان، انتهى. ومراده ـ والله أعلم ـ بقلة الجذَباتِ: قلةُ الاستعداد والتعرض لها، لا أنها قلّتْ في نفس الأمر.

وقال بعضهم: عليكم بكتب الصوفية، فإن أسرارهم في كتبهم، فمن طالعها، والتمس من أنوارها، فكأنما جالسَهم واقتبس من أنفاسهم.

وقال أبو مدين:

متَى أراهُم وأنّى لي برؤيتهم ... أو تسمعُ الأذْنُ عن أحوالهم خبَرا

وقال بعض العارفين: من اشتغل بقراءة كتب القوم ومطالعتها، غلب عليه الزهدُ والنية الصالحة، والأفعال الجميلة، ويبعد عن حظوظه النفسية، فيحبهم ويلحق بهم، ويتخلق بأخلاقهم، ويذوق من أذواقهم، انتهى.

وقال بعضهم: الصوفيةُ هم الطائفة العارفون بالله، المشغولون به، فهم أتباع رسول الله، وورثة علمه وحاله، فما أحسنَ التغلغلَ في علومهم، فقراءة علومهم، ومطالعتها، ومدارسة كتبهم، والمذاكرة بها، من أجلِّ أبواب الدين، وأعظم أسباب اليقين، بل التصديق بعلمهم ولايةٌ، كما قال الجنيد.

فمن أعرض عن علومهم ونأى عن طريقهم يخشى عليه أن يموت مصراً على الكبائر وهو لا يشعر، ولقد كان الفقه والعلمُ في العَصر الأول لا يطلقُ إلا على هذا العلم، أعني: طريق الآخرة.

***

وقال الشيخ جلال الدين السيوطي: **اعلم أنّ دقائق علم التصوفِ لو عرضت معانيه على الفقهاء، بالعبارة التي ألفوها في علومهم، لاستحسنوها غاية الإحسان،**

وكانوا أول قائلٍ بها. وإنما ينفرون منها كثيراً، لإيرادها بعبارة هائلةٍ مستغرَبةٍ، لم يألفوها؛ ولذا قال بعضُهم: الحقيقة أحسن ما يعلم، وأقبح ما تنال.

وأنا أورد لذلك مثالاً تعرف به صحة ذلك: قال في «منازل السائرين»: «حقيقة التوبة، التوبةُ من التوبةِ أبداً»! فإذا سمع الفقيهُ هذا اللفظَ، وهو التوبة من التوبة، استغربه جداً!. فقال: كيف يتابُ من التوبة؟ وهي عمل صالحٌ! وإنما يتاب من المعاصي؟ والمراد: أن العبد إذا كمُل في رجوعِه إلى الله، لم يلتفتْ إلى أعماله، ولم يسكن إليها قلبه، قربةً كانت أو غير قربةٍ؛ فيتوبُ من سكونه إلى توبته.

ونزيده إيضاحاً: أن التوبة وإن كانتْ من كسب العبد، فهو من خلق الله، وتوفيقه، فهو التائبُ عليه، ولو لم يتب عليه لما تاب، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨]. فأي صنعٍ للعبد في التوبة أو غيرها، إلا بخلق الله وتوفيقه لها!؟. فرؤية العبد التوبةَ، والتفاته إليها، لكونها من فعله، ذنبٌ يستغفر منه، بل عليه أن يشهد مَحْضَ منة الله عليه بها، وتوفيقه له، ويُلقي نفسه أصلاً عن درجة الاعتبار، وهذا مقام الفناء في التوبة، وهو أول منازل السائرين. ويقاس به مقام الفناء في كل منزلٍ.

وهذا المعنى؛ إذا عرض على الفقيه بهذه العبارةِ التي ألفَها، كان أول قائل به، وناصرٍ له، لأن الفقيه.....[1] على أن الأفعال بخلق الله وتوفيقه، لا بخلق العبد، انتهى.

***

وربَّ عبارة أوسعُ من عبارة، وإشارة أفقه من إشارة، وعلى قدر المخاطب تكون المخاطبة والمحاورة، هذا في علمِ الرقائق.

---

(١) كلمة غير واضحة.

وأما الحقائق؛ فلا تفيد المخاطبةُ به إلا مع من له فيه قدَم، وهو من له فيه ذوقٌ ومشارفةٌ وتصديق، فلا يخاطب به إلا معتقدٌ للقوم، سليم القلبِ في حقهم صديق، إن لم يذقه ويعرفْه اعترفَ وآمن بالتصديقِ. فإن لم يصدق، فلا أقلَّ لنا أن لا يُكذب.

* * *

قال بعض المحققين: «المؤهلون للانتفاع بنتائجِ الأذواق الصحيحةِ، وعلوم المكاشفاتِ، هم المحبون المعتقِدون في أهل الله وخاصته، والمؤمنون بهم وأقوالهم، من أهل القلوب المنورة، والفطر السليمة، والعقول الوافرة الوافية. ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ [الزمر: ١٨]. بصفاء طوية واجتماعٍ، وحسن إصغاء واستماعٍ، بعد تطهير قلوبهم من صفة أهل الجدال والنزاع، وتعرضهم لنفحات جود الحق في طريق الاتباع، من طريق ما يفتح الله عليهم من جنابه العزيز، على أي يدٍ وصلَ، ومن أي مرتبة من مراتب الأسماء حصل، بواسطة معلومةٍ، أو بدونها.

متلقين له بحسَب الأدب، وازنين بميزان عرفهم العام تارةً، والخاص أخرى، لا بميزان الحواس ولا العقول ولا الأفكار، فمثلُ هذا المؤمن الصحيح الإيمان، والفطرة الصافي المحل، بحكمه بالشعور بصحة ما يسمع، من وراء ستر رقيقٍ، اقتضاه حكم الطبع، ونفيه العلائقَ والشواغلَ المستجمعة في المحل، والعائقة له عن كمال الاستحلال لا الشعور المذكور، هو مستعدٌ للكشف، وأهلٌ للسعي، منتفعٌ بما يسمع، يرتقي بنور الإيمان إلى مقام العيان»، انتهى.

* * *

ولا بأس لمن حظي بالتوفيق، والتصوّر والفهم لكلام القوم والتصديق،

أن يطالعَ كتب القوم ويكررها بترتيبها، وإما ما منع منها بحزم[1]، ككتب محيي الدين ابن عربي، والكيلاني، وابن الفارض، وغيرهم. وعلى ذلك يحمل كلام من يحث[2] على مطالعتها، فقد رويَ عن الشيخ إسماعيل الجبرتي، أنه قال لبعض أصحابه: عليك بكتب ابن عربي. فقال له التلميذ: أريدُ أن أصبر حتى يفتح الله به عليَّ من حيث الفيض. فقال له: الذي تريدُ أن تعرفه هو ما ذكره الشيخ لك في هذه الكتب.

قال بعض المحققين: «قد ينال الإنسان بمطالعة كتابٍ من كتب القوم، وفهم مسألة من مسائل علومهم، ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنةً. لأن السالك إنما ينالُ ثمرة سلوكه وعمله، وذلك على قدره. وأما العلوم التي وضعها الكمّلُ، فهي ثمرة سلوكهم وأعمالهم، بل علومُهم تناولٌ، إذ ثمراتُ الأعمال، لأن فيض إلهي واردٌ على قلوبهم على قدر استعدادهم، وسعة قوابلهم، لا يناله من بعدهم، فإذا فهم الطالب ما قصد ذلك القائلُ، استويا فيه.

فمن أضافَ إلى ما أخذه بعلمِه من كتبِ أهل الحقيقة، فضيلةَ سلوك واجتهادٍ في الطريقة، صار من الكمّلية، والتحق بالعارفين واقتفاهم.

فكتبُ أهل الحقيقة تفيد على التوحيد تصريحاً بالعبارة، وعين التوحيد تلويحاً بالإشارة، بمطالعة تلك الكتب والعمل، فما منها يوصل إلى علم اليقين، ثم إلى عين اليقين، ثم تنقطع فائدة الكتب عند ذلك، فإن حقيقة اليقين لا تستفاد من الكتب السببية، بل هي أمر لا يدخل تحت الأسباب بحال»، انتهى.

* * *

---

(١) في الأصل: بحرم. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: كتب. وهي غير مفهومة في السياق.

وقال الشيخُ إسماعيل الجبرتي: «من أعطاه الله فهمَ هذا العلم، فقد أعطاه النعمة، ولا يفهمه إلا من له نور». وقال أيضاً: «لو درس الناسُ هذا العلمَ الباطن، كما يدرسون العلم الظاهر، لانطبعَ فيهم».

وقال الشيخ داود الشاذلي: «عليك باستماع الأخبار الطرية، التي لم تحدث بفكر ورويةٍ، فإنها للقلوب نافعة، ولضرر الغفلة دافعة».

وقال بعض العارفين: «لا يفهم ما نقولُ، إلا من أشرق فيه نور ما عبّرنا عنه».

وكان الشيخ أبو مدين إذا سمع أحد أصحابه يروي عن فلانٍ، يقول: ألا تطعمونا الله!. يريد بذلك رفعَ همة أصحابهِ، يريدُ: لا تحدثونا إلا بفتوحكم الجديد، الذي فتحَ عليكم في كتاب الله وكلام رسوله.

وقال الشيخ محيي الدين ابن عربي: «من أعجب الأشياء في هذه الطريق، بل لا يوجد إلا فيها: أن المريد الصادق إذا دخل طريقَهم، فلا عنده خبرٌ مما اصطلحوا عليه، وجلس[1] معهم، وسمعَ منهم [ما] يتكلمون به من الإشارات، فهم جميع ما يتكلمون به، من غير توقيفٍ منهم، ولا تعريف بتلك الاصطلاحات، بخلاف غيرهم من أهل التعليم، لا يعرف اصطلاحاتهم إلا بتوقيفهم عليها.

وأما أهل هؤلاء الطريق، فيعرف المريد الصادق جميعَ اصطلاحاتهم ويذوقها بلا تعليم، حتى كأنه الواضعُ لذلك الاصطلاح، ويشاركهم في الخوض في ذلك العلم، ولا يستغرب هو ذلك من نفسِه، بل يجد علم ذلك ضرورياً لا يقدر على دفعه، فكأنه ما زال يعلمه، ولا يدري كيف حصل له ذلك!

هذا شأن المريد الصادق، وأما الكاذبُ فلا يعرف ذلكَ إلا بتوقيفٍ، ولا سمع له به، فقل إخلاصه في الإرادة»، انتهى.

***

---

(١) كأنها: فإذا جلس.. إلخ، كما يقتضيه السياق.

وقد يعبر عن هذه العلوم بالأذواقِ من لم يصل إليها، بل يشرف عليها، فيظن أنه وصل إليها، وهو في الحقيقة ما وصل. قال بعضُ المحققين: ربما عَبَّرَ عن المقامِ من استشرف عليه، وهو بعدُ لم يصل إليه. وذلك يلتبسُ إلا على ذي بصيرة، وسريرة منيرةٍ، فحال هذا الوارد كالزناد، إن قدحته أورَى، وإن تركته توارى، وإن لم يكن عندكَ ما تأخذ فيه منه، ضاعَ عليك ما يبدو لك منه!. فالموفق يتوقفُ حتى يتحقق، ولا يدعي ما ليس له فيحرم ما وراءَه وما لم يُرزقْه، انتهى.

***

الأصلُ السّادس

في إيضاح معنى ورود هذه العلوم إلى القلوب، واتصالها بعلوم الكشف في الغيوب، بواسطة الرؤيا الصالحة والإلهام، وأن ما يقع من ذلك للأولياء تابعٌ بما يقع للأنبياء، لا يخالفه أصلاً ولا فرعاً، وأنه إن خالفه فليس بصحيحٍ.

وأن الوليَّ لا يبلغ درجة النبي، والإلهامَ درجةُ الولي، وإن أشبهه من حيث المعنى، وأنّ ما يقع للأنبياءِ من ذلك فهو في حكم الوحي، كقضيتهم في قصة الخليل في ولَده الذبيح، وقصة الخضر في قصته له: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، وغيره مما يدل على ذلك.

وقد ورد: أن سورة الكوثر نزلت في المقامِ. كما في «صحيح مسلم»، وإن أوله بعضُهم. وذلك: كأن للأنبياء لقوة صفاء بواطنهم، وغلبة أنوار سرائرهم، تنكشفُ لهم الأمور انكشافاً جلياً، لا يبقى معه غطاء ولا اشتباه، ولعصمتهم لا يقدر الشيطان أن يلبّس عليهم، وأن يتصرف فيما أنزل من ذلك إليهم.

وإن كان الذي أوتيه الأولياءُ على حسَب ما أعطوه الأنبياء، بشهادة قوله ﷺ: «**إن الرؤيا جزء من النبوة**»، فإذا كانت الرؤيا جزء من النبوة، فالإلهامُ من باب أولى. وفي حديثٍ: «**إن الرؤيا الصالحة كلام يكلم العبد ربه به**».

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

[يونس: ٦٤] وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال ﷺ: «إن من أمتي محدثون أبدال». وفي رواية: «**مكلَّمين**»، بفتح اللام، «**وإن عمر منهم**». ولذا جاء عنه من موافقاته للوحي شيءٌ كثير. وفي حديث آخر: «قد كان في الأمم محدَّثون وإن يكن في أمتي أحد فعمر».

وقوله: «**إن يكُن**» ليس للتعليق والترددِ، فإن أمته أفضل الأمم، وقد جزم به في الرواية، ولكن للتأكيد، نحو: إن كنت عملتُ لك فوفني حقي.

واختلف في معنى التحديث، **والأكثرون** على أنه: الإلهام، يلقى في روع الرجل الصادق شيءٌ من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدّثه به غيرُه. **وقيل**: تكلمه الملائكة بغير نبوةٍ. والمراد: يكلمه في نفسه. **وقيل**: يجري الصواب على لسانه، كما قال عمر: وافقت ربي.

* * *

وكل ما جازَ أن يوحى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بواسطة الملائكة، أو نفث الروح في الروع، أو غير ذلك. فيجوزُ وقوعه للولي كرامةً له، لاتباعه للنبي، إلا أن ما يقع للأنبياء في غاية الوضوح والجلاءِ، بخلاف ما يقع لغيرهم فإنه لا يبلغ درجة ما يقع للأنبياء، ولا يقاربه. وإن كان تتبلج له الصدور، ويطمئن به القلب.

وكما ثبتَ: أن الشيطان يلقي في القلوبِ المظلمة الوساوسَ والخيالات، والرؤيا الكاذبة، فكذلك يلقي الملكُ في القلوب المطهرة والمقدّسة المنورة، العلوم والفهومَ، والرؤيا الصادقة، التي يحصل بها الثبات على الدين، وتقوية اليقين، والإيضاح والتبيين.

فغاية ما يقع للأولياء من ذلك تأيد ما يقع للأنبياء وتأكيده، فلا ينافي كونه ﷺ خاتمَ النبيين، وانقطاع النبوة بموته؛ لأن المراد ما يختص به الأنبياء، وهو الوحي الحقيقيّ، الذي تترتب عليه الشريعة والأحكام.

بخلاف الإلهام، فإنه لا تترتب عليه إلا ما ذكرناه؛ لأنه لا يصل إلى الحقيقي الذي تحصل به الحجة العامة والإلزام، ولذا لم يحكم به على الشرع، بل يحكمه بالشرع عليه، فإن الصحيحَ منه لا يأتي إلا موافقاً للشرع؛ لأنه ناشىء عنه، تابع له، فكيف يأتي مخالفاً.

ونعني بالشرعِ: النصوصَ الواردة بالسماع، وما قام به الإجماع، وأما مواضعُ الاختلاف في مسالك الاجتهاد، ومواقع الآراء والأنظار، في محل النظر، بحسب قوة الفكر والاستعداد، فقد يعطى الوليُّ بالإلهام، ويتضح له الحق فيه بلا شك ولا إيهام، سالكاً على القواعد الشرعية، بالضوابط المرعية، ما لا يعطاه أهل الأفكار والعقول في مواضع الإرشاد.

بل قال بعضُهم: إن العارفين وأهلَ الفهم عن الله، من جملة المجتهدين، فهم لا يخرجون عن الدين والشريعة طرفةَ عينٍ، ولكن لا يفهم القاصرون فهمَهم ودليلَهم، فيقعون فيهم، ويرون تجهيلهم وتضليلهم؛ لأن علومهم فوق طَور العقل والفكر، الذي حُجب به القاصرون، وقد مرَّ: أن آخر نهايات الأولياءِ أولُ بدايات الأنبياء. ولن يصل وليٌّ قط إلى درجة النبيّ، والوحي المخصوص، وإنما حصل له الإلهام والكشف ببركة متابعته.

قال بعض العارفين: «.....[1] النبي ﷺ درةً، لم يُعِرْ لها ما دون العرنين. وقال أيضاً: ما مثلُ معرفة الخلق وعلمِهم بالنبي ﷺ إلا مثلُ نداوةٍ ما يخرج من رأس الزقِّ المربوط»، انتهى.

***

---

(١) عبارة غير مفهومة.

[الفرق بين الوحي والإلهام]

فبين مقامِ الولاية ومقامِ النبوة بُعْدٌ بعيد، وبين علوم الأنبياء والحاصل بالوحي الحقيقي وكشوفات الأولياء الحاصلة بالإلهام بونٌ شديد.

فإنه وإن كان فوق الرؤيا، فهو دون الوحي بدرجات كثيرةٍ، وبينهما بون كثيرة:

منها ما قدمناه: أنه لا ينكشفُ الملهم به انكشافَه بالوحي.

ومنها: أنه يبقى معه بعض التوقف. إليه أشارعلي بقوله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً». وأبو الدرداء يقول: «المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق، والله إنه للحق يقذفه في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم».

قال الغزالي: «ثم العلمُ الواقع في القلبِ بغير حيلةٍ وتمحلٍ، واجتهاد وتأمل من العبد، ينقسم إلى:

- ما لا يدري العبد أنه كيفَ حصل له؟ ومن أين حصل؟.

- وإلى ما يطلع معه على السبب الذي استفيدَ منه هذا العلم، وهو مشاهدة الملَك الملقي في القلب.

والأول يسمى إلهاماً ونفثاً في الرّوح. **والثاني** يسمى وحياً. وهذا الذي يختص به الأنبياء، والأول يختص الأولياء والأصفياء.

وأما الملقى بطريق الاستدلال، فيختص به العلماء. وحقيقة القول فيه: أن القلب مستعدٌّ لأن تتجلّى فيه حقيقة الحقّ في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرُها. فهي كالحجاب المُسْدَل الحائل بين مرآة القلب، وبين اللوح المحفوظ، الذي هو منقوشٌ بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة.

ومحل حقائق العلوم من مرآة اللوح إلى مرآة القلب، تضاهي انطباع صورةٍ من مرآة إلى مرآة أخرى تقابلها، فالحجاب بين المرآتين تارةً يزال باليدِ، وأخرى بهبوب الرياح، فكذلك قد تهبّ رياحُ الألطاف، فتكشفُ الحجبَ عن أعين القلوب فتُجْلى منها...

[تم المتحصل من الكتاب]

❋ ❋ ❋

[مكاتبة وجوابها

مع الحبيب العلّامة الحسن بن علي الجفري]



كراس فيه رد على اسئلة
بعثها الحبيب الحسن بن علي الجفري
الى الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة
والسلام الاتمان الاكملان على سيدنا محمد واله وصحبه
الاخيار الابرار مستمرين دائمين الاتصال والتكرار وعلى
المحتذين بحذوهم المقتفين الاثار اما بعد فهذا مكتوب
ورد من مولانا الحبيب الكامل المكمل العارف بالله
تعالى والداعي اليه عبد الرحمن بن عبد الله بالفقيه باعلوي
جوابا المكتوب فيه اسئلة وردت عليه من مولانا
الحبيب الفاضل العارف بالله والداعي اليه الحسن بن مولانا
علي بن الصادق الجفري باعلوي وهو هذا

الحمد لله حمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد الاحمد
عند الله واله وصحبه واتباعه الى الله من العبد
عبد الرحمن ابن عبد الله ابن احمد بن الفقيه محمد باعلوي
الى الجناب الاجل الاكرم الامجد الفاضل الكامل العالم
العامل العارف بالله الحبيب الحسن بن علي بن الصادق الجفري
باعلوي اعلى الله منه مناله وبلغه فيما امله وادام
عليه افضل المواهب به حاله ومآله والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانه وصل الينا كتابكم
الكريم المنبي بعود ايام الفضل والثواب العظيم والحج والنحر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على سيدنا محمد وآله وصحبه الأخيار الأبرار، مستمرَّين دائمي الاتصال والتكرار، وعلى المهتدين بهديهم المقتفين الآثار.

أما بعد؛ فهذا مكتوبٌ ورد من مولانا الحبيب الكامل المكمل، العارف بالله تعالى والداعي إليه، عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي، جواباً لمكتوب فيه أسئلة وردت عليه من مولانا الحبيب الفاضل، العارف بالله والداعي إليه، الحسن ابن مولانا علي بن الصادق الجفري باعلوي.

وهو هذا:

[نص الجواب ومنه يعلم السؤال]

الحمدُ لله بحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأحمد عند الله وآله وصحبه وأتباعه إلى الله.

من العبد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه محمد باعلوي.

إلى الجنابِ الأجل، الأكرم الأفخَم، الفاضل الكامل، العالم العامل، العارف بالله، الحبيب الحسن بن علي بن الصادق الجفري باعلوي، أعلَى الله منه مناله، وبلغه فيه آماله، وأدام عليه إفضاله وأحسن به حاله ومآله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعدُ؛ فإنه وصل كتابكم الكريم، المهنئ بعود أيام الفضل والثواب العظيم، والحج والثج ويوم النحر الكريم، فالله سبحانه يجعلنا وإياكم من المقبولين، ويتقبل منا ومنكم، ويعيد ذلك علينا وعليكم، سنين وأعوام بعد سنين وأعوام، على أحسن نظام، كما يحب ذو الجلال والإكرام.

ومن أجل الأسئلة؛ صدر جوابها على حسب ما تيسّر، ولعله يطابق عندكم، وما بقي منه يقع مع المشافهة عند الوصول للزيارة، إن شاء الله تعالى.

وسلموا لنا على السادة الأصناء، والمحبين واللائذين.

ويسلم عليكم الولد عيدروس، والسادة والمحبُّون، والسلام.

***

ويا سيدي أرسلنا إليكم صحبة أحمد كِبَيْران بافضل، من سيون، كراساً فيه رسائل وجدناها مع بعض السادة باللسْك، فالله الله، انقلوهن إن أردتم، وأرسلوهن، لأنه يطلب منها، وكذلك الكتاب الأول، إلى انقضاء غرضكم منه.

***

وهذا الجواب المذكور:

قال الشيخ تاج الدين: «غمِّضْ عين قلبك عن الالتفات إلى الغير والسوى، وكن متصفاً بالكفْر الحقيقي. فإن ظاهر الشريعة شركٌ خفيٌّ، وحقيقة الكفر معرفةٌ جليةٌ، غمِّض عين قلبك عن الالتفات إلى الوهْم بكون الغير والسوَى، لتنفتح عين سرِّك ولا تجد غيراً ولا سوى.

واشهد الأحديةَ، وكن متصفاً بعينها، ومتحققاً بحقّها، فبدون الكفر الحقيقيِّ، الساتر لكل عينٍ ومعنًى وتعيّن، حيثُ لا اسم ولا رسْمَ ولا معلوم ولا علْمَ.

ولا تقعَّد مع ظاهر الشريعة أصلاً، فإن ظاهرَ الشريعة شركٌ خفيٌ، والشركُ ينافي الواحديةَ، فضلاً عن الأحدية.

واعرف حقيقة الكفْر في الأحدية، فحقيقةُ الكفرِ معرفةٌ جلية، لا ملاحظةُ شِركِه وخفيه، تمسكْ بأذيال الهوَى، واخلع الحياءَ، وخلّ سبيل الناسكينَ وإن جَلُّوا، وكفى بهذه الإشارة في شرح هذه العبارَة؛ لأن علوم الإطلاق تنافي الشرحَ والتقييد، كالشمس مع الظلمة، وكلما بُسط فيها الكلام ضاق المعنى المرام.

وقد قال بعضهم: الحقيقةُ أحسنُ ما يُعلم، وأقبح ما يقالُ، لأنها أذواقٌ لا أقوال»، و الله أعلم.

***

[س/ ١] هل إذا أراد الإنسانُ أن يقتصر على ذكر النفي والإثبات، مع أداء الفرائض، ويترك ما سوى ذلك من النوافل والأذكار من غير إشارة شيخ؟

الجواب بلسان الشريعة: أن ذكر النفي والإثبات فضلُه معلومٌ، ومن استغرق الوقتَ فيه فهو غير ملوم، ولكن الأَولى تقدم وظيفة الوقت، التي عيَّنها الشرع فيه عليه، من النوافل والأذكار والحزب القرآني، وغيرها مما عيَّنه الشرعُ، وجوباً أو ندباً في ذلك الوقت، وترجُحُ عينُه على مطلق الذكر.

وأما عند **أهل الطريقة**: فإن ذلك وإن كان له أثرٌ عظيمٌ في حصول الصفاء والنور، لكن لا يصحّ به فتح بابِ الشهود، في كل القيود، ولا يخلص من الخواطر والأوهام فلا يحصل المقصود، ما لم يكن بملاحظة شيخ كاملٍ، أو مقلد لكاملٍ، إذا كان تقليدُه صحيح، وهو صادق في نصحه، سُنَّةُ الله في هذا التلقيح، والله أعلم.

***

[معنى السلب]

وأما السلب؛ فهو أخذُ نورانية المسلوبِ، ومثله التصـرُّف بغيرِ السلب في المتصرَّف فيه، بقوة غالبةٍ، أو بخاصية طالبة. وقد يكون ذلك لمصلحة المسلوب، أو لسوء أدبه، أو غير ذلك. ونظيره: تصـرف القوي على الضعيف في الخارج، كتصرف الولاة بعضِهم على بعضٍ. ومن ذلك: سلبُ الشيخ أوصافَ مريده القبيحة، وتصرفه في حاله بالترَقِّي. وإن كان لا يشمله المصطلحُ عليه، فهو منه.

* * *

وأما معرفةُ حال الميت ومقامِه؛ فإن ذلك يختلف باختلاف التفرّس والذوق ممن فوقَ درجته، أو مشارفها. بالكشْفِ، أو برؤية تصـرفه، وشهود حاله، أو بمشارفة ذلكَ، أو بفهم في أقواله وأفعاله.

* * *

[شرح عبارة لابن عربي]

وأما قول الشيخ ابن عربي: «لا يدخل الخلوة...»، إلى آخره.

فهو كلام صحيحٌ، مطابق للقواعد؛ لأن دخول الخلوة من جملة الأدوية التي يداوي العبد بها عللَه القلبية، فمن لم يعلم العلة ومحلها كيف يداويها؟ فإذا لم يعرف ذلك بنفسه، رجع إلى طبيب كاملٍ يُعَرِّفُه ذلك، وهو هنا الشيخُ الكامل.

وأعظم العلل: تسلطُ الوهم والخيال، فإنه لسبقه في خلقة الإنسان قبل العقل، قد يغلب على العقل، ويحكم عليه. وقد قيل: إنه المشار إليه بقوله ﷺ: **«اضرب الرأسَ، فإن الشيطان في الرأس»**، والله أعلم.

* * *

وأما معرفة الشيخِ الكامل، صاحب البقاء بعد الفناء، فيعرفُه من هو فوقه، أو من هو شارفٌ درجتَه، وقد يعرفه من هو دون ذلك بأمورٍ، منها: استقامة أحواله الباطنة والظاهرة، وأن لا تحجُبه الأمور الباطنة عن الظاهرة ولا عكس، بأن يُعطيَ كلاً من الحالتين حقَّها، على الوجه المطابق للعلم والصواب، والذوق الكامل، ومعرفة النقائص والفضائل، والله أعلم.

* * *

وأما الهمة؛ فهي قوةٌ قلبية، تنشأ عن قوة الإيمان، وصحة الصدق، ويقويها التجردُ عن الدنيات والدونيّات، وغايتها التصرفُ، وهي في المريدين أقوى، لقوّة الاجتهاد، وتقِلُّ للعارفين لغلبة المعرفة عليهم، وكمال أدبهم بوقوفهم مع الله تعالى؛ ولذلك تكثر كراماتُ المريدين دون العارفين، والله أعلم.

* * *

وأما الدعاءُ على الظالم، بأن الله سبحانه يدفعُهُ ويكفيه ويجازيه بظلمِه، **فهو** جائزٌ، وأما الدعاء عليه، وهو خاصٌّ بالتلف والهلاك ونحو ذلك، فلا يجوزُ، إلا إذا كان يستحقُّ ذلكَ، أو علم أنه لا يزول ظلمُه إلا بذلكَ؛ لأن الدعاء سيفٌ، لا يوضع إلا فيما يجوز فيه وضعُ السيف، وهذا هو المفهوم من حديث: «**لا تعتدوا في الدعاء**»، ومفهوم كلام العلماء، وكذلك التعدِّي بالدعاء بسلبِ دينه أو دنياه، إلا إذا كان الفساد من ذلك الوجه، ولا يزول إلا به، والله أعلم.

* * *

وأما من أعطيَ استجابة الدعاء، وخرق العادة، فلا بأسَ إن وضعها موضعَها، خصوصاً في نفع المسلمين، لكن الأولى ترك ذلك، وتفويض الأمر إلى الله؛ لأن العبد

لقصوره عن معرفة حقائق الأمور، وما تخفيه الصدور، قد يضع الأشياء في غير محلها، فيبتلَى ويسلب ويعاقَب، والأولى التفويضُ إلى العليم الخبير، والأدبُ الوقوفُ مع اختياره في كلّ قليلٍ وكثيرٍ، وإن لم يكن رياءً ولا عُجباً، والله أعلم.

تمت المكاتبة المباركة

❋ ❋ ❋

(٦)

نبذةٌ
في تعريف الطريقة العلوية

من إفادات الإمام علامة الدنيا

الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

نفع الله به

هذه النبذة

نبذة نافعة موجزة، أوردها الإمام العلامة عيدروس بن عمر الحبشي رحمه الله في مقدمة كتابه «عقد اليواقيت»، فإنه قد ألـمّ في تلك المقدمة بالعديد من تعريفات الطريقة، كان من جملتها هذه النبذة المباركة.

[نبذة في الطريقة العلوية]

«سئل سيدنا الحبيب الإمام العارف المحقق عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه باعلوي عن طريق السادة آل أبي علوي، ما هي؟ وكيف هي؟ وهل يكفي في تعريفها اتّباعُ الكتاب والسنة أم لا؟ وهل بينهم تخالفٌ؟ وهل يخالفها غيرها من الطرق أم لا؟

فأجاب رَضِيَ الله عنه بقوله:

الجواب: اعلَم أن طريق السادة آل أبي علوي إحدَى طرق الصوفية التي أساسُها اتباعُ الكتاب والسنة، ورأسُها صدقُ الافتقار وشهود المنّة، فهي اتباعُ المنصُوصِ على وجه مخصوص، وتهذيبُ الأصولِ لتقريب الوصول.

فلهذا فائدةٌ ونفعٌ معلوم، يزيد على ما يقتضيه اتباع الكتاب والسنة على وجه العموم، وذلك علم الأحكام، المشتمل المتعلق بظاهر الأحكام، أصل موضوعه عامٌّ في عام، شاملٌ لما المقصودُ منه ربطُ النظامِ وتقييد الطغام، وغيرِهم من العوام، ولاشك أن الناس مختلفون في الدين في كل مقام.

فلا بدّ من علم خاصّ لكل مخصوصٍ، وهو محل نظر الخواصّ في حقيقة التقوَى وتحقيق الإخلاص، فإنه صراطٌ مستقيم، أدقّ من الشعَر وأحدّ من السيف، لا يكفي فيه التعليم بالعموم، بل لا بدّ منه لكل جزئي تعريفٌ دقيق، وهذا هو علمُ التصوف، والسلوكُ به إلى الله تعالى طريقُ الصوفية.

فظاهرها علمٌ وعملٌ بمقتضاه، وباطنُها صدقُ التوجه إلى الله تعالى بما يرضاه، فهي جامعةٌ لكل خلقٍ سنيٍّ، مانعة من كُل وصفٍ دني، غايتها القربُ إلى الله والفتح الهني، فهي طريقُ أوصافٍ وأعمال، وتحقيقُ أسرارٍ ومقاماتٍ وأحوال، يتلقاها الرجالُ عن الرجال، بالتحقيقِ والذّوق، والفعل والانفعال، على حسب الفتح والفضل والنوال، كما قلت في كتاب «الرشفات»:

وَمـنْ يكُـنْ بِـكُلِّ عِلْـمٍ عَـالِمْ ... وَلَمْ يَذُقْهَـا فَهْـوَ سَـاهٍ نَائِـمْ

فَخَـفْ عَلَيْـهِ مَـا يَخَـافُ الهَائِـمْ ... عِنْـدَ كِفَـاحِ المَـوْتِ والأَهْـوَالِ

❋ ❋ ❋

وَنَيْلُهَـا مِـنْ مَنْحِ فَيْـضٍ وَهْبِي ... أَو فَتْـحِ فَضْـلٍ بَعْد جِدٍّ كَسْـبِيْ

لاَ مِنْ رِوايَاتِ الْوَرَى وَالكُتْبِ ... وَلاَ بِقِيـلٍ عِلْمُهَـا أَوْ قَـالِ

❋ ❋ ❋

طُوْبَى لِمَـنْ طَابَ لَهَا اسْـتِعْدَادُهْ ... وَانْحَلَّ مِنْ رِقِّ السِّوى فُؤَادُهْ[1]

فَحَـلَّ فِي عَـيْنِ الحِجَـا رَشَـادُهْ ... فَـذَاقَ مِنْهَـا بَلّـةً بِبَـالِ

❋ ❋ ❋

فَبَلَّـةٌ مِـنْ كَأْسِـهَا المَخْتُـوْمِ ... تَمْـلأُ رِيَـاضَ القَلْـبِ بِالْعُلُـومِ

---

(١) في نسخة: قيادُه.

وَتحْفَظُ الْفَهْمَ عَنِ الْوُهُوْمِ وَتُطْلِقُ العَقْلَ عَنِ العِقَالِ

* * *

إذا علمت ذلكَ، فاعلم أن طريق السادة آل أبي علوي نسجُها على هذا المنوال، فظاهرُها علوم الدين والأعمال، وباطنها تحقيقُ المقامات والأحوال، وآدابها صونُ الأسرار والغيرة عليها من الابتذال.

فظاهرُهم ما شرحه الإمام الغزالي من العلم والعمل على المنهج الرشيد، وباطنهم ما أوضَحه الشاذلية من تحقيقِ الحقيقة وتجريد التوحيد، وعلومُهم علوم القوم، ورسومهم محوُ الرسوم، يرغبون إلى الله تعالى بالتقرب إليه بكل قربةٍ، ويقولون بأخذ العهدِ والتلْقينِ ولبسِ الخرقَة، ودخُولِ الخلوة والرياضة، والمجاهدة وعقد الصحبة.

جلّ مجاهدتهم الاجتهاد في تصفية الفؤاد، والاستعداد بالتعرض لنفحات القرب في طريق الرشَاد، والاقترابُ إلى الله تعالى بكل قربةٍ في صحبة أهل الإرشاد، فلا بدّ مع صدْق التوجّه لوجه الله من فضل الله، ومع جدّ الجهاد وبذل الاجتهاد من فتح الله، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* * *

فأصلُ طريق السادة آل باعلوي: الطريقة المدْينيّة، طريق الشيخ أبي مَدْين شعيبِ المغربي. وقطبها ومدارُ حقيقتها الفردُ الغوث، الشيخ الفقيه المقدم محمد ابن علي باعلوي الحسيني الحضرمي، تلقاها عنه الرجالُ عن الرجال، وتوارثها عنه الأكابر أولو المقامات والأحوال.

ولكن، لكونها طريق تحقيق وأذواق وأسرار، جنحوا إلى الخمول والسر والأسرار، لم يضعوا في ذلك تأليفاً، ولا صنفوا فيه تصنيفاً، ومضت الطبقة الأولى على ذلك، إلى زمن

العيدروس وأخيه الشيخ علي، فاتسعت الدائرة وبعُدَ المزار، واتصل بهم القريب والمنفصلُ ببعد الدار، احتيج إلى التأليف، والإيضاح والتعريف.

وظهر بحمد الله ما يشرح الصدور ويبهج النفوس، كـ«الكبريت الأحمر»، و«الجزء اللطيف»، و«المعارج»، و«البرقة»، وغير ذلك مما كثُر واشتهر، وضوّع عرفُ معرفته الآفاقَ وانتشر. وأكثر المتأخرون لذلك التأليفَ، واشتهر لهم في كل تعريفٍ وتصنيف، ما لهم من مسالكِ السلوك ومنازلة المقامَات والأحوال من المجاهدات، ومواردِ الواردات والجذَبات وعلومِ الأسرار والمكاشفات، في أعمالٍ وأقوال تؤذنُ بأنعَم شربة، وأعظَم رتبة.

***

فصارت طريقتهم طريقةً قائمة بنفسِها، ظاهرةً شمسُها، غنيةً عن التعريف، لشهرتها عند أهل المعرفة وشيوعها بكل تأليف وتصنيف. وقد سلفَ السلفُ الصالح على هذا الحال، يؤثرون التلقي بالتحقّق والأعمال؛ فلذا لم يظهر التأليف في العلوم إلا في زمنِ تابع التابعين، لخوف اندراس ما هو معلوم.

وكذلك الصوفية على هذا التأسيس، يتلقّون ذلك من بعضهم، إلى أن ظهرت البدع وخيفَ التلبيس، كما أشار إلى ذلك القشيري في صدر «الرسالة»، فاحتيج إلى التأليف وإيضاح الدلالة.

وقد قيلَ للشيخ أبي الحسن الشاذلي: لم لا تضعُ تأليفاً في الطريق؟

فقال: تأليفي أصحابي.

وقيل: إن طريقَ الشاذلية في حزوبهم مطويةٌ، لاشتمالها على تحقيق التجريد وعلوم التوحيد وصدق العبودية.

***

وليس بين السادة آل باعلوي في طريقهم تخالف، وإنما اختلفَ المشهودُ بحسب المشاهَد واختلاف الشهُود. فظاهرٌ بالجمال شاهدَ الفضل في مشاهِد الإفضال، باح بالنوال، واستباحَ ما فعل وقال بحسب البسْط والحال. وباطنٌ ظاهرُه الجلال، فاستعفَى واستقال، ولازمَ الافتقار والانكسار في جميع الأعمال والأحوال، فلا فرقَ بينهم يقتضي التفريق، ولا مباينة على التحقيق.

وأما طريقُ غير السادة آل باعلوي من طرق الصوفية، الصحيحة الصفية الوفية، فلا تخالفُها في الأصول، ولا في حقيقةِ السلوك والوصول، وإنما الخلاف في رسومٍ وأوضَاع ومشاربَ، تؤول إلى المحافظة في تقريب الطريق على الطالب، غايتها كالاختلاف في الفروع بين أهل المذاهب.

فمن حيثُ إنه في أشياءَ تابعةٍ وفروع دقيقة، كأنه لا خلافَ في الحقيقة، بل من اتصفَ وتحقق بالتحقيق، رأى الحق واحداً، وحقق أنه ليس بين أهل الحق خلفٌ ولا تفريق؛ لأن الفروعَ وإن تعدّدتْ فالأصلُ متحدٌ لكل طريق. قال تعالى: ﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ الآية [الشورى : ١٣]. وقال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [آل عمران: ٨١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية [النساء: ١٦٣].

***

ولذلك قلت في «الرشفات»:

تفرَّقـوا في شُـعَبِ الإسلامِ وافترقُـوا في ظاهـرِ الأحـكامِ
واتفقُـوا في القصْـدِ والمـرامِ وقصـد وجـه الله ذي الجـلالِ

***

فهم كـذا الرسُـلُ بنو عَـلاّتِ طريقهـم واحـدةٌ في الـذاتِ
تعـددتْ بالرسـمِ والهيـآت في كل تفصيـلٍ بـلا انفصَـالِ

* * *

واختلفُـوا في صِفـة القرْبيّـةْ وفي اتصـال القُـوّة الكسْـبية
أو انعطـافِ نفحَـةٍ جذبيّـة ترفـعُ عنـه كلفَـة الأعْـمالِ

* * *

وبعضُهـم مَـا زال في تقييـدِ في جــدة وزهـدهِ الشـديـدِ
مراقبـاً زواجِـر الوعيــدِ مرتقبـاً للمَــوت والـمـآلِ

* * *

وبعضُهم في البسـط في الوجُودِ في بسـطة مـن نعمَـة وجُـودِ
شـاهد فضْـلَ الله في الوعُـودِ فعمّــه مـــولاهُ بالإفْضَــالِ

* * *

وبعضُهـم إذ جـدَّ في اجتهـادهْ فعانَـه الحـقُّ عـلى مـرادهْ
بجذبـةٍ فانحـلَّ مـن قيـادِهْ فنـال أسْـنى الفتـحِ والآمـالِ

* * *

وبعضُهـم في لاعـجِ الأشـواقِ برهبَـةٍ في غايَـةِ الإشْـفاقِ
أو رغبـةٍ في حالَـةِ الإمـلاقِ أو نسـبةٍ مـن مخلَـصِ الأعـمالِ

* * *

وبعضُهـم غريـقُ بحـر الجـودِ شهيدُ سيفِ الكشْفِ والشّهودِ

قـد صـار تحـت العـزِّ كالمفقُودِ   وليـسَ عنـه مخبـراً بحـالِ

* * *

وبعضُهـم غـابَ عـن الخليقَـةْ   وذاب لمـا شَـاهدَ الحقيقَـةْ

إذْ عـلَّ مـن راحِ الهـوى رحيقَهْ   راحَ بهـا فـي طلعـةِ الجمـالِ

* * *

وإنما اتفقُوا على منع المريدِ في ابتداء سلوكِه من تتبع الطرقِ، وخروجه من شيخٍ إلى شيخ؛ لأن ذلك يضرّه بتفريقِ همته، وتشتيت جمعيته، فإن قلبَه في الابتداء أمره كالجريح، يضرّه كل تخليط وريح، إلى أن يبرأ ويندمِلَ على يد طبيبه الذي به تعلّق، ومداويه الذي عرف طبّه وتحقّق.

* * *

[الخاتمة]

ولعل الله يمنّ بفرصةٍ من الزمان، أجمعُ فيه مجموعاً من كلام سادتنا آل باعلوي في كل بابٍ من أبوابِ الطريقة، بما تقر به عيونُ ذوي العرفان، وبالله التوفيق وهو المستعان، وبه الثقة وعليه التكلان.

قاله وأملاه الفقير إلى الله

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه محمد باعلوي

لطف الله به آمين»[1].

* * *

(١) «عقد اليواقيت»: ١/ ٢٣٠-٢٣٥.

(٧)

شرح القصيدة الفريدة
في خلاصة العقيدة

لسيدنا الإمام، غوث الأنام

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

نفع الله وبعلومه آمين

وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم

هذا الكتاب:

تم بفضل الله تعالى الاعتماد على نسختين خطيتين في إخراج نص هذا الكتاب، وتصحيحه، وضبط المنظومة المشروحة.

النسخة الأولى: من مكتبة الأحقاف، بتريم. محفوظة تحت رقم مجموع (٢٨٣٧)، الكتاب الثامن. تقع في ٣٢ ورقة، غير مؤرخة.

النسخة الثانية: من مكتبة خاصة، تقع في ٢٦ ورقة، غير مؤرخة أيضاً، ويبدو عليها أنها أقدم من النسخة الأولى.

طريقة العمل في الكتاب:

١ - تمت المقابلة على النسختين، ولم تكن هناك فروق تذكر.

٢ - تم فرز أبيات المنظومة، وجعلها في جداول، ليسهل على القارئ الوقوف على المتن المشروح. كما تم ترقيم أبيات المنظومة، فبلغت ٥٣ بيتاً.

٣ - كما وضع المتن المشروح ضمن السياق بين قوسين، تمييزاً له عن الشرح.

٤ - وضعنا بأول الكتاب صوراً لصفحات من الأصول الخطية المعتمدة.

❋ ❋ ❋

كتاب شرح القصيدة الفريدة

في خلاصة العقيدة لسيدنا

الامام غوث الأنام عبدالله

بن احمد بلفقيه

نفع الله به و

بعلومه

آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على التعليم والتفقيه • والتثبيت على التحقيق في الاثبات
والتنزيه • والتوحيد والتفريد بلا تعطيل ولا تشبيه • على اتباع كتابه
وسنة عبده ورسوله ومصطفيه • سيدنا محمد وآله وصحبه واتباعه
المحبوبين له وفيه • وبعد فهذه نبذة مفيدة تحل ابياتي القصيدة
الفريدة في خلاصة العقيدة على مذهب السلف الصالح في كمال
القبول لما جاءت به النقول • وتقييد المعقول بالمنقول • على حسب ما
تقتضيه قابلية الاقبال والقبول • وبالله التوفيق للاتباع • وبه
العافية والسلامة من الهوى والابتداع • في النية والفعل والقول ∴
وهذه مقدمات الأولى يجب على كافة المكلفين الدخول في دين
الاسلام • وامر من لم يكلف به وهو الدين الحنيفي دين نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وملة ابينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويحصل ذلك أولا بالنطق
بالشهادتين ومعرفة معناهما والتزام احكامهما • والاذعان لمقتضاهما
ظاهرا وباطنا وبذلك وحده يحصل الاسلام في الحال والايمان حقيقة
على الكمال فمن مات على ذلك فقد مات على الفطرة والدين الكامل
وذلك لأن الشهادتين يشتملان على جميع امور الدين بالاجمال • أما
الاعتقاديات فواضحة من المقال • واما غيرهما فانه يلزم من الاذعان التزام
مقتضاه في جميع الاحكام والاعمال والعزم على الدوام على ذلك في جميع الازمان
والاحوال • فمقام الاجمال كذلك مقام التفاصيل إذ لا غاية لها يحال
وناب الالتزام بذلك عن العمل اذ لا نهاية للاعمال • وكل من خالف
دين الاسلام فهو ضال • لان دين الاسلام هو الحق وماذا بعد الحق

الا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على التعليم والتفهيم والتثبيت على التحقيق في الاثبات
والتنزيه والتوحيد والتفريد بلا تعطيل ولا تشبيه على اتباع
كتابه وسنة عبده ورسوله ومصطفيه سيدنا محمد واله وصحبه
واتباعهم المحبوبين له وفيه وبعد فهذه نبذة مفيده
لحل ابيات القصيده الغريبه في خلاصة العقيده على مذهب
السلف الصالح في كمال القبول لما جاء به المنقول وتقييد
المعقول بالمنقول على حسب ما تقتضيه قابلية الاقبال والقبول
وبالله التوفيق للاتباع وبه العافية والسلامة من الهوى
والابتداع في النية والفعل والقول وهذه مقدمات
الاولى تجب على كافة المكلفين الدخول في دين الاسلام
واهم من لم يكلف به وهو الدين الحنيفي دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وملة ابينا ابرهيم عليه الصلاة والسلام ويحصل ذلك اولاً
بالنطق بالشهادتين ومعرفة معناهما والتزام احكامهما
والاذعان لمقتضاهما ظاهراً وباطناً وبذلك وحده يحصل
الاسلام في الحال والايمان حقيقة على الكمال فمن مات على ذلك فقد
مات على الفطرة والدين الكامل وذلك لان الشهادتين تشتملا
على جميع امور الدين بالاجمال اما الاعتقادات فواضحة
من المقال واما غيرها فانه يلزم من الاذعان التزام مقتضاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله على التعليم والتفقيه، والتثبيت على التحقيق في الإثبات والتنزيه، والتوحيد والتفريد بلا تعطيلٍ ولا تشبيه، على اتباع كتابه وسنة عبده ورسوله ومصطفيه، سيدنا محمّدٍ وآله وصحبه وأتباعه المحبوبين له وفيه.

وبعد؛ فهذه نبذةٌ مفيدة لحلِّ أبياتي:

«القصيدة الفريدة في خلاصة العقيدة»

على مذهب السّلف الصّالح، في كمالِ القبول، لما جاءت به النقول، وتقييد المعقول بالمنقول، على حسبما تقتضيه قابلية الإقبال والقبول، وبالله التوفيقُ للاتباع، وبه العافية والسلامة.

***

مقدماتٌ:

[المقدمة] الأولى:

يجب على كافة المكلفين الدخولُ في دين الإسلام، وأمر من لم يكلَّف به، وهو الدين الحنيفي، دين نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويحصُل ذلك أولاً بالنطقِ بالشهادتين، ومعرفة معناهما، والتزام أحكامهما، والإذعان لمقتضاهما، ظاهراً وباطناً، وبذلك وحده يحصل الإسلام في الحال، والإيمانُ حقيقةً على الكمال، فمن ماتَ على ذلك؛ فقد ماتَ على الفطرة والدين الكامل، وذلك لأن الشهادتين تشتملان على جميع أمور الدين بالإجمال.

أمّا الاعتقادياتُ: فواضحةٌ من المقالِ.

وأما غيرهما: فإنه يلزمُ من الإذعان التزام مقتضاه في جميع الأحكام والأعمال، والعزم على الدوام على ذلك في جميع الأزمان والأحوال، فمقام الإجمال، كذلك مقام التفصيل، إذ لا غاية لها بحال، ونابَ الالتزامُ بذلك عن العمل، إذ لا نهاية للأعمال.

وكل من خالفَ دين الإسلام فهو ضالٌّ، لأن دين الإسلام هو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلام من الاستسلام؛ لأنه الانقياد لله والاحتكام له في جميع الأحكام، فمن استسلم لله كذلك ظاهراً وباطناً، سلم من جميع الآثام والانتقام، وبلغ غاية المرام، في الدنيا وفي دار السّلام.

والإيمان من الأمنِ والاطمئنان، فمن آمنَ بالله في صفاته، وجميع ما أنزله في آياته في القرآن، وصدق وعده ووعيده بالاعتقاد والعمل في جميع الشأن، حصل له الأمان، والرضا في الدارين والرضوان، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٣].

* * *

[المقدمة] الثانية:

من ثبت دخوله في الإسلام، كما ذكر، وجب له مقتضاه، فإن كان باطناً وظاهراً؛ فهو مؤمنٌ، وإن كان ظاهراً فقط؛ فهو منافقٌ كافرٌ في الدرك الأسفل من النار، لكن تجري عليه أحكام الظاهر للظاهر.

ومن حق الإسلام: عصمةُ المسلم في نفسه وماله وعرضه، فلا يحل شيء من

ذلك إلا لموجبٍ من حق الإسلام، تحقق ثبوته بلا شك ولا شبهةٍ، فتدرأ الحدود بالشبهات، ويجب التوقف عند الاشتباه، فالمسلم أعظم حرمةً عند الله من أن تهتكَ حرمتُه مع الشك والاحتمال. وقد جاء في الحديث: «**من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما**». وقد قيل: تركُ قتل ألفِ كافرٍ، أولى من إراقة دم مسلمٍ.

فينبغي للمفتي الاحتياطُ في ذلك، فلا يحكم على أحدٍ من أهل القبلة إلا بواضحِ قاطعٍ للإسلام، ولا بالفسق إلا بارتكابِ الكبائر، والإصرار على الصغائر، وغلبة الآثام، ولا يستحل شيئاً من ماله إلا لموجبه الشرعيِّ، بشرطه المرعي، المقدّر في كتب الأحكام، فكم جاء التحذير الشديدُ، والتشديد بالزجر والوعيد في هذا المقام، ومنه الحديث: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ، حرمةَ يوم النحر الحرام، في الشهر الحرام، في البلد الحرام»، وسيأتي في آخر الكتاب ذكرُ بعض ما يكفِّر.

*****

[المقدمة] الثالثة:

معرفةُ ربِّ الأرباب، فرضٌ على أولي الألباب، وذلك من وجهين:

الأول: الاعتقاد الجازمُ، المطابق للصواب.

والثاني: الذوق الصادقُ، الموافق للسنة والكتاب.

* وطريق ذلك في أمرين:

الأول: النظر في الآيات والأسباب، المزيلة لكل شكٍّ وارتياب.

والثاني: صدقُ الإقبال على الكريم الوهَّاب، الفاتحِ لكل باب، والرافع لكل حجاب.

****

[المقدمة] الرابعة:

أن الله سبحانه وتعالى أظهر كل شيءٍ، وهو أظهرُ من كل شيءٍ، لأنه نور السماوات والأرض، ونور كل شيءٍ، ولولا نوره المحيط بكل شيءٍ لما ظهر شيءٌ، فلا يُتوَهَّم أنه محجوبٌ؛ لأنَّ المحجوب مقهورٌ، وهو القاهر، وكيف يستره شيء وبه ظهر كل شيءٍ، وهو الظاهر!. ولذا قيل: إنما حجب الخلقَ عنه شدّةُ ظهوره، ولوامع نوره.

وإذا كان كذلكَ، فهو أظهر من أن يستدل عليه، وأعظم من أن يتوصل بغيره إليه، فـ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وهو على كل شيء شهيدٌ، وهو بكل شيء محيط، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد.

ولكن الاغترار بأوهام الأغيار حجَب عين البصيرة، وتراكُم غين الآثار على القلوب والأبصار ران على السّريرة، ولو انهتك حجابُ الوهم، وانفتح باب السمع الحقيقي والفهْم، لأشرقت شمس المعرفة والعلم؛ ولذلك ترى أهل الأبصار والمقال، يشهدون نقص الأغيار والأشكال، فيستدلون بذلك على وجود الحق وكماله، وأهل البصائر والكمال، يشهدون نورَ الأنوار، فيعرفونه به، وصفات جلاله وجماله.

* * *

[المقدمة] الخامسة:

مدار المعرفةِ المفروضَة، على أمرين:

أحدهما: الإثباتُ للذاتِ والصفات، والأسماء والمسميات، كما جاءت به الآيات البينات، من العقليات والسمعيات.

والثاني: التنزيه لذلك والإثبات في جميع الكمالات، عن جميع النقائص وسمات المحدثات، وصفات المخلوقات.

* والناس في ذلك على منازل:

الأولى: الاعتقاد الجازمُ المطابق الناشئُ عن الإذعان.

الثانية: الاعتقاد الجازم المطابق الثابتُ بالبرهان.

الثالثة: الاعتقاد الجازم المطابق المستقرّ بالوجدان.

الرابعة: المشاهدة الرّوحانية بالعرفان، في مراتب الإحسان.

الخامسة: شهود تجلي الحق على الأعيان، بكان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان.

* * *

[المقدمة] السّادسة:

معرفة كل عبدٍ لربه بقدر طاقته، وقابلية قلبه، على قدر إيمانه وقربه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف: ١٩]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

والله سبحانه فوق معرفة العارفين، وأعلى من وصف الواصفين، ولا يحيطون به علماً، بل لو ظهرت سبُحاتُ وجهه لأحرقَت ما انتهى إليه بصرُه، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فهناك تنقطعُ العبارة، وتكل الإشارة، والعارف الخبير يعترف بحدّه، ويغترف من بحره على قدر مدّه، والعالم البصير يتكلمُ على قدر قَسْمه وسهمه، ولا يكذّب مالم يحط بعلمه، ولا يدرك كنهه بفهمه.

و«إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العارفون»، وإنما يذكرونه أهله بالرمز والإشارة، ومن رام إظهارَ الحقِّ فيه والتحقيق بالعبارة، وقع في الشطح

والتخريق والتمزيق والنكارة، ومن هنا يقع الاعتراضُ عليه من علماء الشريعة المثبتَة للنسب والأسباب، والوقوع في عرضه بحسب ما خلع من ذلك النقاب، فإن صدق كل في كلامه، على قدر مقامه، فيما له وعليه، فهو معذورٌ، وإلا فمغرور.

[عجز أهل الظاهر عن التعبير في حق اللطيف الخبير]

واعلم أنه يقع للمنكِرِ الوقوعُ في عينِ ما أنكَره، فالتجَلي الذي أنكره المتكلمون على الصوفية، عينُ معناه مفهومٌ من كلامهم في المسألة الكلامية، وترى أهل التنزيه إذا حاولوا الإثبات في الصفات الظاهرة عجزُوا عنه إلا بالعبارة القاصرة.

فيقولون: أزليٌّ، أبديٌّ. والأزلُ والأبدُ زمنانِ!. **ويقولون**: كان قبل الخلق، وبعد الخلق. والقبلُ والبَعدُ ظرفان!. فالقدرة لله الباري، والعجزُ على من سواه ساري، ولا يكلف العبدُ إلا بقدر قدْرِه الاعتباري. ومن رزقهُ المعرفةِ والاعتراف، واتصف بالإنصاف، بَرئ من التعسف والاعتساف، وتحقق بالتحقيق، فجمَع وفرقَ، وعرفَ الحقَّ من الباطلِ في كلام كل فريق.

* * *

[المقدمة] السابعة:

كلُّ من عبّر بعبارةٍ، أو أفاد بإشارةٍ، فهي على قَدر مقامه، ومبلغ كلامه.

- **وأما عوامُّ الإسلام**؛ فتلقَّوا الوارداتِ من الأنوارِ، بالإثبات والإقرار، ونزّهُوه عما عرَفوه من الحادثات والأغيار.

- **وأما أهل الكلام**؛ فقبلوا تلك الأنوار، واستقبلوها بالأفكار، وقيدُوها بالنظر في الأقدار، فوقعوا في الآثار والاعتبار بالمقدار، فمنهم من وقف ومنهم من دار وحار، ومنهم من سار إلى مسالك الاستبصار.

ـ **وأما خواص أهل الإيمان والإلهام**؛ فقبلوا تلك الأنوار كما جاءت بالأسرار، وقلّدوا الحق فيها على ما أراد فيه التنزيه والإقرار، فوافقوا الحق بالتقليد، وعرفوه كما عرَّفهم بلا تقييد ولا تحديد، واعترفوا بالعجز والافتقار مع التقصير والانكسار، فقابل إقبالهم بالقبول، وتجلى لهم من معرفته بما يشرح الصدور ويبهر العقول، ولم يزالوا سائرين في منازل العرفان، ومناهل الإيقان، يتلون كل حين قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

ـ **وأما من فوق ذلك** من الأعلام، والأنبياء والملائكة الكرام؛ فأولئك عند ربهم في أقومِ مقامٍ، لا يعبِّر عنه كلام، ولا يفيدُ فيه رقمُ الأقلام، والله أعلم.

وبعد ذلك؛ فإنه سبحانه في جلاله العظيم، وسلطانه القديم، فوق كل ذي علمٍ عليمٌ، فلا يحيطونَ به علماً، ولا يحققونه فهماً، بل هو فوق ما يعرفون، وأعلى مما يصفون، لا يدرك كنهه سواه، ولا يعلم غيرُه حقيقتَه ولا معناه.

* * *

[الشروع في شرح المنظومة]

ولذلك قلتُ:

١- تعـالى الله عـن قيـلٍ وقَـالِ　　وَعـن تحديـدٍ اَو تقْيـد بَـالِ

«تعالى الله»: أي ترفع وتنزّه، عن أن يُدركَ كنْهُ ذاته، أو كنْهُ شيء من صفاته بالمحاورة. «عن قيل وقال»: اسمان للقَول، وقيل: مصدران. وقيل: هما في الأصل فِعلان، فأجريَا مجرى الأسماء، خاليين من الضمير. وقيل: القيلُ الابتداءُ، والقَالُ الجوابُ. والمراد بهما هنا: سائر الأقوالِ المبتذَلة، التي لم يرد بها كتاب ولا سنة.

و«عن تحديد» قلبٍ، في اعتقاد بحدٍّ من الحدود لعلو كماله. «أو تقييدِ بالٍ» بقيدٍ من القيود في صفات جلاله وجماله، بل له الكمال المطلق. والبالُ: القلب.

* * *

٢- وجـلَّ الله عـن تصويـر فكـرٍ　　وعَـنْ تقديـر وَهـمٍ أو خَيـالِ

«وجل الله» أي: عَظُمَ. مشتقٌّ من الجلالِ، ومن أسمائه تعالى: الجليل. وهو الموصوف بنعوت العظَمة، فالجامع لجميعها هو الجليلُ المطلق. «عن تصوير فكر»؛ لأن الصورة من لوازم الأجسام. والفِكرُ: حركَة النفس في المعقولاتِ باعتبار قصْدها. بخلافها بغير قصدٍ، فإنه: الحدْس. وبخلافها في المحسوساتِ، فإنه: تخييلٌ.

«و»جلَّ الله أيضاً «عن تقدير وهمٍ أو خيال»؛ لأن المقدارَ من صفات الأجسام، وقابل الانقسام. والوهْم، عند الحكماء: قوّةٌ في التجويف الأوسط من الدماغ، يدرك

المعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات. كالقوة الحاكمة في الشاة، مثلاً، بأن: الذئبَ مهروبٌ عنه، والولدَ معطوفٌ عليه. وأما **الخيالُ**، عندهم، فهو: قوةٌ في مقدمة الدّماغ تحفظُ جميع صور المحسوسات، وتمثلها بعد الغيبة. والمراد هنا ما هو أعم من ذلك.

قال الغزالي: «وكثيراً ما يغلب الحاكم الوهميُّ والخياليُّ على العقلِ؛ لأنهما قد وُجِدا في الإنسان قبل وجوده، فيحكمان عليه، فيذهب الخيالُ إلى تصوير المعاني بصُور الأجسام، ويسبق الوهم فينفِر مما لا يألفه لمجرد إيهامٍ. قيلَ: وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1].

* * *

٣- وعـن تلفيـقِ تخْمـينٍ وحَـدْسٍ   وعـن تحقيـقِ حـسٍّ أو جِـدَالِ

وجل الله **«عن تلفيق»** أي: أمور ملفقةٍ، من **«تخمينٍ»** بالظنون، **«وحَدْسٍ»** والمراد به هنا: اللغويَّ، الشاملَ للظن والوهَمِ، أعم من الاصطلاحي المتقدم.

«وجل الله عن إدراك» تحقيق **«حِسٍّ»**، من الحواس الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وإنما سُمّي في النظم إدراكُها تحقيقاً؛ لأنها تعطي حقيقة ما خلقت وتعلقت به، أو تحقيق **«جدالٍ»** مركَّب من مقدمات يقينية.

قال بعضُهم: «**العقلُ** يطلب إدراكَ الأشياء من حيثُ عللُها. **والوهم** يطلبُ إدراكَها من حيثُ الإحاطةُ بها. والله سبحانه وتعالى ليس بذي علةٍ فيدركه العقل، ولا بذي صورةٍ فيدركه الوهم، ولا في جهةٍ فيدركه الحسُّ»، انتهى.

وقال إمام الحرمين: «من اطمأنّ فكرُه إلى موجودٍ انتهى إليه عقلُه؛ فهو مشبِّهٌ. ومن اطمأنّ فكرُه إلى النهي المحض؛ فهو معطِّلٌ. ومن اطمأنّ فكرُه إلى موجودٍ عجز

---

(١) متفق عليه من حديث أنس.

عن إدراك حقيقتِه؛ فهو موحّدٌ. ويروَى عن الصدّيق الأكبر أنه قال: سبحانَ من لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته»، انتهى.

* * *

[تقسيم الصفات وعدّها]

٤- إلـه واحـد فـي الـذات حقـاً   وفي الأوصـاف أيضـاً والفعال

واعلم أنّ المشهورَ بين العلماء في عدِّ الصفات العليّة: أن السلبية خمسٌ، والمعنويّة سبعٌ. وإلى ذلك أشار بقوله أنه سبحانه «**إلهٌ**» ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. فهو الإله الحق المعبود؛ لأنه المنفردُ بالكمالِ والوجود، وكلّ ما سواه كائنٌ في الوجود، والإمدادات والقيود.

وهو سبحانه «**واحدٌ**» لا ينقسمُ، ولا يتجزأ، ولا يحلّ في محل.

وهو واحد «**في الذات**»، وذلك محققٌ حقاً بالبيان والبرهان، والوجدان والعيان. «**وفي الأوصاف**» الثابتة له كذلك، «**أيضاً**»، فلا يشبهُ شيئاً، ولا يشبهه شيء، «**وفي الفِعال**»، بكسر الفَاء، جمع فِعْل. فلا ندَّ له، ولا ظهيرَ، ولا معينَ، ولا وزيرَ، **فهو** الواحدُ، الأحدُ، الفرد الصمد.

* * *

٥- بلا ثانٍ لـه أزلاً بأمرٍ   ولا ضِدٌّ ولا نِدٌّ بحالِ

«**بلا ثانٍ له**» ولا شريك معه لغيرٍ، «**أزلاً**» أبداً، «**بأمرٍ**» من الأمور، ولا فعل من الأفعال. بل هو المنفرد بالكمال كله في نهاية التنزيه، والمتصف بصفات الجلال والجمال، ليس له في شيء منها نظير ولا شبيه. «**ولا**» يتصور كونُ «**ضدٌّ**» له، أي مضادٌّ في معاني الكمال، «**ولا نِدٌّ**» موصوفٍ بما وُصف به، بحَالٍ من الأحوال.

* * *

٦- غنـيٌّ عن جميعِ الخلـقِ، كلٌّ إليه اضْطـرَّ في كلِّ الخصَالِ

وأنه سبحانه قائم بنفسه، في ذاته وصفاته، «**غنيٌّ عن جميع**» ما سواه، في جميع كمالاته. متعالٍ عن المؤثِّر، والمخصِّص، والمحَل، والحاجات، والأغراض، والعلل. فلا علّة لوجوده، ولا فائدة عرَضٍ له في وجوده.

ولا يعود إليه من «**الخلق**» نفعٌ ولا ضرٌّ، ولا يناله من أفعالهم خيرٌ ولا شر، بل «**كُلٌّ**» ممن سواه «**إليه**» افتقر في كل حالٍ، و«**اضطر**» في كل الخصال، من الإيجاد، والإبقاء، والإمداد، والنوال، في الذوات والأوصاف والأفعال.

***

٧- قديـمٌ سَرمـديٌّ في نعُـوتٍ عـن الحدْثـانِ جلّـتْ والـزَّوالِ

وأنه سبحانه «**قديمٌ**» لا مفتتحَ لوجوده، أزليٌّ لا بداية له، «**سرْمَديٌّ**» لا آخر لوجوده، أبديٌّ لا نهاية له. **والسَّرْمدُ**: الدائم. والمراد: أنه موجودٌ، موصوفٌ بالقدم والبقاء، في ذاتِه. و«**في نعُوتٍ**» لذاته، فإنها «**عن الحدْثان جلّتْ**» أي: عظمت. **والحِدْثان**، بالكسر: ابتداءُ الحدوثِ «**والزَّوال**».

منزهٌ في ذاته وصفاته عن التغيير والانتقال، فلا تحلّه الحوادث، ولا تعتريه العوارضُ، ولا تأخذه سِنةٌ، ولا نومٌ، ولا موتٌ، ولا يطرقهُ انقلابٌ، ولا حدوثٌ، ولا فوتٌ، ولا زيادة في الذات، ولا نعتٌ من النعوتِ، بل لم يزل في صفات الكمالِ، ونعوت الجلالِ، غنياً عن الاستكمال.

***

٨- وعـن عَجْـزٍ ونقصَـانٍ تعَـالى وعن جسْـمٍ وعـن نحْـو المثَالِ

«**و**» قد تعالى «**عن عَجْزٍ**» يلحقه عن مقدور فلا يشذ عن قبضته ممكنٌ، ولا ينفرد عن قبضته شيءٌ، ولا يعزب عن علمه تصاريفُ الأمور.

«و» عن كل «**نقصان تعالى**» فلا يلحقه قصور ولا فتور، ولا يشغله شأنٌ عن شأن، ولا تختلف عليه اللغات، ولا الخفايا في الصدور.

«**وعن**» جميع صفات الأجسام، فليس بجوهر مقدّر، ولا «**جسم**» مصوّر، ولا يحل في شيءٍ، ولا يحل فيه شيءٌ، ولا يشبه الجواهر والأجسام، ولا يناسبها لا في التقدير ولا في التصويرِ ولا في قبول الانقسام.

«**ولا**» يعبر عنه بالأشكال، ولا يكشف عن معناه ضروبُ «**نحو المثال**»، فإنه ليسَ كمثله شيءٌ فيشابهه، ولا هو مثل شيء فيجانسُه، فلا جنسَ له يمدّه، ولا نوعَ ولا فصلَ يحدّه في التعريف، ولا صورة ولا مقدار ولا كميةَ ولا تكييف.

ولا يحويه مكانٌ، ولا يحده زمانٌ، بل كان قبل الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، فهو بائنٌ عن خلقه بصفاته، وهو القاهر فوق كل شيءٍ، وهو الظاهر على كل شيء، وهو قريبٌ من كل شيء، فوقيتُه فوقيةُ إجلالٍ وإعظامٍ، وقربُه بالعلم والإحاطة بكل شيءٍ لا قربَ الأجسام.

* * *

٩- وعن كَيـفٍ وعَنْ أيـنٍ وآنٍ ... وكَـمٍّ واتصَـالٍ وانفِصَـالٍ

«و» قد تعالى «**عن**» مدلول «**كيفٍ**»، وهو الكيفية. فلا يوصَف بالنزول، ولا العروج ولا المجيء ولا الخروج؛ لأن ذلك من لواحق الأجسام. وما ورد من ذلك، نحو: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، و«**ينزل ربنا**»، فهو من المتشابه، ليس على ما يفهم منه ببادئ الرأي، كما سيأتي.

«و» عن مدلول «**أينٍ وآنٍ**» وهو المكان. فلا يختصّ سبحانه بجهة من الجهات، ولا تكتنفه الأرضون والسماوات، وما أوهم خلافَ ذلك، من نحو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فمن المتشابه، الآتي ذكره.

«و» عن مدلول «كَمّ» وهو المقدار؛ لأنه من صفات الأجسام، وحصر الأعذار والأقسام، والله سبحانه ليس كذلكَ.

«و» عن كل «اتصال وانفصال»، فلا يتصل بشيء، ولا ينفصل عن شيء، ولا يتصل به شيءٌ، ولا ينفصل عنه شيءٌ؛ لأن الاتصال والانفصال من أوصاف الحوادث، وما تعتريه الحوادث فهو حادثٌ. قال سيد الطائفة، الجنيدُ، رحمه الله: «متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير، بمَن له شبيه؟!».

وقال بعضُهم: «ألزمَ الكلّ الحدثَ، لأن القِدَم له، فالذي بالجسم ظهورُه، فالعرَضُ يلزمُه، والذي بالآخر اجتماعُه، فقواها تمسكه، والذي يؤلّفه وقتٌ، يفرّقه وقتٌ آخر، والذي يقيمه غيرُه فالضرورة تمسُّه، والذي الوهَمُ يظفر به، فالتصويرُ يرتقي إليه، ومن آواه محلٌّ، أدركَه أينَ، ومن كان له مكانٌ، أدركه كيفَ.

والله سبحانه لا يظله فوقٌ، ولا يقطعه تحتٌ، ولا يقابله حَدٌّ، ولا يزاحمه عِنْدٌ، ولا يأخذه خَلفٌ، ولا يحده أمامٌ، ولا يظهِرُه قَبْلٌ، ولا ينفيه بَعْدٌ، ولا يجمعه كلٌّ، ولا يوجدُه كانَ، ولا يفقِدُه ليسَ. وَصْفهُ لا صفةَ له، وفِعلُه لا عِلة له، وكونُه لا أمدَ له.

تنزّه عن أوصاف خلقه، ليس من أوصاف خلقه مزاجٌ، ولا في فعله علاج، بَاينهم بقِدَمه، وباينوه بحدوثهم.

إن قلت: متَى؟ فقد سبقَ الوقتَ كونُه.

وإن قلتَ: هُو. فالهاءُ والواو وخلقُه.

وإن قلت: أينَ؟ فقد تقدّم المكانَ وجودُه.

فالحروفُ آياته، ووجودُه إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه. وما تصور في الأوهام فالله خلافه. كيف يحل به ما منه بدأ؟ ويعود إليه ما هو أنشأ؟ لا تماقله

العيون، ولا تقابله الظنون. قربه كرامةٌ، وبعدُه إهانةٌ، وعلوه من غير توقّل، ومجيئُهُ من غير تنقّل، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، القريب البعيد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»، انتهى.

وقوله: «**وصفُه: لا صِفةَ له**»: أي كيفيّة.

ومعنى: «**لا تماقِلُه العيونُ**»: أي لا تراه بالمقْلة، رؤيةَ مقابلةٍ.

وحاصل ما تقدم من الأبيات: إثبات الوجود والتنزيه، بالخمس الصفات: الوحدانية، والقِدمُ، والبقاء، وأنه قائمٌ بنفسه، وأنه مخالفٌ للحوادث.

ويجمعها قولي:

وجُـودٌ ووَحدانيـةٌ قِـدَمٌ بقـاءٌ ... قيـامٌ بنفْـسٍ للحُـدوثِ مخالفُ

***

[صفات المعاني]:

١٠- لـه ذاتٌ وأوْصَـافٌ وأسْـما ... تسـامَتْ فـوقَ غايـاتِ التَّعَالي

وأما صفاتُ المعاني فإليها أشار بقوله:

«**له**» سبحانه «**ذاتٌ**» لا تشبهُ الذوات، «**وأوصاف**» لا تشبهها أوصاف المحدثات، «**وأسماء**» في نهاية التنزيه وغاية الكمالات. بل «**تسامت**» من السموّ، أي: تعالت عن أن يحيط بها مقالٌ، أو يتصورها مثالٌ، أو يُدرَكَ كنهُها بحالٍ. فكل علوٍّ فهو دونها في علوها، «**فوق غايات**» أي: نهايات «**التعالي**»، وهو بها موصوفٌ، وعند العارفين بها معروفٌ.

***

١١- سـميعٌ مبصِرٌ حـيٌّ عَليمٌ مريـدٌ قـادرٌ حـقُّ المقـالِ

«**سميعٌ**» بسمع، «**مبصِر**» ببصر. يسمعُ ويبصر بهما كل موجودٍ، كما يليق بذاته المقدسة، فلا يعزبُ عن سمعه مسموعٌ وإن خفيَ، ولا يغيب عن رؤيته مرئيٌّ وإن دقَّ، يرى من غير حدقةٍ وأجفانٍ، كما يسمع من غير أصْمخَةٍ وآذان. وهما صفتانِ زائدتان على علمه، وقد أثبتها لنفسه. قال الشيخ أبو حامد الأسفراييني: «لو كانَ الباريء غير سميع ولا بصيرٍ، لعُكِسَ السؤالُ على إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]. ولقيل له: وإلهك أنتَ كذلكَ لا يسمعُ ولا يبصِر!. ولبطلَ معنى قوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣]».

«**حيٌّ**» بحياةٍ لا تشبه حياةَ المحدثات، ثابتة بنصوص الآيات، يقتضيها ثبوت العلم والقدرة وسائر الصفات، لا يعارضها فناءٌ ولا موتٌ، ولا نقص ولا فوتٌ.

«**عليمٌ**» بعلمٍ أزليٍّ، محيطاً بالمعلومات، وما يجري من تخوم الأرضِ إلى أعلى السماوات. لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، ولا حركة نفسٍ، ولا هاجس خاطرٍ، يعلم السرَّ وأخفى. لا يحدثُ له علمٌ بحدوثِ معلومٍ، بل علمه قديمٌ، لا يزيدُ ولا ينقص، ولا يتغير بتغير المعلومات، ولا يتبدل بتبديل الذوات ولا الصفات، ولا تطرقه غفلة ولا نومٌ ولا سبات. يعلمُ من غير ارتسامٍ في قلبٍ ولا دماغٍ، ولا يشبه علمُه علمَ المخلوقات، وثبوته بآيات القرآن، وبينات البرهان، غنيٌّ عن البيان.

«**مريدٌ**» بإرادةٍ تخصّص المقدورات، وتدبر الكائنات، وهي صفة زائدة على الذّات، ومغايرة للعلم والقدرةِ وغيرِهما من الصفات. لا تشبه إرادة المحدَثات. قد خصّصت الإرادات بما لها من التفصيلات، ولا يحدثُ فيها تغيرٌ بحدوثِ التعلّقات، كغيرهما من الصفات.

«قَادرٌ» بقدرةٍ. وهي المعبَّر عنها بالقوة في النصوص والآيات. صفاته أزليةٌ، بها إيجاد كل ممكنٍ وإعدامه في الكليات والجزئيات، فلا يعزب عنها مقدورٌ من جوهر ولا عرضٍ ولا صفات: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، بيدِه النفعُ، وبقدرته ومشيئته الخيرُ والشرّ. خلقَ الخلق وأعمالهم، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم، وأدلة القدرة في الآياتِ مشهورةٌ، وعلى صفحات جميع الوجود مسطورة.

«حَقُّ المقال» متكلمٌ له قولٌ كلّه حَقٌّ، ما فيه خُلفٌ ولا خَلقٌ، بل هو صفة أزلية، بها في جميع المعلومات مخبرٌ، وآمرٌ، ونَاهٍ، وواعدٌ، ومتوعدٌ. أخبرتْ بها عنه الرسل، صلواتُ الله وسلامه عليهم، وظهرتْ بها كتبه، وهي صفة كمالٍ، لا يليق به سبحانه فقدُها بحَالٍ، قديمةٌ، أزليةٌ، مباينةٌ لصفات المخلوقات، منزّهٌ عن الحروف والأصوات، من غير هواءٍ ولا لسانٍ، ولا شيء من الآلات، وقد أسمعها الله سبحانه موسَى، كذلك كما جاءت به الآيات.

***

[قيام الصفات بالذات]

وهذه الصفات السبع كلُّها قائمة بذات الله تعالى، لا تقبل الانفصال، ولا هي مغايرةٌ للذات، ولا هي عينها[1] في التعينات. وكلها لا يحيطُ بحقيقتها بالٌ، ولا يكشفها مثالٌ، ولا يدرَك كنهُها بحال، بل أثبتها الله لنفسه صفات كمالٍ، فنثبتُها كما أثبتها لنفسه.

١٢- بهـا نثني كـما أثنَـى ونَعْنـي لمـا يَعنيـه مـن معنَـى الجـلالِ

و«بها نثني» عليه، «كما أثنى» على نفسه، في كمال قدسه. ونفوّض معناها إلى ما أراد، فلا نقيدها باعتقاد، «و» لا نحدها باجتهاد، بل «نعني لما يعنيه» من الكمال.

---

(١) في النسختين: عنها.

ونعتقد ما أراده «**من معنى الجلال**» والجمال، فنقلد فيما قال كما قال، ولا نحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، في سلطانه المتعال.

***

١٣- ونَدعُو بالذي في الذّكْر منها ... ومَا في الغَيبِ في كلِّ ابتهَالِ

«**و**» قد أمرنا أنا «**ندعُو**»هُ بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى، فندعوه بالخصوص بالذي علمَناه «**في الذكر**»، أي القرآن، وما بينته السنة الصحيحة؛ لأن إثبات الأسماء والصفات موقوفٌ على التوقيف، فمنها ما ظهَر، ومنها ما هو في الغيب عند الله. فندعوه بالعموم «**في كل دعاء ابتهال**» وهو التضرع والمبالغة في السؤال.

***

[مذاهب السلف]

واعلَم أن هذه الصفات وإن كنا لا نحيطُ بها، ولا نعلم كنهها، لكنها قطعاً صفات كمالٍ، وقد أثبتها تعالى لنفسه، وليس في إثباتها له على ظاهرها إشكالٌ. وأما ما ظاهرُه مشكلٌ، من المتشابه الذي جاء في القرآن والسنة، كإطلاق الوجه، واليدين، والرجل، والفوق، والنزول، والمجيء، والاستواء، وغير ذلك مما أفردَ بالتأليف، واشتهر في التصانيف. ففيه مذهبان:

أحدهما: مذهب السلف الصالح، وكثير من الخلف، تفويضُ المراد منه إلى الله تعالى، وردّ علمه إليها، والسكوت عن التأويل مع الجزم بأن الظواهر المؤدية إلى الحدوث والتشبيه غير مراده. **وقد سئل الإمامُ مالكٌ**، رحمه الله تعالى، عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. فقال: الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة. وقال الإمام الشافعي: آمنَّا بما جاء عن الله، على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله. وقال السهروردي عن

الصوفية: «وأجمعوا في كل مكانٍ على هذا المعنى، أن يقولوا فيه كما قالَ مالكٌ في الاستواء». وهذا المذهبُ هو المختار عندنا.

١٤- وفوَّضْنا بما فيه اشتباهٌ   إلى ما شاءَ من نعْتِ الكَمالِ

فقد «فوّضْنا» لله المراد، «بـ»كُلِّ «ما فيه اشتباهٌ» علينا وانعقاد، فإنه لما تعارضَت فيه الأدلة العقلية، مع الظواهر النقلية، فإن صدقناهما لزم الجمع بين النقيضين، وإن كذبناهما لزم رفعهما، وإن صدقنا النقلية كذبنا الأدلة العقلية، وهي أصول النقلية، فيفضي إلى تكذيبهما معاً، فما بقي إلا أن نصدقَ العقليةَ، ونفوّض الظواهر النقلية «إلى ما شاء» الله. وأرادَ «من نَعْت الكمال» اللائقِ به من غير تعيينِ مجملٍ، ولا اعتقاد محَالٍ، ولا يضرنا الجهلُ بالتفصيل مع الإيمان بالإجمال، كما في الإيمان بالكتب والرسل والملائكة.

والمذهب الثاني: التأويلُ بالدليل العقلي، على ما تقتضيه لغةُ العرب، وإنما صَار إليها أكثرُ الخلَف: لظُهور الشّبه وأهلها، المشبهين بالباطل على أهل الحق، فتعين المصيرُ إليه، خصوصاً مع ظهور فهمِه، وبروز علمِه. كقوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]. وقوله ﷺ: «قلبُ المؤمن بين إصْبعين من أصَابع الرحمن».

***

١٥- هو الحقُّ الذي بالحقِّ يقْضي   عَلى ما اختَار في دانٍ وعَالِ

ثم إن الله سبحانه «هو الحقّ» أي الموجود حقيقةً، المتحققُ وجودُه وإلهيّته. وأمّا ما سواهُ، سبحانه، فإنه خلقٌ له، وحادثٌ بقدرته. ولما كان غير قائمٍ بنفسه، ولا ثابتٍ على حال، في الذات والأعراض، ويتبدل ويفنَى بالتغيير والانقراض، أطلق عليه أنه خيالٌ، وحكم عليه بالإبطال. ففي الحديث: «أصدقُ كلمةٍ قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خَلا الله باطلُ»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وقال آخر:

إنّما الكَونُ خَيالٌ وهو حقٌّ في الحقيقَةْ

وهو سبحانه «**الذي بالحق يقضي**»؛ لأنه الخلاقُ، المالك الحاكم على الإطلاق، فقضاؤه حقٌّ وعدل، وكلامه صدقٌ وفصل. فلا يجري في الملك والملكوتِ كائنٌ وإن قلَّ إلا بقضائه وقدرته، وحكمه ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يخرج عن قبضته وتكوينه فلتةُ خاطرٍ، ولا يشذّ عن إرادته وتعيينه لفتة ناظر، فلا رادَّ لحكمه، ولا معقِّب لفضْله وعلمه، ولا مهربَ لعبده عن معصيته، إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته؛ إلا بلطفه وإرادته ومحبته.

فهو المبدئ المعيدُ لكل شيءٍ، على مقتضى حكمته، الفعَّال لما يريدُ لشمول قدرته، فيفعلُ ما أراد من غير وجوبٍ عليه، ولا إجبارٍ له، بل «**على ما اختَار في**» كل «**دانٍ وعال**» من خلقِه. والمراد: السفلياتُ والعلويات. أو: أهل المعاصي والطاعات. فلا لغيره عليه حكمٌ، ولا يتصور منه الظلم، ولو أثاب العصاةَ، وعذَّب المطيعين، لم يكن ذلك منه قبيحاً ولا ظلماً.

***

١٦- ولا حَتـمٌ ولا مَنـعٌ بأمـرٍ فـكلٌّ ملكُـه في كلِّ حَالِ

«**ولا حتم عليه**» لغيره، فإنه المتفضلُ بالخلقِ والاختراع على جميع المخلوقات، وبالرزق والحفظ في جميع الأحوال والأوقات، والهداية بإضاءة العقول، وبعث الرسول، وسلوك سبيل النجاة، والإثابة على الطاعة. «**ولا منع**» عليه تعالى «**بأمرٍ**» من الأمور، من أضداد المذكورات. فلا يسأل عما يفعل وهم يُسألون، فلله الحجة البالغة، والسلطان الغالب على كل كونٍ.

«**فكل**» ممن سواه «**ملكُه**» وخلقه، لا يخرج في كل طَورٍ من أطواره عن تصـريفِ، ولا «**في كل حال**» من أحواله، عن تفريقه وتأليفه، فلا يتصوَّر منه قبحٌ. ولا يكون منه ظلمٌ، إذ لا يصادف لغيره حقّاً، ولا يعارض له ملكاً، فكل ما يسمّى قبيحاً وظلماً، ومعصيةً وشرّاً من أفعال العباد، فهو بخلقه، وقدرته، وإرادته، وعلمه.

لكن التسميةُ بذلك، والنسبة إلى ما هنالك، تعود إلى العباد، لمخالفتهم لأمره، وعدُولهم عن شكره، وميلهم عن سبيل الرشاد. وأما فعله تعالى، وخلقه، فكله حسنٌ جميلٌ، فمنه الخير كله، والشر ليسَ إليه.

* * *

١٧- وكلٌّ منـه في فضْـلٍ وعَـدلٍ على التقْديرِ من غَيرِ اخْتلالِ

«**وكلٌّ**» من المخلوقاتِ، واقعٌ «منه» أي: من الله سبحانه، «**في فضلٍ**»، بفائض رحمته، «**وعَدلٍ**» بسابق حكمته وكلمته، فإنه أظهر الكائناتِ، وأخرجها من العدم، وأبرزها في الوجود على أتقن الوجوه والحكم، «على» مقتضى «**التقْدير**» الذي سبق به علمُه، ونفذ به حكمه. «**من غير اختلال**» لذاتٍ من الذوات، ولا هيئة من الهيئات، ولا حال من الأحوال، ولا وقت من الأوقات. فالسعيدُ سعيدٌ كما سبق في العلم، والشقي شقيٌّ لا يتحول عما نفذ في الحكم، والتيسير لعمل السعادة دليلٌ عليها، والوقوع في عمل الشقاوة جاذبٌ إليها.

والآثارُ مكتوبةٌ، والآجال محتومةٌ، والأرزاق معلومةٌ، لا يزيد على ما في أم الكتاب، ولا ينقص عما في الحساب، بين أهلها مقسومة. وأما ما جاء من الأخبار، الدالة على زيادة ذلك ونقصه؛ **فالأكثرون** على أن المراد منها: الزيادةُ بالبركة، والنقصان بالمحْقِ. **وقيل**: بالنسبة إلى ما عند الملائكة في ألواحِ المحو والإثبات، وما عند الله في

اللوح المحفوظ، لا يزيد ولا ينقصُ. فإن القسمة سبقَت، والكلمة قد مضَتْ، على ما اقتضت الحكمة في كل ذاتٍ وصفات، في جميع المعاني والتعيينات.

* * *

١٨- فـكلٌّ خلقُـه أعطـاهُ رشْـدَه بنهْـج الفَـوز أو نهْـجِ الوبَـالِ

«**فكلٌّ**» من الكائنات أبدعَ الخلاقُ العليم «**خلقَه**» القديم، على أتقن الوجوه وأحكم التحكيم، «**أعطاه**» كماله اللائقَ به على التقويم، على حسب الإرادة والمراد، والقابلية والاستعداد، في الخلْق والرزق والهدْي والإرشاد، والغيِّ والإبعاد، في المعاش والمعاد. فكلّ عبدٍ إما أن يلهمه الله «رشْدَه»، ويقدّره عليه بتوفيقه. فيسلك «**بنهْج الفوز**» أي: طريق النجاة في الدنيا، بالأمن والإيمان، وفي الآخرة بالرضا والرضوان، في خلود الجنان.

«**أو**» يكون من أهل الغي والخذلان، فيمـضي في «**نهج الوبَالِ**»، أي: الهلاك والخسران، في الدنيا بالمخالفة والعصيان، وفي الآخرة بالحجاب والحرمان، والخلد في النيران. فـ«**كلٌّ ميسّرٌ لما خلق له، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك لا يلومنَّ إلا نفسَه**». ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

* * *

١٩- وللآجَـــالِ والأرْزاقِ وفَّــى وخَيرُ الـرزْقِ قوتٌ مـن حَلالِ

«**و**» الله سبحانه «**للآجالِ**» في الآدميين والبهائم، وغيرها من المخلوقات، «**وفى**» كُلاًّ ما له، وأعطى كل شيء خلقه، فالمقتول منهم ميتٌ بأجله، وقد انتهَى عمره.

«و» كذا في «**الأرزاقِ**»، فإن الله وفَّى كلَّ عبدٍ جميع رزقِه المقسوم له، فلا يأكل أحدٌ رزقَ أحدٍ، وإن أخذه منه غصباً، فالمغصوبُ حينئذٍ رزقُ الغاصبِ، وملكُ المغصوب منه، ولا تموتُ دابةٌ حتى تستوفيَ رزقها وأجلها، والرزقُ كل ما ينتفعُ به العبدُ، سواءً كان حلالاً أم حراماً، فمن أحبه الله جعل رزقه حلالاً، وجعله له شاكراً، ومن سخطَ عليه جعل رزقَه حراماً، وجعله له غاصباً، و«**طلَبُ الحلال فريضة**» على كل مسلم.

«**وخير الرزْقِ**» ما هو قوتٌ بقدر الحاجة، وهو الكفافُ الذي يكف عن الجوعِ السؤالَ. ففي الحديث: «اللهم اجعل رزْقَ آلِ محمّدٍ قوتاً». وحديث: «طُوبى لمن آمنَ، ورُزِقَ كَفافاً»، هذا إذا كان من «**حلالٍ**»، وإلا فالحرامُ وبالٌ على آكلِه، ففي الحديث: «لعن الله آكل الربا»، إلى آخره.

وأساسُ الدين الورعُ، ولا يعذر العبدُ عند عموم الشبهات والتخليطات، من الاجتهادِ والاحتياطِ في الأقوات وغيرها. والأجرُ على قدر النصَب، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢- ٣]، و«**من لم يبالِ، لم يبالِ الله به**».

[تحذير المؤلف من التواكل والقعود عن الكسب]

وكثيراً ما يلبّس إبليسُ على طلاب العلمِ، والمترسِّمين بالعبادة، فيزيّنُ لهم طرح الأسباب، وترك الاكتساب من الحلال، فيصيرون كَلًّا على الناس في أكل أموالهم بالباطل، فيأكلون الحرامَ السُّحتَ بالتلبيس على العبادِ، إذ يعطونهم حياءً، أو على توهُّمِ صفاتٍ ليست فيهم، ولا في أفعالهم، فيرجعون في أشدِّ بؤسٍ وبأس في الدين والدنيا، ويروج عليهم العجْزُ في معرِضِ التوكل والمرتبة العليا!.

وأين مقام التوكّل عمَّن لم يصحح مقامَ الإسلام والإيمان بعْدُ!. فيضيّعونَ الكسْبَ المفروضَ، ويقعُونَ في الرياء والمداهنةِ، وثلب العروض!. فمن نظر بعين

البصيرةِ رأى كثيراً من أهل السّواد، القائمين بالواجباتِ، أفضلَ من كثيرٍ من أهل الرسوم في العلوم، والمتظاهرين بصُوَر العباداتِ، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، فنسأل الله الثباتَ على اليقين، والسلوك على سبيل المتقين.

وفي كلام الناظم إشارةٌ إلى أن الكفَافَ أفضلُ من الغِنى والفقْرِ، وهو ظاهرُ الأحاديث، والأدلة عليه كثيرةٌ، خلافاً لمن أطلق تفضيل الفقيرِ الصَّابر، أو الغني الشاكر، أن العبدَ ليس له بدون الله اختيارٌ، في أمر من الأمور، ولا حال من الأحوال؛ لأن الله تعالى خالقٌ للعبد كسائر أفعاله، مما يسمّى طاعة وخيراً ونفعاً، بسبب موافقة العبد للحق، وكذا ما سمّي شرّاً ومعصيةً وضرّاً بسبب مخالفته.

***

٢٠- ولا فعْـلٌ ولا تـركٌ لعبْـدٍ سـوَى بـالله في كُلّ افتِعَـالِ

«**ولا**» يكون «**فعلٌ، ولا تركٌ**» أي كفٌّ أصْلاً «**لعبْدٍ**» من العبيد، في حالٍ من الأحوال. «**سوى بالله**» أي: بقدرته وإرادته، وعلمه ومشيئته. بل لو اجتمعت الإنسُ والجنُّ وسائر الخلائقِ على أن يحرّكوا في العالم ذرةً، أو يسكنوها، بدون قدرة الله، لم يقدروا على ذلك، فـ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ١٦٥]. وليس العبدُ في أفعاله الاختيارية بمجبورٍ عليها، ولا مستقل بها، بل له كسبٌ توجَّه إليه بِه خطابٌ، وترتب عليه الثوابُ والعقابُ، فإنه خالقٌ، والعبد كاسبٌ «**في كُلّ**» فعلٍ «**وافتعال**» يصدرُ من العبد، فيتكون ذلك بقدرة الله وخلقه، ولا ينافيه قدرةُ العبد المقتضية نسبة الفعل إليه؛ لأنها من متعلقات القدرة الإلهية.

ثم إنّ الله سبحانه قد أعطى العقولَ قوةَ الإدراكِ بالقبول والفكر، وأيدَها بالبينات، المقول في الآيات والذكر، ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ

بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].
فآياته سبحانه ظاهرةٌ، وبراهينه باهرة.

***

٢١- ووجْهُ الحقِّ بادٍ ليسَ يخفَى ... ولم ينكِرْه إلا ذو خبَالِ

«**ووَجهُ الحقِّ**» أي طريق التوجه إلى معرفته في ذاته وأنواره وصفاته وأفعاله وآثاره «**بادٍ**» ظاهر، «**ليس يُخفَى**» على ذي بصيرةٍ، وسريرة منيرة. فقد تجلى بمحاسن أوصافه، وتجلى بمكارم ألطافه. فمنه الأمرُ وإليه يعود، في كل ولوجٍ وخروجٍ، ونزول وعروجٍ، فإن أوصافه ظهرتْ من عالم الملكوت، على آثاره في عالم الناسوت، فعاد الأمر إليه من المحسوس، إلى بصائر القلوب وسرائر النفوس، وسما من الأسماء والصفات إلى جلاله وجماله العليِّ الملك القدوس.

«**ولم ينكره**» أي: ظهور هذه الأنوار بالجلال والجمال، والتجلي منه سبحانه بجميع صفات الكمال، «**إلا ذو خبَال**» في عقله، وتهور في جهله.

***

٢٢- بآياتٍ تُرَى في كلِّ شيءٍ ... لذي قلْبٍ عن الآفاتِ خَالِ

وكيف يخفى سبحانه على أحدٍ! وقد تجلى «**بآياتٍ**» له بيناتٍ، «**تُرى**» رؤيةً علمية «**في كل شيءٍ**» من الموجودات، فإنها كلها ناطقةٌ بتوحيده، لكن لا يسمعها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، وشاهده بتفريده. لكنها لا تُدركُ إلا «**لذي قلبٍ**» واعٍ لما أُلقيَ إليه، غير مقلوب، «**عن الآفات**» من رين الذنوب، وغين الأمراض والعيوب، التي هو بها محجوبٌ، عن مطالعة الغيوب، «**خَالٍ**».

ولله درّ القائل:

أيا عجباً كيف يُعصَى الإله ... أم كيفَ يجحَدُه الجاحدُ

وفـي كل شـيءٍ لـه آيـةٌ تـدلُّ علـى أنـه واحِـدُ

ثم إنه سبحانه لم يكِل أهلَ العقول إلى المعقول، ولم يكتف في إقامة الحجة بالتكليف بما نصبه لعقول المكلفين من الدليل والمدلول، وعفَا عنهم، حيث لم يعذب أمةً إلا بعد بعثة رسُولٍ؛ وذلك لأن العقل قاصِرٌ وعاجزٌ عن الوصول إلى تحقيق الحقائق والأصول، واقفٌ في درجة التلقي والقبول، للعلوم والأحكام التي طريقها الوحي والنزول، فالحسنُ والقبيحُ عندَه على مقتضى ما يلائمه، وعند الله سبحانه على مقتضى الواقع بما هو عالـمُه.

* * *

٢٣- وبعْـث الأنبيَـا والرسُـلِ تـتْرَى بمـا يَهـدِي إلـى كُلِّ المعَالـي

فلذلك أنعمَ الله بالهداية، وأنعم بالوحي «**وبعث الأنبياء**»، الذي عدتهم، كما جاء في الحديث المشهور: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». وعدة الرسل منهم: ثلاثمئة وخمس عشر. أرسلهم الله لإقامة الحجة، وبيان المحجة.

النبيءُ، بالهمز: من النبأ، وهو: الخبر. وبتركه: من النبوّة، وهي الرفعة. كُلُّ إنسانٍ أُوحِيَ إليه بشرعٍ ولم يؤمر بتبليغِه، فإن أُمر بذلك فهو رسولٌ. وشرطه: كونه أكملَ أهل زمانِه عقلاً، وخلقاً، وفطنةً، وقوةَ رأيٍ، مع السلامة من دناءة الآباء والأمهات، وقسوة القلبِ، والعيوب المنفّرة كالجذام والبرَص، ومن قلة المروءة كالأكل في الطريق، ودناءة الصنعة كالحجامة. والنبوة تقتضي العصمة قبلها وبعدَها، من سائر الذنوب، ولو كرهاً وسهواً. والمراد بقولنا «أكمل أهل زمانه» أي: سوى الأنبياء، وأولهم آدم، وآخرهم محمد ﷺ.

«**و**» لم يزل سبحانه يرسلُ «**الرُّسلَ تتْرَى**» أي: متواترينَ، واحداً بعد واحدٍ. فجاؤوا «**بما**» أي بالبينات والهدى، الذي «**يهدي**» أي: يدل المرسلَ إليها، أو يوصل

المؤمنينَ منهم إلى ما هو خيرٌ لهم بالذات، مما يصلحُهم في معاشهم ومعادهم، وإلى ما يرفعهم من أسفل «إلى كُل المعالي» الظاهرة بالتمكين، والباطنة باليقين ومقامات المتقين.

واعلم أن الرسل، عليهم أفضل الصلاة والسلام، جميعَهم قد بلغوا عن الله تعالى جميعَ ما أمرهم بتبليغِه، فلا يتصور منهم نقصُ كمالِ التبليغ، ولو في شدة الخوف؛ لأنه يجب لهم الوصفُ بالصدقِ، والأمانة، وتبليغ الرسالة، ويستحيل عليهم ضدها.

***

٢٤- فبالإبلاغِ أجْلَوا كلَّ حقٍّ   وبالإعْجَاز حجَّوا كُلَّ قَالِ

«فبالإبلاغ» الواجبِ عليهم إلى من أرسلوا إليه، «أجْلَوا» أي: أظهروا «كل» صدقٍ و«حَقٍّ»، فكل منهم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣ - ٤]. فلا يجوزُ عليهم الغلطُ، ولا السهو، فيما طريقه الإبلاغ. وأما غيره؛ فيجوز فيه السهو عليهم فيه، وهو تشريعٌ لأممهم، ومع ذلك فلا يقرُّون عليه، بل ينبهون فيه. وأما علمُ الغيب، وكل علمٍ سوى علم الأحكام، والدّين الذي أرسلوا به، فيجوز أن لا يعلموه.

«وبالإعجاز» أي: إظهار المعجزاتِ التي هي خرقُ العادات، المتحدَّى به لبيان صدقِ ما يدعيه من الرسالة، فقد «حجّوا» بها «كلَّ قَالٍ» لرأيٍ، مبغض مكذب لهم.

ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسول: أنها لما كانت مما يعجز الخلق عنه، لم يكن إلا فعلاً لله تعالى، فمهما جعلها الله بينةً على صدقه فيما يخبر به عن الله، فأوجدها الله، كان ذلك تصديقاً من الله. ويجب الإيمان بجميع الرسل، وبجميع ما جاؤوا به، إجمالاً في الإجمالِ، وتفصيلاً في التفصيل.

***

٢٥- فآمنَّا بما أوتُوا جميعاً   من التنزيلِ والكتُبِ العَوالي

«**فآمنّا**» بهم جميعاً، و«**بما**» أي بكل ما «**أوتوا**» من ربهم «**جميعاً**»، **لا نفرق بين أحدٍ منهم**، ولا نكذب بشيء صحَّ عنهم «**من التنزيل**» الذي أنزل عليهم. «**والكتب**» أي: كتب الله «**العوالي**» أي: المنزهة عن كل ما لا يليقُ بها؛ لأنها كلامُه كما تقدم.

***

٢٦- وبالتَّوراةِ والإنْجيلِ لكنْ   عن التّبديلِ نَبْرأُ والضَّلالِ

وآمنّا بالصحف المنزلة على إبراهيم وغيره. «**وبالتوراة**» المنزلة على موسى، «**والإنجيل**» المنزلة[1] على عيسى، والزبور المنزلة على داود. و«**لكن عن التبديل**» الذي وقعَ فيها من بعض اليهود والنصارى، أهل الزيغ والجحود، «**نبرأ**» بقلب الهمزة أِلفاً، إلى الله تعالى، «**و**» عن «**الضلال**» الذي نسبوه إلى الله تعالى، ككونه ثالث ثلاثة، واتخاذه ولداً وصاحبةً، وغير ذلك. فسبحان الله عما يصفون، وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً. ولذلك تحرمُ مطالعة ما عُلمَ تبديلُه، أو شُكَّ فيه من ذلك، إلا لعالم متبحّرٍ في الكتاب والسنة.

***

٢٧- وبالقُرآنِ حَاوي العلْمِ شَافٍ   عن التّغْيير محفُوظٌ وعَالِ

«**و**» آمنّا «**بالقرآن**» العظيم، الكتاب العزيز، الفرقان، المعجزة المستمرة للنبي محمدٍ ﷺ على تعاقب السنين، والذكر المبين الحاوي لجميع ما في الكتبِ المنزلة قبله، بل «**حاوي العلم**» أي: كل العلوم، وإن اختلف الناس في إدراكها منه، باختلاف التوفيق والذَّوق والفهوم، فلكُلّ مقامٍ معلومٌ. فترى أهل كل علمٍ منه يستمدون، وعليه يعتمدون. قال الشافعي رحمه الله: «جميع ما يتكلم به علماء الأمة شرح للسنة،

---

(١) كذا في النسختين.

والسنة شرح للقرآن». وقال بعضُهم: قلَّ أن يوجد شيء من الأحاديثِ إلا وله شاهدٌ في القرآن، في خصُوصٍ أو في عمومٍ.

والقرآن أيضاً «**شافٍ**» لأمراضِ القلوب والأبدان، كافٍ في دفع الهموم والأحزان، وفي الحديث: «**أنزل القرآنُ على سبعَة أحرفٍ، كل حرفٍ منها شافٍ كَافٍ**»، وفي حديث آخر: «**أنه لما قصد له**». فأما شفاؤه للمؤمنين من أمراض القلوبِ، وتطهيره لهم من أدناس العيوبِ، فظاهرٌ. وأما أمراض الأبدان؛ فإنه يشفي منها كلِّها، على حسب صدق التوجه، وصفاء الإيمان. وقد وردت الرقيةُ بعموم القرآن، وخصُوص آيات كثيرة، في أحاديثَ شهيرة. ولم يزل القرآن العظيمُ عماداً للإسلام، ومناراً للأنام، ونفعاً شاملاً للخاص والعام، لا يَخلَقُ على تطاول الأيام، غضّاً طريّاً، ولا تنفد عجائبه، ولا تنقطع غرائبه، لكل حرف منه ظهرٌ وبطنٌ، وحَدٌّ ومطَّلع وغيبٌ، ولا يحيط بعلومه إلا المتكلم به سبحانه وتعالى، وكيف له منتهى! وهو كلام رب العالمين، الذي لا منتهى لصفاته، ولا حَدَّ لآياته.

وهو في جميع حروفه متواترٌ، لا يخلص إليه تبديلٌ ولا تخليطٌ، بل هو «**عن التغيير محفوظٌ**»، من كل زيادة ونقصان، وعن لغو كُلّ معادٍ، ودسِّ كل شيطانٍ. «**وعالٍ**» حكمُه على جميع الأحكام والأديان. ففي الحديث: أن «من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله»، و«إنها لا تزال طائفة من هذه [الأمة] به ظاهرين على الحقّ، لا يضرهم من عاداهم».

***

٢٨- وبالتّفصيلِ في عُلوٍّ وسفْلٍ ... وأمــلاكٍ وأيَّـــامٍ خَوالــي

«**و**» آمنّا «**بالتفضيل**» الوارد في التنزيل في كل مفصلٍ، فإنه يجب الإيمان به على من وصَل إليه وتحققه، فأما ما تواترَ من ذلك واشتهر، بحيث صار معلوماً من

الدين بالضرورة، فإنه يكفر جاحدُه، كوجوب الصلوات الخمس، وصوم رمضان، والزكاة. وأما ما تواتر ولم يشتهر كذلكَ، فيفسّق منكرُه ويبدّع، فإن صار عنده مقطوعاً به معلوماً ضرورياً فيكفُر أيضاً؛ لأن التكذيب به تكذيبٌ له ﷺ، وذلك يختلف باختلاف الناس، ويأتي تتمة لذلك.

«و» مثله التفصيل «في» كل «علُوٍّ وسُفلٍ» ورد في الكتابِ، أو تواترت به السنة، كالسماوات السبع، والعرش، والكرسي، والجنة، والأرضين السبع، والنار، وأنها كالجنة موجودتان الآن، وغير ذلك من أنبياء ورسُل، «وأمْلاكٍ» كجبريل وميكائيل، وحملة العرش، والكَرُوبيين، والكاتبَين، وأممٌ سابقة «وأيام خوالٍ» فيمن تقدمَ، والجنَّ وأنهم لا يعلمون الغيب، وأن علم الغيب لله ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦ - ٢٧]. وأن الخمس التي هي: علمُ الساعة، ووقت نزول الغيث، وما في الأرحام، وماذا تكسب كل نفس غداً، وفي أي أرض تموتُ، لا يحيط بها علماً إلا الله، كما هو ظاهر الآية، وثبتَ في «الصحيح». فمدعي علمَ ذلك، والإحاطة به، كاذبٌ فاسقٌ، ومن ذلك ما جاءَ في السمعيات قبل الموت وبعدَه.

***

٢٩- وبالأشْراطِ مهديٌّ فعيسَى ودجّالٌ وآياتٌ تُوالي

فآمنّا بالساعة، «وبالأشراطِ» لها، وهي جمع شَرَط، بالتحريك: العلامة. قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]. وتنحصر على كثرتها في ثلاثة أقسام:

الأول: ماضٍ قد انقضى. كموته ﷺ، وظهور الفتن، والجور، والهرَج، ودجالون كذابون يدّعون النبوة وغيرها. والنار التي ظهرت بالمدينة المشرفة سنة أربع وخمسين وستمئة، وقتال الترك، وخروج الأمر عن أهله، وغير ذلك.

والثاني: ما هو مستصحَبٌ الآن، كغربة الدين، وقلة الأمانة، وكثرة الخيانة، ومنع الزكاة، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، واتخاذ القينات والمعازف، وشرب الخمر، وظهور الربا والزنا، وغير ذلك مما يطول ذكره.

والثالث: ما هو منتظَرٌ من الآيات العظام. وفي الحديث: «الآيات خرزات منظومات في سلكٍ، فانقطعَ السلك، فيتبع بعضُها بعضاً».

وذلك خروج السيد الإمام الفاطمي المهدي، محمد بن عبد الله. فاسمُه واسمُ أبيه، وخَلقه وخُلقه، كما ورد في الأحاديث، كجده محمدٍ ﷺ. وهو ولي الله تعالى، محفوظٌ في جميع أمره، مطابقٌ لأمر النبي ﷺ، يهزم الله به جنودَ الضلال، ويزيل به ولاةَ الجور، فيملأ الأرض عدلاً، ويفتح الفتوحَ العظيمة، فتكثر الغنائمُ حتى يحثو المال حثْواً، ويفشو الغنى، ويكثر المالُ، وبقية تفصيل أخباره في المؤلفات المقصودة به.

ومن الآيات العظام: نزولُ عيسى ابن مريم، ﷺ، وخروج الدجال، الذي هو أعظم فتنةٍ تكونُ ما بين نزول آدم إلى قيام الساعة.

فإنه إذا خرج أظهر الصلاحَ والدينَ، ثم يدّعي أنّهُ الرسولُ، ثم يدَّعي أنه الإله، وهو كذاب ملعونٌ، يغوي الناس بأنواعٍ من فنون التمثيلات والفتون، وهو مسيحُ الضلالة، ومسيح العين، وأما عيسى، ﷺ، فإنه مسيحُ الهدى، أو مسيح القدَمين، أو غير ذلك مما قيلَ.

وإذا خرج الدجّال، واستولى على الأرض كلها، إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، شرفها الله، فإنها محروسةٌ منه لا يدخلها. «فعيسى» ابن مريم حينئذٍ ينزلُ من السماء، فيقتله عند المنارة البيضاء بشرقيِّ دمشق، كما ورد[1].

---

(١) الذي وردَ أنه يقتله عند باب لُدٍّ، ولكنَّ عيسى عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء. (**مصحح**).

«و» الدجّال هو «دَجالٌ» عظيمُ الفتنة، فلذلك نكّره، وإن كان الدجاجلة كثيرٌ من قبله، كما في الحديث: «من أشراط الساعةِ: ثلاثونَ دجالاً كلهم يزعُم أنه رسول الله»، فإذا قتل الدجالَ عيسى ابنُ مريم، ﷺ، أقام في الأرض حاكماً بشريعة محمدٍ ﷺ. ومنها يومئذٍ: لزوم كسر الصليب، وقتل الخنزير، وعدم الإقرار للكتابي بالجزية، فلا يقبل إلا الإسلام أو القتل، فيظهر الإسلامُ حينئذٍ لذلك على كل دينٍ، ولا يبقى إلا الإسلام.

«و» يظهر بعد ذلك «آياتٌ» أخَر عظيمةٌ، «تُوالي» بضم أوله مضارع والَى، أي: تتابع تلك الآيات بعضُها بعضاً. أو بفتحه، جمع تاليةٍ، أي: متأخّرة. فمنها: خروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدابة، ومنع التوبة، ورفع القرآن، والدخانُ، فيجب الإيمان بجميع ذلك.

وآخرها: نارٌ تحشر الناس، تخرج من عدن أو حضرموت، وقد يجمع: بأن المراد بعدَن: جهتها ناحية اليمن السفلى، وقعرُها: أقصاها، وهو حضرموت. من بئر فيها وادٍ يقال له: برهوت، قريباً من الموضع الذي يزار فيه قبر هود ﷺ، فتحشر الناس جميعاً إلى الشام، تقيلُ معهم إذا قالوا، وتبيتُ معهم إذا باتوا.

ومما يجب الإيمان به: ما ورد بعد الموت، فإنه يجب الإيمان بالموت، وأنه حقٌّ واقعٌ، بمفارقة الروح للجسد، وحتم على جميع الخلق، ولا يبقى إلا وجهه تعالى.

***

٣٠- وبالتّنعيـــمِ للمَــوتى بقَبْـرِ وبالتّعذيـبِ معـاً بعْد السّؤالِ

«و» يجب الإيمان أيضاً «بالتنعِيم للموتى» المؤمنين، «بقبرٍ» أي: البرزخ، سواءً المقبور وغيره، ولو أكلته السباع، أو حرقته النار، أو ذرته الرياح. والتعبير بالقبر خرج مخرجَ الغالب. ومن التنعيم: توسيعُ القبر مدَّ البصر، وجعله روضة من رياض الجنة،

وفتح طاقة أو باب منه إليها، وامتلاؤه خضراً، كما جاء في الأحاديث المشهورة. وهو للروح والجسد، بأن يخلق الله في أجزائه إدراكاً لذلك، وإن كانت مفرقةً.

«و» كذلك يجبُ الإيمان «بالتعذيب» للكفّار والعصاة «معاً». فأما الكفار على الدوام، قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٦]. وأما العصاة فذلكَ بحسب عصيانهم، وورد التخفيفُ عنهم بانقطاعه في الجمعة ورمضان، ورفعه بدعاءٍ وصدقةٍ ونحوهما، وأن ميّت الجمعة يعذّبُ ساعةً، ثم لا يعود له إلى يوم القيامة، والله أعلم، وهو على الروح والجسد.

ومن عذابه: ضغطة القبر، وضيقُه على الميت حتى تختلف أضلاعه. وورد: أنه لا ينجو منها إلا نبيٌّ، إلا أنه تخفف على المؤمن، حتى تكون كضمة الأم الشفيقة، وأنه يفتح منه بابٌ إلى النار، ويبتلى بأعماله، فيتصوّر له منها حيوانٌ تعذبه بلدْغها ونهشِها. وورد: أن عامة عذاب القبر من عدم التنزّه من البول.

وكل ميتٍ إلا ما استثنيَ، كالأنبياء، والشهداء، والمؤذن المحتسب، يبلى جميع جسدِه، فتنعدم بالكلية أجزاؤه كلها إلا عجْبُ الذنَب، فإنه كما وردَ: لا يبلى. وهو مثل حبة الخردل، منه يركَّب الخلق يوم القيامة، ومحله أسفل الصلب، عند رأس العصعُص، يختص بالإنسانِ، كموضع الذّنَب من الدابة.

ولا خلاف في بقاء النفس والروح بعد الموت إلى قيام الساعة، وإن بعُد قيام الساعة، فالأظهر بقاؤها أيضاً. وروح المؤمن بعد موته في عليين، ولها اتصالٌ بجسده في قبره، ولذلك يسمع السلامَ، ويفهم الكلام. وورد في أثرٍ: أنها في بئر زمزم، فإن صحّ فلعل لها اتصالاً بعليين. وأما روح الكافر فإنها في سجّين، ولعل لها اتصالاً بجسَدها، وجاء في أثرٍ: أنها في بئر برهوت بحضرموت، فإن صحَّ فلعل لها أيضاً اتصالاً بسجِّين.

ويجب الإيمان أيضاً بفتنة منكَر ونكيرٍ «**بعد**» الموت، «**والسؤال**» الواقع منها للعبد، فيرد عليه من الحياة ما يفهم به الخطاب، ويرد به الجواب. وإن كان غريقاً وأكلته الدواب، فيسألانه عن بعض العقائد أو كلها، من التوحيد، وعن نبيه، وما دينه؟ فيثبت الذين آمنوا بالقول الثابت، ويضل الله من يشاء. ومنكر ونكير شخصان فقط، وقيل: يتعددان. فعند كثرة الأموات يُبعث إلى كل ميتٍ اثنان، وأما على الأول: فيخلقُ الله لهما قوةً على سؤال الموتَى المتفرقين في أقطار الأرضِ في آن واحدٍ، والله أعلم. وهما هائلا الخِلْقة. قيل: للكافر. وأما المؤمن؛ فيأتيانه بأحسن صورةٍ، في أحسن هيئة. ويندبُ تلقين الميت. فقد قيل: إن الميت إذا لُقّن قالَ أحدُهما لصاحبه: اخرج بنا من عند هذا، فما نصنع برجُل قد لُقّن حجته.

قيل: والسؤال خاصٌّ بهذه الأمة، إذ لم يكشف الله أحوالهم قبل الموت بوحْيٍ ولا غيره، كالأمم قبلهم، فأخّر إلى ما بعد الموت والدفن ستراً لهم. وقد ورد في الأحاديث: استثناءُ جماعةٍ لا يسألون، كالنبي، والصديق، والشهيد، والمرابط، والمبطون، وميت الجمعة، أو ليلة الجمعة. والميتُ بالطاعون، أو في زمانه، صابراً محتسباً، وملازم قراءة تبارك الملك في كل ليلة، وألحق به بعضُهم: سورة السجدة، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] في مرضِه لحديثٍ ورد بذلك. وجزم بعضُهم باستثناء غير المكلَّف، من صبي، ومجنونٍ، وأبله. وأن الجنَّ يسألون، والله أعلم.

ويجب الإيمان أيضاً بقيام الساعة، والنفخة الأولى في الصُّور، فيموت أهل السماوات والأرض كلهم، ويهلكُون، ولا يبقى إلا وجه الله تعالى. وقيل: إن أهل الجنة لا يموتون. وقد تقدم الكلام في بقاء الروح، وورد: أن آخر من يموت إسرافيل، وأنه أول من يبعث فينفخ في الصور النفخةَ الثانية، فيبعث الله بها كل ميتٍ، وتعود كل روح إلى جسدها، وبين النفختينِ، كما جاء في الحديث، أربعون عاماً.

***

٣١- ونشرٍ بعدَه حشرٌ وعرْضٌ ومكتوبٌ بيُمْنى أو شمالِ

فيجب الإيمانُ ببعث جميع العباد، «ونشْرٍ» لهم من قبورهم بعد إحياءِ جميع أجزائهم الأصلية التي من شأنها البقاءُ من أول العمر إلى آخرِه. فترجع كل روحٍ إلى جسدها، ويعود كل عضو انفصلَ في الحياة، من جلدةِ الختان وغيرها، والألوان والأعراض التي كانت في الحياة.

[الحشر]

و«بعدَه» أي: النشر، «حشرٌ» لهم. وهو اثنان:

الأول: سَوقُهم من قبورهم إلى محشرهم لفصل القضاء بينهم، ولا فرقَ في ذلك بين من يحاسب، كالمكلف وغيره، كالبهائم. وأما السقطُ فإن نفخَ فيه الروح بعِث، وإلا فلا. وأول من تنشق عنه الأرضُ: نبيُّنا محمدٌ ﷺ، فهو أول من يبعث، وأول من يرِدُ المحشر، وأول من يشفع، وأول من يدخل الجنة. قيل: وأول من يكتسَى. وقيل: إبراهيم. ومراتب الخلق في الحشر متفاوتةٌ لتفاوت أعمالهم، فمنهم الراكبُ والماشي، ومنهم الزاحف، ومنهم من يسحب على وجهه.

والثاني: صرفهم من المحشر إلى الجنة أو النار.

وفي الدنيا حشرانِ أيضاً، **أحدهما:** إجلاؤه ﷺ اليهودَ من المدينة إلى الشام. **والثاني:** حشر الناس بالنار التي تخرج قرب قيام الساعة.

ويجب الإيمان أيضاً بما يكون في الموقف من الأهوال العظيمة، كطول الوقوف بعد المحشر. قيل: إلى ألف سنةٍ. وورد: أنه يخفَّف على المؤمن حتى يكون كساعة لطيفةٍ، بقدر الصلاة المكتوبة. وكالشدة، ودنوِّ الشمس من الناس، وإلجامهم بالعرق حتى يبلغ آذانهم، ويذهب في الأرض سبعين ذراعاً.

[عرض الكتب]

وبعد عرضٍ لهم على الله تعالى «**وعرْض**» أعمالهم عليهم، مكتوبةً في الصحف التي كتب فيها الملائكة ما فعلوه في الدنيا. وورد: أن الريح تطير بها من خزانةٍ تحتَ العرش، لا تخطئُ صحيفةٌ عنقَ صاحبها. لكن جاء في حديث آخَر: أن الملائكة تناولها للعباد. وجُمع: بأن الملائكة تأخذُها من الأعناق وتضعها في الأيدي.

وورد أنه لكل عبدٍ «**مكتوبٌ**» أي: صحيفة واحدة، يجمع فيها جميع ما في صحف الليالي والأيام، بعضها ببعضٍ. فتصير واحدةً، فيعطاها «**بيُمنى أو شمال**»، فالمؤمن الطائع يأخذ كتابه بيمينه، من بين يديه. والكافرُ بشماله، من وراء ظهره. وكأن الحكمةَ في ذلك: أن المؤمن أقبلَ على الحق بوجهه، وأخذه بصدقه وقوته. والكافر بضد ذلك، فعومل كل منهما باللائق بحاله. وأما الفاسقُ؛ فجزم بعضهم: بأنه يأخذه بيمينه. قال: وهو المشهور. فقيلَ: يأخذه قبل دخول النار، ويكون ذلك على عدم الخلود فيها.

والظاهر: أن كلاً يقرأ كتابه، ولو كان أمياً، في الحياة الدنيا. وقيل: يقرأ للمؤمن كتابُ حسناته، لقوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩]. ثم إن الظاهر أيضاً: أن القراءة حقيقيةٌ، وقيلَ: مجازيةٌ، عبارة عن علمِ كلِّ أحدٍ بما له وما عليه، والله أعلم.

[الحساب]

وبعد ذلك يكون الحسابُ، وهو: توقيفُ الله العبادَ قبل انصرافهم من المحشر على أعمالهم المكتوبة في الصحف المذكورة، قولاً كان أو فعلاً، واعتقاداً خيراً أو شرّاً، تفصيلاً إما بأن يخلقَ الله في قلوبهم علماً ضرورياً بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب، أو بقراءة الصحف، أو بكلامه سبحانه لهم، فيسمعون كلامه القديم، أو صوتاً يدل عليه، يخلقه الله، بحيث يسمعه العبدُ، وكيفية ذلك مختلفة باختلاف الناسِ.

ويكون ذلك للمؤمن والكافر، إلا من ورد الخبرُ باستثنائهم، كالسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ، وهم الذين لا يرقُون، ولا يسترقون، ولا يكوون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون. وورد: أن منهم أبا بكرٍ الصديقَ، وعكَاشة بن محصن الأسدي، وأن مع كل واحدٍ من السبعين ألفاً سبعين ألفاً. قيل: ولا يعطون هؤلاء كتبَ أعمالهم؛ لأنه مقدمة الحساب، والله أعلم.

[الميزان]

وينصب ميزانٌ توزن به الأعمال. والمشهور: أنه آلةٌ حسية واحدةٌ لجميع الأمم، ولجميع الأعمال. وقيل: يجوز أن يتعددَ، ولا يكون في حق أحدٍ؛ لأن من لا يحاسب لا يوزن له، وجاءت أحاديث في صفته، وجوهره، وكيفية الوزن به، وصنجه مشهورة مذكورةٌ في المطولات. وأما الموزون به، فقيل: الصحف. وقيل: الأعمال بعد تصوّر الأعمال الصالحة بصور حسنة نورانيةٍ، والأعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية، والله أعلم. وفائدة الوزن: علم العباد بمقدار ثوابِ المقبول من الأعمال الصالحة، وعقاب غيرها. وأن تقع النصَفةُ بين الظالم والمظلوم، ويظهر خزيُ الكافر وسرور المؤمن.

* * *

٣٢- مناقشَةٌ وتفتيشٌ ويُسْرٌ   وتشفيعٌ بفَضْلٍ في خصَالِ

وفي الحساب والوزن، تكون «**مناقشةٌ**» لبعض العصاةِ، «**وتفتيشٌ**» عليه. وفي حديث: إن من نوقش عُذِّبَ. «**ويسرٌ**» أي: تيسيرٌ لبعض المؤمنين، وهو مجرد العرض. قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الإنشقاق: ٨]. فيجازي الله أهل الأعمالِ السيئة، إن لم يغفرها، بمثلها، والحسنة يضعّفها إلى عشرة أضعافٍ، إلى أضعاف كثيرةٍ، لمن شاء، بفضله وبرحمته.

وتكون يومئذٍ شفاعةٌ للرسل، وخواص أتباعهم، والملائكة. وأول من يشفَع: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء. **«وتشفيعٌ»** لهم **«بفضل»** من الله، إذ لا واجبَ عليه تعالى، ولا يشفع عنده إلا بإذنه. فأول شافعٍ، وأول مشفَّعٍ، كما مرَّ: نبينا محمد ﷺ.

والشفاعة تكون **«في خصال»** كثيرةٍ. فبعضها يختص به ﷺ، كالشفاعة العظمَى، للإراحة من طول الوقوف. وإدخال قوم الجنة بغير حساب، وفي إخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. قيلَ: وتختص به أيضاً الشفاعةُ فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلَها، وفي زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، ولمن مات بالحرمين، ولمن زاره محتسباً، ولعمه أبي طالبٍ وأبي لهبٍ في تخفيفِ العذاب، ويشاركه غيره من الشافعين في غير ذلكَ، كإخراج الموحّدين من النار، وفي جماعة من المؤمنين ليتجاوزَ عنهم تقصيرهم، وفي أطفال المشركين أن لا يعذبوا.

* * *

٣٣- ومــرُّوا فـوقَ نــارٍ في صراطٍ فذُو الخسْــران يهوِي لانْخِزالِ

وبعد ذلك **«مرّوا»** أي: الخلق، المفهومون مما تقدمَ. وظاهرٌ: أن المراد المكلفون، أو جنسَهم. **«فوق نارٍ»** عظيمة، ولذلك نكَّرَها. وهي نار جهنم، أعاذنا الله منها. والمرورُ المذكور هو المرادُ بالورود، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]. على المشهور. وقيلَ: المراد به غير ذلك.

[الصراط]

ويكون المرورُ **«في صراطٍ»**، تنكيره لما تقدمَ. وهو في اللغة: الطريق؛ لأنه يصرُط الناسَ، أي: يبتلعهم. والمراد به هنا: الجسرُ الممدودُ على متن جهنم، أدق من الشعر، وأحدّ من السيف. ووردَ: أن قدْر مسافته ثلاثة آلاف سنة، ألف سنةٍ صعود، وألف سنة استواء، وألف سنة هبوط، وإن فيه سبعَ عقباتٍ، وأنهم إذا توافوا

عليه قيلَ للملائكة: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]، وإن الناس يحبَسُون على عقباته للسؤال.

وورد: أن جبريل في أوله، وأن ميكائيل في وسطه، يسألان الناسَ: عن أعمارهم فيما أفنوها؟ وماذا عملوا؟. وفي حديث: «فأكونُ أنا وأمتي أولَ من يجوزه، ثم عيسى وأمته، ثم موسى وأمته. يدعون نبيّا نبيّاً، وآخرهم نوحٌ وأمته، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسلُ، ودعواهم يومئذٍ: اللهمّ سلّم سلّم».

ومرور الناس عليه مختلفٌ، فمنهم من يمرُّ كالبرق الخاطف، وبعدهم كالريح، وبعدهم كالطير، وبعدهم كالجوادِ، ثم سعياً، ثم حبْواً. ومنهم من تسُوخ رجلاه في النار، وتتعلقُ يداه. ومنهم من يخرُّ على وجهه، فذو الخسران من أهل الكفر والعصيان: يهوي على وجهه في جهنم، «لاتخزال» أي: انقطاع له لأن في جهنّم تحتَ الصراط كلاليبُ تخطِف الناس.

***

٣٤- وينجُو بعدُ ذو التَّوحيد منْها   وأهلُ الكفْر في خُلْدِ النكَالِ

«**وينجو بعدُ**» أي بعد المرور على الصراط، جميع المؤمنين. فأما أهل الطاعة فإنهم ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١]. وأما أهل العصيان، الذين أراد الله تعذيبهم، فإنه يخرج «**ذو التوحيد**» أي: كل من مات على التوحيد، لا يشرك بالله شيئاً، ولو كان توحيدُه مثقالَ ذرة من الإيمان منها، بعد أن يمسّه من العذاب ما شاء الله، فلا يخلد في النار مؤمنٌ. وورد: أن آخرَهم من يخرجُ على رأس ألف سنة.

«**و**» أما «**أهل الكفر**» فهم باقون فيها أبداً سرمداً «**في خلد النكال**»، وأنواع العذاب، في النار التي الآنَ موجودةٌ. فقيلَ: تحت الأرض السابعة. وقيلَ: تحت البحر. وهي سبعُ طبقاتٍ، لكل طبقة بابٌ. فهي ﴿سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ

مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]، بانقسام الأعمال. أعلاها: جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وورد: أن بابَ كل طبقة من داخل الأخرى، وقودُها الكفار والأندادُ المعبودة من دون الله، حتى الشمس والقمر.

وأما عيسَى ﷺ؛ فإنه يشبّه به شيطانٌ، كما في حديثٍ، فيكون نكالاً لمن عبدَه. وفي الأحاديثِ: أن في النار من الحيات والعقارب والأودية والجبالِ والزبانية وغير ذلكَ، ما يطول تفصيلُه، فيطلَب من المطولات. وأن أسفلها بردٌ، وأنه أشدّ من حرها، وهو الزمهرير. وأن شدّة البرد وشدَّة الحرِّ نفَسان من أنفاسِها، وأن نار الدنيا هذه منها، بعدَما طفئت مرات، ولولا ذلك لما انتُفعَ بها، وأنها لتدعو الله سبحانه أن لا يعيدَها فيها.

***

٣٥- وذو الإيمانِ في جناتِ خُلدٍ   وتسليمٌ لربِّ ذي الجلالِ

«و» أما «ذو الإيمان» فإنه يخلد «في جنات خلدٍ» أيضاً، إذ هي دار الثواب التي أعدّها الله لعباده المؤمنين. إما من أول مرةٍ، وإما بعد الخروج من النار، والأصح: أن أطفال المشركين من أهل الجنة، وأن أهل الفترة، موقوفٌ أمرُهم وعلمهم إلى الله. والجناتُ سبعٌ أيضاً، فوق السماء السابعة، تحت العرش. وصحَّ: أن أعلاها وأفضلها الفردوسُ، ومنها تفجَّر أنهار الجنة، ثم تليها جنة المأوى، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، ثم جنة عدْنٍ، ثم دار السلام، ثم دار الجلال. وقيل: علّيُّونَ.

وورد: أن أبوابها ثمانيةٌ، منها: باب الريّان، يدخل منه الصائمون. والأصحّ: أن الجنانَ موجودةٌ، وأنها التي قد أحلها الله آدمَ وحواء قبل الهبوط إلى الدنيا. وورد: أن فيها من النعيم في القصور، والغلمان والحور، والأنهار والأشجار والأثمار، ما لا يحيط به وصفٌ، ولا يستقصيه بيانٌ، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً﴾ [السجدة: ١٧].

[رؤية الحق تعالى]

فلا يزال أهلُ الجنة في تكريمٍ، بأنواع الكرامة، وتنعّم بأنواع النعيم، لا يستمعون فيها شيئاً من لغوٍ ولا تأثيم، إلا «تسليم» الملائكة والربِّ الرحيم، ولهم زلفى عند ربهم «ذي الجلال»، برؤيتهم له تعالى، إتماماً للنعيمِ، بالنظر إلى وجهه الكريم بالأبصار، من غير إحاطة ولا كيفيةٍ، لما جاء في الآيات والأخبار، المشهورة بل المتواترة، ولا يلزم منها حتميةٌ ولا جهةٌ ولا حصرٌ، كالعلم به تعالى، بجامع الإدراكِ.

هذا في الآخرة؛ وأما في الدنيا: فهي ممكنة عقلاً، لكنها لم تقع شرعاً، إلا لنبينا محمدٍ ﷺ، فقد رأى ربَّه ليلة المعراج بعين رأسه. وأما رؤيته تعالى في النوم، فهي جائزة اتفاقاً، ولو في صورة جسمانيةٍ؛ لأن ذلك لا ينافي التنزيهَ، لأنه من لازم الرؤيا غالباً.

* * *

واعلم أن جميعَ ما تقدم من المسموعات، من أشراط الساعة وما بعدها، إلى هاهنا، من الممكنات الشرعيات، التي جاءت بها الأدلة السمعيات المرعيّات. فما كان من اليقينيات القطعيات، فيجب اعتقادُها كما جاءت، إجمالاً في المجملات، وتفصيلاً في التفصيلات. وأما الظنياتُ، التي لم تتواتر بها الأخبار؛ فينبغي حسن الظن بها، وعدمُ تكذيبها؛ لأنها تابعةٌ لأصولها، داخلة في إجمالها وفصولها، في العقائد، وكذلك في الفروع الفقهية. فإن الفروع الظنيةَ المختلفَ فيها، داخلةٌ بالعموم في الأصول المتفَق عليها، المحفوظة بالأدلة الشرعية، فليست من اتّباع الظن في شيءٍ.

واعلم أنه ﷺ بُعثَ بجوامع الكلِم، وصار من أعظم نعم الله على أمته المحمدية، في ملّته الأحمدية، الإجمالُ والاختصارُ. فإنهم لو كُلِّفوا بالتفصيل والبسط، لم يقدروا عليه. فمنه: اختصار الدِّين كله في الشهادتين، كما مرَّ، فلذا اكتفى بهما في وجود الإسلام. ومنه قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ

أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، إلى آخر الآية. فاكتفى به في الإيمان بالقرآن وغيره من الكتب السابقة، فالبسط الذي في الآية تفصيلٌ لما في الشهادتين، والقرآن شرحٌ لذلك، والسنة شرحٌ للقرآن، وكلام العلماء شرح للسنة، والله أعلم.

* * *

٣٦- وإنا أمة خُصَّتْ بسَترٍ وأعمالٍ وتخفيْفِ الثقَالِ

«**وأنا أمةٌ**» مرحومة برحمة نبيها، فإنه نبي الرحمة؛ لأنه أرسل بها. «**خُصّت**» من بين الأمم «بسترٍ» لقبائحها، وصَونٍ لفضائحها، إذ قبضَ الله نبيَّها قبلَها، فجعله فرطاً لها، وشفيعاً لها، وجعله خاتم النبيين، فلم يبعَث بعده نبيٌّ يظهر بالوحي إليه بواطن أمور أمته، وخفايا أسرارهم، فهي تحت ستر الله، والإقرار بدينه، حتى يلاقوه، فتظهر أسرارهم في كفرهم وإيمانهم عنده. قيلَ: ولذلك خُصَّ سؤالُ القبر بهذه الأمة، كما تقدم. ومن ذلك: أنهم خصّوا بأسباب «وأعمالٍ» يحصلُ لهم بها وقوعُ تكفير للذنوب.

فمنها: أن «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفراتٌ لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

ومنها: أن الحج واجتناب الكبائر، أو مع التوبة منها، يكفِّر الصغائر، لقوله تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ [النساء: ٣١]. ومنها: الأمراض والأحزان، والنقائص في الأبدان والأموال، مكفراتٌ لذلكَ، فكل من المذكورات، وغيرها مما ورد، صالحٌ للتكفيرِ، فإن وجدَ ما يكفره من الصغائر كفّره، وإن صادف كبيرةً، أو كبائر، فالمرجوُّ من كرم الله أن يخففَ بذلك منها، وإن لم يكن ذنبٌ صغير ولا كبيرٌ، لسبق ما يكفره، أو عدم وجوده، فيكتب للعبد بذلك حسناتٌ، وترفع له درجاتٌ.

وليس المراد: أنه مع الكبائر لا يُكفَّرُ شيءٌ، بل إن الكبائر لا يكفرها إلا التوبة، أو فضلُ الله. وسيأتي: أن المتعلقَ بحقوق العباد لا يسقط بحالٍ.

ومن ذلك: ما ورد من «**تخفيف الثقال**» عنهم، من الإصْر، والأحكام الشديدة التي كانت على الأمم السابقة، كالتوبة بقتل النفس، وقرْض النجاسة، بالضاد المعجمة، وافتضاح من ارتكب ذنباً مستتراً، وغير ذلك.

* * *

٣٧- بخيرِ الخلقِ ختْمِ الرسْـل فُزْنا   وحُزْنـا الفضْـلَ في كلِّ المحَـالِ

ومن ذلك: أنه سبحانه جعلنا خير أمةٍ أخرجتْ للناس.

وخصّنا «**بخير الخلق**» كلهم وأفضلهم، «**ختم الرسل**» والأنبياء، أي: خاتمهم، فلا نبيَّ بعده. فبه ﷺ «**فزْنا**» أي: حصل لنا الفوز في الدنيا والآخرة به. وبه «**حزْنا الفضلَ**» العظيم، الشامل لكل تفصيل وتكريم. «**في كل المحال**» بتخفيفِ اللام للضرورة، أي: في كل موطنٍ من مواطن المعاش والمعاد، فإنه ﷺ، كما تقدّم، أفضلُ الخلقِ، وأمته أفضَلُ الأمم، وخصّوا من بين الأمم بخصائصَ كثيرةٍ، منها: أنهم يوم القيامة شهداءُ على الناس، وهو عليهم شهيدٌ.

* * *

٣٨- لـه المعـراجُ والمسْرَى بجِسْـمٍ   ويعْطى الحـوضَ ذا الماءِ الزُّلالِ

كما خصَّ ﷺ بما لا يعدّ ولا يحصى كثرةً من الفضائلِ والمعجزات.

فمنها: أنه «**له المعراجُ والمسْرى**»، فإن ظاهر الأحاديث: أن ذلك مخصوصٌ به. وقيلَ: لكل نبيٍّ معراجٌ. والمراد: الإسراءُ به من المسجد الحرام إلى الأقصى، كما في نص الكتاب العزيز. ثم المعراجُ به من المسجِد الأقصـى إلى السماء وإلى الجنة، والمستوى،

والعرش. كل ذلك **«بجِسْمِـ»ـه** ورُوحه، وردتْ بذلك أحاديث كثيرةٌ، وإن نقلت آحاداً، فمجموعها متواترٌ مقطوعٌ به. وفي بعض الروايات: أنه ﷺ ركب البراقَ، وأنه ﷺ صلَّى بالأنبياء في المسجد الأقصى، وغير ذلك.

ومنها: أنه يعطى مقام الحمد يوم القيامة، وهو الشفاعة العظمى في إراحة الناس من الموقف، بعد أن يلتجئ الخلق لطلبِ الشفاعة إلى أولي العزم من الرسل، واحداً بعد واحدٍ، وكلٌّ يحيل على من بعدَه، حتى ينتهوا إليه ﷺ. فيقول: أنا لها. فيقومُ، فيحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ويشفَعُ فيشفّع، ويحمَدُه الأولون والآخرون، فسُمّيَ مقام الحمد لذلك. **«ويُعطى الحوضَ ذا الماء الزلالِ»**، إذ رويَ: إن ماءه أبيضُ من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وأنه مسيرة شهرٍ، وزواياه سواء. وكيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً. وما وردَ مما يخالف ذلكَ، فمؤوّلٌ، أو محمول على ذلك.

* * *

٣٩- وشرعٌ ناسِخُ الأديـانِ سـمحٌ ... خَـلا عـنْ كُلِّ لبْـسٍ واعتقَـالِ

«و» منها: أنه ﷺ له **«شرعٌ»** عظيم، وهو ما شرعه الله من الأحكام، فإنه ﷺ بعِثَ بالدين الحنيف، أي: المائل عن كل دينٍ إلى الحق، المشتمل على ملة إبراهيم، وهو شرعه الذي يملى عنه من الأحكام، كالحج، والأضحية، والضيافة، وخصال الفطرة.

وشرعُ نبينا مخصوصٌ بأنه **«ناسِخُ الأديان»**، كلها فلا يقبل دين غيره من أحدٍ.

وأنه دينٌ **«سمحٌ»** أي: سهلٌ واضحٌ، ما فيه حرج ولا عوج. **«خلا عن كل لبْسٍ»** أي التباس في أحكامه، واشتباه في أقسامه، **«واعتقَالِ»** في علمه، وارتكاب في فهمه. فأصوله ثابتةٌ بالأدلة القطعية، محفوظة بالواردات الشرعية، وفروعه ظاهرةُ المراد، جارية على وجه السداد، واضحةٌ من أهل الاستعداد والاجتهاد.

وأما الاختلاف الذي يقعُ بين المجتهدين في ذلك، فإنه رحمة للعباد، ورفق بهم في التقليد والاعتماد. وهو في أشياء تابعة، وفروع متتابعة، لها أوجه دقيقةٌ، فكأنه لا خلاف في الحقيقة. فالشريعة المحمدية كلها واضحة بيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ، محفوظة بالنقل، مقبولة بالعقلِ، كل ما خالفها مردودٌ، وكل طريق سواها مسدودٌ.

***

٤٠- محَا أحكامَ تنجيمٍ ورَمْلٍ وكُهّانٍ وأوهَامِ الخيالِ

وقد «محا» حكمها جميع «أحكام» الضلالة، وعلوم الجهالة، المكتسبة من نحو «تنجيمٍ»، وهو: الاستدلال بأوضاع النجوم، واختلاف أحوالها، على ما سيحدث في العالم. فإنه وإن قيلَ: إنه أنزلَ على بعض الأنبياء، وأنه قد يكون فيه تجربة صحيحة، فإنّ أكثره وهمٌ وتخمينٌ، ورجمٌ بالغيبِ، في ضلال مبينٍ.

«و» كذلك ما يستخرج من «رملٍ» أي: علمُه، وهو خطوط وأشكالٌ تركب على وجه مخصوصٍ، ليستدل بها على مطالبَ مخصوصةٍ. فإنه أيضاً، وإن صحَّ نسبته إلى بعض الأنبياء، فالطريق إلى ذلك المنسوبِ لا وجودَ لها، وموافقته لا وصول إليها، وهو تقليدٌ محضٌ، ورجم بوهمٍ مجرَّدٍ، لا يعرف أصابَ أو أخطأ!.

«و» مثله: ما ينقل عن «كُهّانٍ»، وهو ما يخبرون به عن الجنّ، إذ يوحون إليهم بذلك عما يسترقونه من السمع وغيره، فإنه وإن فرضَ أن الجنيَّ يسمعُ كلمةً صدقاً، فقد يضيف إليها مئة كذبةٍ؛ لأنه لا ثقةَ به، ولا بمن يخبر عنه، ولا يتميز معه الصدق من الكذب.

ومثل ذلك: ما يقوله العرّافون مما يخبرون به عن مغيَّباتٍ، ويزعمون معرفة ذلك بقرابين وتفرساتٍ، فإن ذلك من تهويسات الباطل، «وأوهام الخيال»، وعلوم

الضلال، فإن الخيال يوسوسُ على العقل، ويشغّب عليه. وقد قيل: إن المشار إليه بحديثِ: «**إن الشيطان في الرأس**»، وحديث: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**». فجميع ما ذكر من التنجيم وما بعدَه محرَّمٌ، منهي عنه، وعن تصديق أهله؛ لأن أكثرُهُ كذبٌ وزورٌ، فقد يوقع في تهويساتٍ وغرورٍ لا غاية لها، يورث فتناً وشروراً لا نهاية لها، وقد أكمل الله لنا ديننا بالحقّ والنور، وأغنانا عن جميع ذلك في جميع الأمور.

* * *

٤١- فبِالقُرآن والآثَار يسْمُو وهَـدْي الصحْبِ أقـمارِ اللياَلي

ولم يزل شرعُنا مؤيَّداً بالأدلة الشرعية القطعية، «**فبالقرآن**» العظيم العزيز، «**و**» السنة «**الآثار**» أي: المأثورة عن النبي ﷺ، من قوله وفعله وإشارته وتقريره، «**يسمُو**» أي: يرتفع عن كل نقصٍ وريبٍ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فإن القرآنَ محفوظٌ، مقطوعٌ بما فيه، والسنة كلها وحيٌ يوحَى، معلومةٌ مضبوطة في كتب الحفاظ والنقاد الأيقاظ.

وكذلك يسمو دينُنا أيضاً بسنةِ «**وهدْي الصّحْبِ**» جمع صاحبٍ، وهو من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً وماتَ على ذلك. فإنهم هم الذين نقلوا الدين إلينا، وحفظوه علينا. وقد جاء عنه ﷺ: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**». فهم في اهتداء الناس بهديهم، في التشبيه، مثلَ «**أقمار الليالي**» في الليالي المظلمة، وقد زكّاهم الله في آياتٍ كثيرةٍ، ورَضِيَ عنهم، ومن قدحَ فيهم فقد قدح في الدين؛ لأنهم حملتُه، فيجب حسْنُ الظن بهم، وتأويل ما جرى بينهم، وأولى منه تركُ ذكره؛ لأنهم قدوة الأمّة.

* * *

٤٢- خصُوصاً عـن أبي بكـر فَثَـانٍ فعثمـانَ فتَـالٍ ذي المعالـي

«**خصوصاً**» ما جاء عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور بالاقتداء بهم، والاتباع لسنتهم. مثل أفضل الأئمة، بل أفضل الناس بعد النبيين «**أبي بكرٍ**» الذي لقبه النبي ﷺ بالصديق، أول من آمن به من الرجال الأحرار.

«**فثانٍ**» له في الفضل والخلافة بعدَه، الذي لقبه النبي ﷺ بالفاروق، عمر بن الخطاب. «**فعُثمان**» هو ابن عفان، ذو النورين، صهر النبي ﷺ على ابنتيه رقية ثم أم كلثوم، رَضِيَ الله عنهم، فإنه يتلو عمر في الخلافة.

«**فتَالٍ**» له أيضاً فيهما، علي بن أبي طالب، ابن عم النبي ﷺ، وصهره على ابنته فاطمة الزهراء «**ذي المعالي**» الكثيرة، والفضائل الشهيرة.

فإنهم أعلامُ الدين وأئمة المسلمين، قد بسطوا بساط الفضل على الأنام، ونشروا [أعلام العدل على جميع][1] الأعلام، رَضِيَ الله عنهم، وعن جميع صحبه ﷺ.

❋ ❋ ❋

٤٣- وأهلُ العلم فينا قد أُقِيمُوا مقام الأنبيا داعٍ وتالِ

والصحابة رَضِيَ الله عنهم وإن انقرضوا، فما انقرضت آثارهم، ولا انطمست أنوارهم، فإن هذه الأمة خصّت بالإسناد في الأحاديث. «**و**» إنّا معشر الأمة المحمدية، «**أهلُ العلم**» من الحفاظ المتقنين، والفقهاء المتفنّنين، والجهابذة المتقين، لم يزالوا «**فينا**»، وقد حفظوا علينا هذه الشريعةَ من كل تدليسٍ، ونزهوها عن كل تلبيسٍ، وفرّعُوها في كل تأصيل، وفصَّلوها أبلغ تفصيل.

فإنهم «**قد أقيموا**» في هذه الأمة «**مقامَ الأنبياء**»؛ لأن العلماءَ ورثة الأنبياء، فبعضهم «**داعٍ**» إلى الله بحاله ومقاله، لأنه وارث للرسل. وبعضُهم «**تالٍ**» أي: تابع له في ذلك، لأنه وارثٌ للأنبياء، ولا يقدح في ذلك انقطاع الوحي بموته ﷺ.

---

(١) لم يرد في النسخة الأصل.

فإن القرآن العظيم لم يزل وحياً مستمراً في تفصيل كل شيء، باستخراج العلماء لغرائبه، وفهمهم لعجائبه، كأنه يوحى إليهم، فبذلك لم يقع في هذه الأمة فترةٌ كغيرها من الأمم. ولا تزالُ منهم طائفة عاكفينَ على الحق، ظاهرة به، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وربما يتوهّم بكثرة الأنبياء في بني إسرائيل تفضيلُهم على هذه الأمة، وذلك مدفوعٌ بما ذكرناه، من قيام علمائهم مقامَ الأنبياء، أي الأنبياء من غيرهم، وهم أضعافُ الأنبياء، مع سلامة هذه الأمة من افتضاحِهم بالوحي عند الأنبياء، والحكم بكفرهم، لتكذيبهم، كما مرّ.

***

٤٤- لتَجْديـدِ الهـدَى فـي كلِّ قـرنٍ ... ومنْــعٍ لاجـتمــاعٍ فـي ضَـلالِ

ولم يزل العلماء في كل عصر ومصرٍ، طبقةً بعد طبقة، بل لا بدّ وأن يبعث الله بعثاً «**لتَجديد الهدَى**» والدين، في كل قرن من القرون، أي مئة سنةٍ. لحديث: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة من يجدد دينها**»، وقد تكلمَ العلماء في ذلك، وعينوا على رأسِ كل قرنٍ عالماً واحداً، أو جماعةً. والمختارُ: عدم حصر ذلك في معيَّنٍ، فإنه يحتملُ أن يكون معه غيره. وأن يكون التجديدُ بالقول، كالعلم. أو بالفعل، كالجهاد. وأن يكون في الظاهر والباطن، والأصُول والفروع، فيقوم بذلك جماعةٌ متفرِّقون، في أمصار متفرِّقين، ليحصل بمجموعهم التجديدُ الكامل، كما هو ظاهرٌ.

وذلك التجديدُ لصيانة الله لهذه الأمة من الزَّيغ، «**ومنعٌ لاجتماعٍ**» منهم «**في ضلال**»، فقد صحَّ: أنهم لا يجتمعون على ضلالٍ.

***

٤٥- فـلا تحقِرْ ذوي الإسْـلامِ وازْجُر ... ذَوي الآثَـامِ عـن سُـوءِ الفعَـالِ

وإذا علمتَ فضل الله على هذه الأمة، وما خصهم به؛ تحققتَ أن أمر الإسلام عظيمٌ. «**فلا تحقِرْ**» أحداً من «**ذوي الإسلام**» وإن فحشتْ عيوبهم، وكَثُرتْ ذنوبُهم، فإن ربّك واسع المغفرة، وقد قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وفي حديث البطاقة المشهور، وحديث أبي الدرداء: فيمن قال لا إله إلا الله. وحديث الرجل الذي قال: لا إله إلا الله، فقتله أسامة. وقال: إنها قالها تعوذاً. وغيرها من الأحاديث الدالة على عظْمِ فضل كلمة الشهادة، وأنها لا يقوم معها شيء من الذنوب.

ولكن محلّ ذلك إذا أحسنَت خاتمةُ عمر العبد، بالموت على اليقين، والثبات على الدّين، فإن الغالبَ: أن من عاش على الطاعة واليقين، ماتَ على ذلك، ومن ثبتَ الإيمان في قلبه في حياته، ثبته الله عند موته. وأما من عاش منهمكاً في المعاصي، متبعاً لهواه، غافلاً عن الله وذكره، معرضاً عن طاعته وتفكره، فيخشى عليه سوء الخاتمة، بالموت على الكفر، لاستيلاء الشيطان عليه عند الموت. فلا يبقى له مع الكفر حسناً، ولا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً.

ومع حُسن الظن بالمسلمين، فأنكر عليهم في المعاصي، «**وازجر ذوي الآثام**» منهم «**عَن سُوء الفعالِ**»، بأن تنكر على كل من ارتكب منكراً مجمعاً عليه، أو اعتقد هو حرمته، بأن تمنعه منه باليد والفعل، ثم بالقول، ثم بالقلب، بشروطه المفصّلة في المطولات. وأما الجاهل، ومن يرتكبُ المختلفَ فيه، فإن إرشاده إلى الحق، والخروجَ من الخلاف، مندوبٌ إليه، وهو من التعليم، الذي نفعه عظيمٌ، وثوابه جسيم.

***

٤٦- لغيـر الشِّـركِ فيـه العفْـو يرْجَى ... وحـقُّ الخلـقِ لـم يسـقُطْ بحَـالِ

ومع زجرك لذوي الآثام فارجُ المغفرة بفضل الله لهم، «**لغَير الشركِ**» الذي هو الكفر، «**فيه العفو يرجَى**» من الله تعالى، فإنه ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ولكن «**حَقّ الخلْق**» أي مظالم العباد بعضِهم لبعضٍ، وتبعاتهم بعضُهم على بعضٍ، «**لم يسقُطْ بحال**» من الأحوال، لا عفو ولا غيره.

فلا بدّ من وصُول ذي الحق إلى حقه، فإن الله لا يظلم مثقالَ ذرةٍ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. وهو سبحانه وإن لم يكن عليه واجبٌ لأحدٍ، لكن ذلك ثابت بوعده ووعيده، فلا بدّ من القصاصِ، حتى يقاد للشاة الجلْحاء من القرناء، فيعطى المظلومُ من حسنات الظالم، فإن لم يكن فيجعلُ عليه من سيئاتِ المظلوم، فإن لم يكُنْ فيُرْفَعُ للمظلوم درجاتٍ، وإن شاء الله أرضَى المظلومَ بفضله فعفَا عن الظالم.

قال بعضُهم: وظاهرٌ أنه إذا جعلَ عليه من سيئات المظلومِ فلا يعذب بها، إلا إن كان سببها معصيةٌ، وأما من كان عليه دينٌ لم يعْصِ به، فإن الدَّين كذلك «**لم يسْقُط بحال**»، ولكن إذا جعلَ عليه من سيئاتِ غريمه لم يعذّب بها، بل تسقط عنه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، والله أعلم.

***

٤٧- ولا نحْكُم بكفرٍ في اشْتِباهٍ ... على مُبْدٍ لإسْلامٍ مُوالِ

وقد تقدّم: أن من دخل الإسلام فهو معصومٌ في دمه وماله وعرضه، وأن حرمة المسلم عند الله عظيمةٌ، وكرامته عليه كريمةٌ، فلا ينبغي لمن يخشى الله ويتقيه أن يتدنَّس بعرض مسلمٍ، أو يغصبه شيئاً من ماله، أو يلغ في دمه، خصوصاً بالتساهل في الفتوى، فقد ورد: «**أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار**»، خصوصاً في الحكم بكفر مسلمٍ.

«**ولا نحكُم**» أبداً في فتوى أو قضاءٍ أو غيرهما، «**بكفر**» على مسلمٍ ظاهره الإسلام، عند اشتباه الأحكام. فقد تقدم ذكر حديث أسامة، وقوله ﷺ: «**هلَّا شققْتَ عن قلبه**». وحديث: «**إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر، فقد باءَ بها أحدهما**».

فيخشَى على من يتساهل بالحكم على المسلمين بالكفر، أن يعود الحكم بالكفر عليه، لهذا الحديث. فينبغي الاحتياط، خصوصاً في اشتباه من الأحوال، واختلاف الأقوال فقد قيلَ: تركُ قتل ألف كافرٍ، أولى من إراقة محْجمةٍ من دمِ مسلمٍ بغير حَق، كما تقدم.

فلا نحكم «**على مُبْدٍ**» أي مظهر «**لإسلام، موالٍ**» للجماعة بالإسلام والسلامة، ولا ننقبُ على الباطنِ، ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]. ولكن لرحمة الله على هذه الأمة، ببعث نبي الرحمة، قد سترت أحوالهم، وجملت أعمالهم، ووُكّلت سرائرهم إلى العالم بما تكن قلوبهم وما في بصائرهم.

فلا نحكم على أحدٍ من أهل القبلة إلا بواضحٍ قاطع للإسلام، كنفي الخالق، أو اعتقاد حدوثه، أو قدم العالم، أو نفي ما هو ثابت له إجماعاً، كالعلم مطلقاً، أو بالجزئيات، أو إثبات ما هو منفي عنه إجماعاً كاللون، أو الاتصال بالعالم والانفصال عنه، كالحلول والاتحاد، أو نفي القرآن، أو حرف منه، أو نفي رسولٍ، أو نبي، أو تكذيبُه، أو تحليل حرامٍ، كالزنا، واللواط، وشرب الخمر، والميسر، أو تحريم حلالٍ، أو نفيُ واجبٍ، كسجدة من الصلوات الخمس، أو إثبات منفيّ، أو نفيُ مشروعٍ، أو إثباتُ غير مشروعٍ.

وكل ما ذكر من القرآن وما بعدَه، شرطُه أن يكون مجمعاً عليه، معلوماً من الدين بالضرورةِ عند المحكوم بكفره، ولم يحتمل خفاؤُه عليه. سواء قالَ ذلك، أو نواه، أو فعله اعتقاداً، أو عناداً، أو استهزاءً، أو غير ذلكَ، مما هو مبسوط في المطولات، والله أعلم.

وإذا تقرَّر أنّه لا ينكَر إلا على من ارتكبَ ذنباً مجمعاً عليه، واعتقد الفاعلُ حالَ فعله تحريمَه، فينبغي لك أيها المنكرُ أن لا تبادر بالإنكار، إلا إذا علمتَ ذلك، بأن كنتَ عالماً بأنه مجمعٌ عليه، كالزنا، أو أخبرك الفاعلُ بأنه معتقدٌ لتحريمِه حالَ فعله، كشرب النبيذ.

***

٤٨- ولا ننكِرْ على مدْلٍ بوجْهٍ لـهُ في الدِّينِ، أو مبدِي احتمالِ

«ولا ننكر على مدلٍ» إلى عمَلٍ «بوجْهٍ» قال به عالم ممن قوله حجّة، مثل ذلك، بأن كان له «في الدين» أصلٌ يرجع إليه من الكتاب والسنة، ولا فيه ضعفٌ، ولا مخالفةٌ، بحيثُ ينقض فيه قضاء القاضي، وكان قد قلده فيه، وعلمَ جميع شروطه في مذهبه.

فقال بعضُهم: ولو كان تقليده بعد العمل. إذا كان عند العملِ غير مستحضرٍ تقليدَ أحدٍ. قال: كما أنه لو رفع إلى حاكمٍ، فحكم به، صحَّ بلا تقليدٍ، فالتقليدُ أولى، وألحقَ بعضُهم فتوى المفتي، أو التزامُها بحكم الحاكم في ذلك، والله أعلم.

«أو مبدي احتمالٍ» بأن احتملَ تقليدُه أو جهلُه، فإن له حقّ الإسلام، فلا يحل عرضُه إلا بيقينٍ يبيحُه، وإذا خفي القولُ المختلف على العالم المخالفِ، فعلى الجاهلِ أولى، ويجب على كل مكلّفٍ تعلمُ ما يحتاج إليه في غالب الأحوال، من الفروع التي لا يندر وقوعها.

[التقليد]

ويلزم العاجزَ عن الاجتهاد التقليدُ في ذلك، فيأثم بترك تعلم قدَر عليه، ولو سفراً أطاقه، بما يعتبر في الحج، ويأثم بترك التقليد أيضاً، وإن قيل: إن العاميَّ لا مذهبَ له، فإن معناه: أنه لا مذهب له يلزمُه البقاء عليه.

وأما إذا عمل بلا تقليدٍ ووافقَ مذهباً معتبراً، فقال جمعٌ: لا تصح عبادته ولا معاملته مطلقاً. وقال آخرون: تصحّ مطلقاً. وفصّل بعضُهم، فقال: تصحّ المعاملة

دون العبادة، لعدم الجزم بالنية، ويظهر من عملٍ وكلام الأئمة: أن العاميَّ حيث عمل معتقداً أنه حكمٌ شرعي، ووافق مذهباً معتبراً، وإن لم يعرف عينَ قائلِه، صحَّ. ما لم يكن حالةَ عملِه مقلداً لغيره تقليداً صحيحاً، والله أعلم.

* * *

واعلم أنّ هذه الشريعةَ المحمدية، والملة الأحمدية، ذات مناهجَ كثيرةٍ، وفروع منتشرةٍ. وقد قيل: إن كل مجتهدٍ فيها مصيب. وعلى المختار: أن المصيب واحدٌ. والمجتهدُ الباذلُ وسْعَه إذا أخطأ معذورٌ، بل مأجور. وينبغي لمن قلّد مجتهداً أن لا ينتقل عن مذهبه أصلاً، للخلاف في ذلك. إلا لمقتضٍ دينيٍّ في رضا الله تعالى، وإلا فيُخشى أن يكون ممن باع آخرته بدنياه، ودينه بعرَضٍ دنيوي، إذا كان انتقاله لذلك.

* * *

واعلم أن الدِّينَ الذي يقرّب إلى الله تعالى، وينفع في المعاد، غيرُ ما ينتظم به المعاملة في المعاش، فإن علم الأحكام، المتعلق بظاهر الإسلام، لربط النظامِ، وتقييد العوام والطغام، حكمُه عامٌّ في عام، ولا شك أن العبادَ مختلفين في المعاش والمعاد في كل مقامٍ، ولا بد من علمٍ خاصٍّ لكل خاص، وهو محل نظر الخواص، في حقيقة التقوى وتحقيق الإخلاص، فإنه صراطٌ مستقيم، أدقُّ من الشعر، وأحَدّ من السيف.

فبالصدق مع الله في الإقبالِ والأعمال، يحصل اللطف من الله، فتنفتح عين البصيرة، وينشرح سرّ السريرة، فيحيا القلبُ بمعنى الدين،، ويمتلئ بنور اليقين ويبقى في بهجة ونور، وسرور وحبور، عند الموت وبعده، والأجساد في القبور، فيحصلُ الفوز العظيم والسيادة الأبدية، والقرب من الله والسعادة السرمدية.

فمن كان في هذه الدنيا على الهدى والتقوى، فهو في الآخرة أهدى وأقوى دليلاً، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٢]،

ولهذا فرغَ الصوفية إلى تصفية القلب، وتنزيهه عن العيوب، وتقوية اليقين، وتحقيق التوحيد والذوق في الدين، بعلمهم بأن القلبَ إذا صلُح صلح سائرُ الجسد، ولا يصلح شيء إن فسد.

فمن حقّ طالب الحق، أن يعتني بمعنى قلبه، وحاله مع ربه، ويغرس حق اليقين في عين سره ولُبِّه، ليستقر الإيمانُ عند الزلازل والعناء، ويثبت في حياة طيبة عند الموتِ والفناء، فاجتهد في ذلك.

* * *

٤٩-وصَفِّ القلْبَ عن شَكٍّ وغِشٍّ وعَن كِبرٍ وعجْبٍ واخْتيالِ

«**وصفِّ القلْبَ**» عن كل «**شكٍّ**»، بالنظر في الآيات القرآنية، والفكر في البينات البرهانية، وتقوية اليقين بذكر الله وطاعته، والتفكر في معاني ما جاء به رسوله، والتحفظ من إضاعته، والحذر كل الحذر من الميل إلى الشهوات والمعاصي، وليجتهد للنصح للمسلمين.

«**و**» تصفية القلب [عن] «**غشٍّ**» لهم في دين أو دنيا، وفي الحديث: «**من غشنا فليس منَّا**». فالمسلمُ أخو المسلم، أوجب الله عليه نصحه، فمَن غش أخاه فقد ضيع حقّ الله وحق أخيه في دينه، وصارت عليه معصية الله، وتبعةٌ لأخيه. ومن الغشّ: السكوتُ عند وجوب النطق، والمداهنة عند تحتم الصدق، والتوقف عند وضوح الحق، والتعنيف عند إمكان الرفق، ومن ذلك: الغيبة والنميمة، والجدال والمراء في الحق، والسكوت على ذلك، والرضا به، وغير ذلك مما يطول ذكره، ويعسر حصره.

«**و**» يجب تصفية القلب أيضاً «**عَن كِبْرٍ**» على المسلمين، وهو بطر الحق وغمط الناس، وتنكيرُه وما بعده للتهويلِ. فإن الكبر من أكبر الكبائر؛ لأن فيه منازعة للكبير المتعال، فإنه كما في الحديث: الكبرياء إزاره، والعظمة رداؤه. وفي الحديث: «لا يدخل

الجنةَ من في قلبه مثقال ذرة من كبر». وقد قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]. وقد قيل: ذرةٌ من كبْرٍ أفحشُ من قنطار زِنًا. وصحّ: أن الله يمقت أهل الكبر. فأما الترفعُ على أهل الكُفر والمعاصي لحقِّ الدينِ، مع احتقار النفس، فليس من الكبر. ومنه الأثر: «التكبر على المتكبر صدقة». ومنه: الأمر بعدم التواضع للأغنياء ونحوهم، بخلاف غيرهم، فالتواضع لله في عباده من طاعته. وقد قال بعض العارفين: من ازداد علماً ولم يزدد تواضعاً، لم يزدد من الله إلا بُعداً؛ وذلك لأنه دليلٌ على جهله بعيوبه، وغفلته عن ذنوبه.

«و» يجب تصفية القلب أيضاً عن «عُجْبٍ»، وهو رؤية العبادة واستعظامُها، وهو من الكبائر المفسدة للقلب؛ لأنه مضادٌّ للعبودية، من الخضوع، والاعتراف، ووجودُه في العبادة أدلُّ دليلٍ على فسادها؛ لأنه كمَن يدّعي الطهارة والنجاسةُ في ثوبه، أو السلامةَ والعلةُ في رأسِه، وهو أيضاً دليلٌ على العمَى عن العيوب، والإعراض عن الله، حيث ينسُب إلى نفسِه ما منَّ الله عليه به من طاعته، فأُعْجبَ به، وعصى الله تعالى بطاعته!.

«و» يجب تصفية القلبِ أيضاً عن «اختيالٍ»، من الخيلاء، وهو: الكبر والعجبُ بسبب الغفلة بالنعمة عن المنعم. والاغترارُ برؤية النفس، والعمى عن جلية الحق. ومنه: إسبالُ الإزار، وجَرّ الرداء للخيلاء، والتبختر في المشية، والنظر في العِطْفَين، وكل ذلك منافٍ للعبودية، ونزاعٌ للربوبية، وإعراض عن الحق. وفي الحديث: «**إن الله لا ينظر إليه**»، أي نظرَ رحمةٍ، ﴿ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

❊ ❊ ❊

٥٠- ولا تحسِدْ ولا تعمَلْ رياءً ... فإن الخمْسَ من داءٍ عُضَالِ

ويجب تصفيةُ القلب عن الحسَد والرياء. «**ولا تحسد**» أيها العبد غيركَ، فإن الحسد من الكبائر الموبقاتِ، المفسدات للدين، المشوشات للعيش؛ لأن الحاسدَ

منازعٌ لله في قسمة نعمته، وغير راضٍ بها، وداعٍ إلى فسادٍ، بطلب زوال نعمة أخيه بغير موجِبٍ، بل لخبثٍ شيطاني متولّدٍ من نار الحظّ الرديء، ويتولد عنه ما لا نهاية له من قولٍ وفعلٍ مذمومٍ، وكَيْدٍ، ونغَصٍ في العيش معلوم، فيجب الاجتهاد في زواله، والمجاهدة بالإعراض عن دواعيه، والكف عما يستدعيه، والتودد إلى المحسُودِ، فلعل نور المودّة يطفئ نار المضادّة!.

«**ولا تعمل**» أيها العبد «**رياء**» للناسِ، فإنه ذنبٌ عظيمٌ، وهو الشرك الخفيّ المحبطُ للعمل، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٦]. وقال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. والآيات والأحاديث من الأدلة الدالة على أنه من أكبر الذنوب، وأقبح العيوب المفسدة للطاعات والقلوب، كثيرةٌ شهيرة، فحقُّ المؤمن أن يجتهد في تحقيق إخلاصه، وكيفية سلامته من آفات الرياء وإخلاصه، وتقوية إيمانه من كل شكّ وريب، وتطهير قلبه من كل خبث من هذه الخبائث وعيب، لينشرح بالنور، وينفسح بالحبور، ويصفى جوهره، فيكون بيتاً لربّه، ومحلاً لقربه، فيمتلئ بالمعارف الربانية، والعوارف الإحسانية.

«**فإن**» هذه «**الخمْسَ**» التي هنّ: الغش، والكبر، والعجْبُ، والحسدُ، والرياء، أمهاتُ الأخلاق الذميمة. وهي «**من داءٍ عضال**»، أي: معضل عند أطباء القلوب، إذا تمكّنَتْ من قلبٍ لم يفلح أبداً، ولايزال يمدّها كل هوًى وشهوة، حتى يموت القلبُ بسببها، ويصير كالحجارة أو أشد قسوةً. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٤- ١٥]. وأكثر تولّدِها من مخالطة أهل الفضولِ، والنظر إليهم، والاغترار بهم في كل فعل وقول.

فإن أردت النجاةَ فاجتهد في توزيع أوقاتك على الطاعات، واعمر عمرك

بالفضائل والمهمات، واشتغل بما يعنيك في جميع الحالات، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، بالإخلاص في الأعمال في الخلوات والجلوات، واعتزل عن الأشرارِ، من المترَفين وأبناء الدنيا ذوي الاغترار، أسْرَى الهوَى والشهوات.

* * *

٥١- وعما ليسَ يعني خَلِّ واجْهَد بمـا يـعنيـكَ في كُلِّ امتثالِ

«وعَما ليس يعني» من قولٍ أو فعلٍ أو خلُقٍ أو رزقٍ «خَلِّ» وأعرض، فالخلق عبادُ الله، يصرفهم كيف يشاء فيما أراد، وقد غلب عليهم الجهل والعجز والقصور، في جميع الأمور، فإن شئت منهم غير ذلك فقد كلفتَهم فوقَ ما جُبلوا عليه.

وأما الرزقُ؛ فإنه بيد الله تعالى، وقد قدّره لكل دابة، وضمنه لك، فاهتمامك به دليلٌ على نقص عقلك إذا كانت الدواب مرزوقةً مع عدم اهتمامها، وعلى عدم الثقة منكَ بوعد الله تعالى، فحقُّ العبد الاعتناءُ بخدمة سيده وما أمره به، وعدم اهتمامه بما في كفالة سيده. وكيف لا يستحي من يهتم برزقه، ولا يثق بربه، ويرى عبيد أهل الدنيا واثقين بساداتهم في جميع مُؤَنهم في أوقاتهم! مع احتمال طروء وفاتهم وآفاتهم.

فينبغي لطالب الخير صونُ العمر القصيرِ، والوقت العزيز، عن قيلٍ وقال، وأفعال تعود إلى خيال أو خبال، وصرفه في صالح الأعمال.

فاجتهد «واجْهَد» جهدَك «بما يعنيك»، مما لك وعليك، وفيك وإليك، وأعرضْ عن الجاهلين، ولا تتبع سبيل المفسدين، واعمل بالحقّ حتى يأتيك اليقين، مخلصاً لله «في كل امتثال»، في دينٍ لاتباع الأمر واجتناب النهي، والحظ عبوديةَ الله في كل عبادةٍ، لوجه الله لا لطمعٍ في جنة ولا خوف من نار، وإن كان قصدُهما ابتغاءَ لرضا الله مقصوداً، فالشأن إخلاصُ الخواصِّ، وقصد وجه الله على الاختصاص، فكل شيء

من الله وإلى الله، فإن إلى ربك المنتهى. فلا تطلبْ جزاءً على طاعته، فإن طاعته من نعمته عليك، متوجبةٌ لشكره منكَ، ولا تعول إلا على رحمته، وفضله السابق قبل الوجود، المتواصل إليك بعده بكل جُود.

***

٥٢- فـلا تغـترَّ بالأعـمالِ واعمَـلْ لـوجْـهِ الله واطـلُـبْ للكَمـالِ

«**فلا تغتر با**»لاعتماد على «**أعمال**»، فإنه إن أفضل عليكَ ففضلُه كافٍ، وإن قابلك بعدله فإنها لو كانت كلها كاملة مقبولةً لم تقابل شكر نعمةِ الله بها عليكَ، مع عدم كمالها، المقتضي لعدم قبولها في الأغلب، إذ لو كانت كاملةً مقبولةً، لزاد الإيمان بها، وانكشف لك نورُ البصيرة فيها، فلم ترها إلا نعمةً عليك. وكيف يثق عاملٌ بعمله، وهو على خطر! فيما يختم له به عمره، ويصير في الآخرة إليه أمره، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

«**واعمَل**» على حسب ما تقدِر بتوفيق الله، ولا تترك الطاعاتِ خوف نقصها، فلعلّ فضل الله يجبرها، ولا تترك الاستغفار، إذا كان استغفارك يحتاج إلى استغفارٍ، فأنت عبدٌ كثير الذنوب والعيوب، لا يخفى حالك على علام الغيوب، وعملك على قدركَ، ولكن فضل الله عظيمٌ، ومنّه جسيمٌ، فما القصد إلا امتثالك أمر الله.

واعمل «**لوجْه الله واطلُب للكمال**» من الله، بالاضطرار والافتقار، وملازمة العجز والانكسار، والأفكار في الآيات والأذكار.

***

٥٣- وخُـذْ بالقلبِ معنَى الدّين واتبَعْ طريـقَ المصْطَفـى فـي كلِّ حَـالِ

«**وخُذ بالقلبِ معنى الدين**» بالباطن، وأظهر بمقتضاه في الظاهر، وانقش

أشكالَ اليقين في صُفَيحة القلب، وأعمال المتقين على القالب، لتحيا حياةً طيبة سرمداً، وتبقى سعيداً أبداً. «**واتبع طريق**» سيدنا محمدٍ «**المصْطَفى**» من جميع الخليقَة «**في كل حال**» من الأحوال، وعمل من الأعمال، فهو قدوةُ المقتدين، وإمام المهتدين، وباب الله الذي فتحه برحمته، ووصله بنعمته، فلا وصُولَ إليه إلا به، ولا دخول عليه إلا منه، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]. وكل خيرٍ إنما يحصلُ من ثمرات الاتباع، وكل شر إنما سببه المخالفةُ والابتداع، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

* * *

٥٤- عليـه الله صَـلَّى كل يـومٍ وسـلـمَ دائـماً كل الليـالي

«**عليه الله صلّى**» أفضل صلاةٍ، وأعظم تكريمٍ، «**كل يومٍ**» من أيام الدنيا والآخرة، أبداً سرمداً. «**وسلّمَ**» أجلَّ تسليمٍ، «**دائماً كل الليالي**»، أي: ليالي الدنيا، والآخرة كذلك، والحمدُ لله رب العالمينَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تم الكتاب بعون المعين الوهاب

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين

وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

* * *

(٨)

شرح المنظومة الفريدة
الوجيزة المفيدة

المسمى

شَرْح عقيدة «شَهِدتُ معْتقِداً جَزْماً»

نظم وشرح

الإمام العلامة الحبيب

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه



بين يدي الكتاب:

هذا كتاب كريم، يتضمن نظماً رائقاً، وشرحاً فائقاً، كلاهما للإمام علامة الدنيا، الحبيب عبد الرحمن بلفقيه، رحمه الله ونفعنا بعلومه وبركاته. وقد استُفِيدَ كونُ النظْمِ له أيضاً من واقع النسخة الخطية الفريدة التي تم اعتمادها في نشر الكتاب، الآتي وصفها.

فقد كتب تحت العنوان ما نصه: «الأصْلُ والشرحُ، جمع الإمام العلامة الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، نفعنا الله ببركته آمين»، وهذا الكلام وإن كان يرى أنه مضروبٌ عليه إلا أنه يتضحُ بتكبير الخط والتحكم فيه بواسطة الحاسوب.

وصف النسخة المعتمدة:

تم الاعتماد في إخراج الكتاب وتصحيحه، على نسخة فريدة، محفوظة لدى أحفاد المؤلف بمدينة تريم، فرغ ناسخها منها يوم الثلاثاء ١٥ جمادى الأولى سنة (١٢٥١هـ)، وهو الشيخ الفاضل عوض بن سالم بن عبد الله بن زين باغْدَم، رحمه الله. تقع في ٢٦ صفحة، كتبت أبيات المنظومة فيها باللون الأحمر، وعلى صفحة العنوان (طرة الكتاب) تملك بقلم السيد الأجل الحبيب العلامة محمد بن إبراهيم بن عيدروس ابن المؤلف، مؤرخ في شهر رجب سنة (١٢٨١هـ).

طريقة العمل في الكتاب:

١ - تجريد المنظومة من الشرح، ووضعها في أول الكتاب.

٢- فرز أبيات المنظومة، وجعلها في جداول، ليسهل على القارئ الوقوف على المتن المشروح، كما تم ترقيم الأبيات.

٣- وضع المتن المشروح ضمن السياق بين قوسين، تمييزاً له عن الشرح.

٤- وضع صورة صفحتين من الأصل الخطي المعتمد.

* * *

متن المنظومة

١- شَـهِدْتُ معتقداً جزْماً بِغَيرِ مِرَا أنْ لا إلَـه سـوَى الله الذي قَهرَا

٢- ربٌّ غنـيٌّ عنِ الأشـياءِ أجمعِهَا وكلُّ شيءٍ إلى إحسَـانه افتقَـرَا

٣- موجـودُ بـاقٍ قديـمٌ ذو مخالفَـةٍ لخلقِـه ولما في البَـال قـد خطَرَا

٤- بنفسِـه قائـمٌ أعنـي بـذاكَ غِنًى عـن فَاعلٍ ومحـلٍّ ليسَ مفْتقِرا

٥- فواحِـدٌ مـا لَـه ثَـانٍ يشَـاركُه في الملْكِ كَلاً ولا عونٌ ولا وُزَرا

٦- لـه الحيـاةُ دوامـاً والإرادةُ مَـعْ علْـمٍ أحاطَ بما يخفَـى وما ظهَرا

٧- وقـدرَةٌ وتعـمّ الممكنَـاتِ فـلا تشْـهَد إذَنْ لسـوَى خَلَّاقِنا أثَرا

٨- ربٌّ بإيجـادِ كل الخلْـقِ منفَـردٌ لـولاهُ ما كانَ شيءٌ قـلَّ أو كثُرَا

٩- ثمّ الكلامُ له والسّمْعُ مَع بـصَرٍ من غَيرِ كيفٍ فكونُ الله مقتَدِرا

١٠- حيّاً سـميعاً بصِيراً عالمـاً متكلّـ ـلّـماً مُريداً تعالى مـا أراد جَرَى

١١- فتلكَ عـشرونَ للرّحمنِ واجبةٌ ويسْـتَحيلُ عليـه ضِدُّ مَـا ذُكِرا

١٢- في حقِّه جازَ فعلُ الممكنَاتِ كَذا تركٌ لها كانَ خيراً ذاك أو ضَررا

١٣- كـذا شـهِدتُ بـأنّ الله منـه أتَى كتبٌ ورسْلٌ كرامٌ للورَى سُفَرا

١٤- وواجبٌ لجميع الرُّسْلِ عصمتهُمْ صـدْقٌ وتبليغُ مـا المولى به أمَرا

١٥- ويسـتحيلُ عليهم ضِدُّ ذي وأَجِزْ في حقّهم غير نقْصٍ ما اعتَرى البشَرا

١٦- من نَحْو كالأكْلِ والأمْراضِ ثمَّ هُمُ خيرُ الورَى وخيارُ الكُلِّ دُونَ مِرَا

١٧- نبِيُّـنَـا أحمـدُ المختَـارُ خاتمهُـمْ   صَلَّى عليه إلـهُ العَرْشِ مَا ذُكِرا

١٨- مُسـلِّماً وعـلى آلٍ ومـن صَحِبُوا   مهْما رقَى قَارِئُ القرآنِ حينَ قرا

١٩- والتابِعـينَ وأتبـاعٍ لهـمْ وعَـلى   مَـنْ للعقيدَةِ هـذِهْ نظَّـمَ الدُّرَرا

❋ ❋ ❋



٢٦

العالم بكلمه وبلاغة والكلام في رتبة متفوقة بتعظيم لمقاماته العظيمه
... الكريمة ... الاتقاء متواصله متواصلة متواصلة باكمل
... تسليم وقد نظمت بيتين مذ يلا وملحقا بهما ختام النظام
... السلام والال الكرام والصحب الاعلام ومن بعدهم من الخاص والعام
... يوم القيمة ليكانا ختام الختام وصار تتمة ابيات المنظومة عدة حروف
البسملة المبتدأ بها وهذه المنظومة مما يبتداء بها في فنها والمرجو
كما حصل النفع للناس في حروفها حصوله في بيتيها والبيتين هما بعد
قولي صلى عليه الله العرش الى اخره مسلما وعلى ال ومن صحبوا
مهما رقي قارئ القرآن حين قرا والتابعين واتباع لهم وعلى
من للعقيدة هذه نظم الدرر
مسلما ان ما قبله المعلوم وال النبي صلى الله عليه وسلم اقاربه الجامعون
في النسبة الطيبة والدينية فهم اولى الناس به المطهرون الفايزون
نسبة وحسبه ومن صحبوه اصحابه الذين اجتمعوا به مؤمنين وماتوا
على ذلك فهم نجوم المهتدين فاكرم بهم من انصار ومهاجرين رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين وقولي مهما رقي الى اخره فيه عقد الحديث
المقال للقارئ في الجنة اقراء وارق والتابعين جمع تابع بمعنى
التابعي وهو من لقي او صحب الصحابي واتباع لهم بالمعنى الاعم اي
واتباعهم الى يوم القيمة وقولي وعلى من للعقيدة الى اخره معطوف
خاص على عام اي وعلى ناظم درر هذه العقيدة الغريدة المفيدة
رحمه الله تعالى امين ونفع بها جميع الخلائق ... العقيدة
والمطلعين اجمعين امين بحمد الله وعونه يوم ...
في شهر جمادي الاول ... بخط راجي عفو ربه من الخطا والذم عوض سالم
المغرب ... من عبدالله بن ...
باخدم ... عفى عنه
وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين امين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الواجب وجودُه، الواسع علمُه وجودُه، الجائز ما سواه من خلقه، المحالِ شريكُه ونديدُه، وصلواته وسلامه على نبيه ومصطفاه ورسوله، المبعوث بأصول دينه وفروع هداه، وعلى آله وصحبه ذوي العقائد السنية، وعلى تابعيهم أولي البراهين البهية، والدلائل السنية.

وبعد؛

فليعلم الطالبُ الراغبُ، أيده الله تعالى بنور الفهم الثاقب، أن علم أصول الدين، وهو علم الكلام والعقائد، رأسُ العلوم، سامي المسائل، محكم القواعد، منيف المواقف والمقاصد، رفيع الموضع والغاية والحد والفوائد. فهو أصلٌ أصيل، ينبَى سائر العلوم عليه، وعلمٌ في الإيمان جليل، تشتد الحاجة إليه. وحدّه: العلمُ بالعقائد الدينية، عن الأدلة اليقينية.

تمهيدٌ

اعلم أن الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة أقسام: **الوجوب**، **والاستحالة**، **والجواز**.

فالواجب العقلي: ما لا يتصور في العقل عدمُه. **والمستحيل العقلي**: ما لا يتصور في العقل وجوده. **والجائز العقليُّ**: ما يصح في العقل وجوده وعدمُه.

ويجب على كل مكلف شرعاً، أنه يعرفَ ما يجب عقلاً في حق مولانا تعالى، وما يستحيل كذلك، وما يجوز. وكذا يجب عليه أن يعرفَ مثل ذلك في حق الرسل، عليهم الصلاة والسلام.

* * *

فمما يجب لمولانا جل وعلا، وتبارك وتعالى، ولرسله، وكتبه، في هذه العقيدة المنظومة الفريدة والموجزة المفيدة. التي مطلعها وأولها، قول ناظمها هذه أولها:

[شرح البيت الأول]

١ - شَـهِدْتُ معتقداً جزْماً بغيرِ مِرَا　　　أن لا إلَه سـوَى الله الـذي قَهرَا

قوله «**شهِدتُ معتقداً جزْماً**» أي: نطقتُ، وأقررت بلساني، وعلمتُ وصدقتُ، حالَ كوني معتقداً جازماً بجنان. وقوله: «**بغيرِ مِرَا**» هو معنى قوله: «**جزماً**» أي: بغير خلافٍ لليقين، من شك وترددٍ. وقوله: «**أن لا إله سوى الله الذي**» أي: بأن لا إله إلا الله. وقوله: «**الذي قهَرا**» صفةٌ كاشفةٌ، كمّل بها قافية إنشادِه. وهو سبحانه قاهرٌ فوق عباده.

وهذا البيت كما لا يخفى مضمّنٌ، بل مصرّحٌ نظمُه بالكلمة الأولى من كلمتي الشهادة، وهي (أشهد أن لا إله إلا الله). والنكتة في ذلك والحكمة: أن تلك الكلمة المشرفة المعظمة، التي هي مفتاح الجنة، جامعة ومتضمنة لزوماً، إجمالاً، جميع ما يجب لله تعالى اعتقادُه، من واجب وجائز ومستحيلٍ، فالناطق المصدّقُ بها على سبيل أهل الحق والهدَى، معتقداً إجمالاً بجميع تفاصيل معانيها. ولهذا جعلها الشارع مع ما بعدَها، ويأتي بيانها في محلها، على الدين علَماً، ولمعاليه العالية سلّماً.

إذ معنى الألوهية: استغناء الإله عن كل ما سواه، وافتقار كل ما عداه إليه، فحينئذٍ لا إله إلا الله، لا مستغنياً عن كل ما سواه، ومفتقراً إليه كلُّ ما عداهُ، إلا الله.

كما ذكره الناظم في هذا البيت فقال:

* * *

[شرح البيت الثاني]

٢- ربٌّ غنــيٌّ عنِ الأشـياءِ أجمعِهَا وكلُّ شيءٍ إلى إحسَـانه افتقَـرَا

أي هـو «**رب غني عن**» جميـع «**الأشيـاء**» التي هي مخلوقـاته ومكونـاتُه ومصنوعاتُه، غناءً ذاتياً، لا انفكاك عنه، ولا بد منه. فمضمون البيت ومعناه: لا إله ولا ربَّ مستغنياً عن كل ما سواه إلا الله، ولا مفتقراً إليه كلُّ ما عداه إلا الله. وهذا، كما سبق، معنى (لا إله إلا الله)، فليتنبه بها من نوم الغفلة أهل الانتباه.

* * *

[تقسيم الصفات العشرين]

ثم أخذ الناظم في تفصيل ذلك الإجمال، الجامعةُ له كلمة الشهادة بالكمال، فبيَّن مفصلاً: أن مما يجبُ له تعالى عشرينَ صفةً، تنقسم أربعةَ أقسام: **نفسيةٌ**؛ وهي واحدة فقط، وتلك الوجود. **وسلبيةٌ**؛ وهي خمسٌ: البقاء، والقدم، والمخالفة للحوادث، وقيامه بنفسِه، والوحدانية. **ومعاني**؛ وهي سبعٌ تأتي مفصلةً. **ومعنويةٌ**؛ وهي سبع أيضاً، تأتي كذلك.

* * *

[الصفات النفسية والسلبية]

وقد ذكر في البيتِ الآتي أربعَ صفاتٍ، الأولى نفسيةٌ، والثلاث الأولُ من السلبية، معبِّراً عنها بالأسماء المشتقة منها، فقال:

٣- موجـودُ بـاقٍ قديـمٌ ذو مخالفَـةٍ ... لخلقِـه ولمـا في البَـال قـد خطَرَا

[الصفة النفسية: الوجود]

قوله: «موجود» واجبٌ له الوجود النفسي، أي: الذاتي، بمعنىً وجد لذاته، فلا يقبل العدم أزلاً وأبداً. وبدأ بها لا يُعقَل الذاتُ بدونه، وهي الصفة الأولى: النفسية.

وسميت صفةً، لأن الوجود تتصف به الذاتُ العليةُ، يقال: ذات الله موجودةٌ. ونفسيةً؛ لأنها نفسُ الذات، كالقدرة، هذا مذهب الأشعريِّ. وقال الرازيُّ: إن الوجودَ صفةٌ زائدةٌ على الذات. ويمكن الجمعُ بين القولين: بأن يحمل مذهبُ الأشعريِّ على ما في الخارج، لأنه لا معنى للوجود في الخارج إلا الذاتُ الموجودةُ، وما قاله الرازيُّ يحمَل على ما في الذهنِ، دونَ ما في الخارجِ، فيتفق القولانِ، والله أعلم.

***

[الأولى من السلبية: البقاء]

الصفة الثانية في البيت، وهي الأولى من السلبية: قوله: «باقٍ» أي: لا يلحق وجودَه عدمٌ، لوجوبِ البقاء السلبيِّ التنزيهيِّ له تعالى، ومعناه: سلبُ العدمِ اللاحقِ للوُجود.

***

[الثانية من السلبية: القدم]

والصفة الثالثة في البيت، وهي الثانية من السلبية: قوله: «قديمٌ» أي: غير مسبوقٍ وجودُه بعدمٍ، لوجوب قدمه السلبي التنزيهيِّ.

ومعناه: نفي العدم السابق على الوجود، وليس قدمُه وبقاؤه تعالى مسبوقينِ بزمانٍ؛ لأن الزمانَ حادثٌ، وقد كان الله ولا شيء معه. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. فهو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، فأوليته تعالى لم يسبقها عدمٌ، وكذا آخريته لا انقضاء لها، هذا معنى قدمه وبقائه.

ووجوبُ القِدم يستلزمُ وجوبَ البقاء؛ لأن ما ثبت قِدمُه، استحال عدمُه، والمذكور في كتب العقائدِ تقديمُ القدم على البقاء، وعكسَ هنا للنّظْمِ.

* * *

[الثالثة من السلبية: المخالفة للحوادث]

والصفة الرابعة في البيت، وهي الثالثة من السلبية: قوله «**ذو مخالفة**» أي: أنه مخالفٌ لخلقه، أي غير مماثل لمخلوقاته، لوجوب مخالفته السلبيةِ النافية للمماثلةِ للحوادثِ، فلا يماثِلُ شيئاً منها مطلقاً، لا في الذات، ولا في الصفاتِ، ولا في الأفعالِ.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: «**ولما في البالِ قَد خطَرا**» أي: هجَس، ووسوسَ، وهو معطوفٌ على ما قبله عطفَ خاصٍّ على عام، وخصَّه بالذكر لخفائه. **والمراد**: تنزيهُه سبحانه وتعالى عن كل ما يخطُر بالبال، ويُتصوَّر في الخيال.

* * *

[الرابعة من السلبية: صفة القيام بالنفس]

ثم ذكر الصفة [الرابعة][١] من السلبيات في هذا البيت، فقال:

٤ - بنفسِه قائمٌ أعني بذاكَ غِنًى ... عن فَاعلٍ ومحلٍّ ليسَ مفتقِرا

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

من الواجبِ السلبيِّ التنزيهيِّ له تعالى: قيامُه بنفسِه، أي بذاته. ومعناه: سلبُ افتقاره إلى شيءٍ من الأشياء. كما قال الناظم: «**بنفسه قائمٌ**» أي بذاته. بذاته موجودٌ، غنيٌّ مطلقاً لا بغيره. ثم فسره وعناهُ بقوله: «**أعني بذاك غِنًى عن فاعلٍ**» أي: غير مفتقِر ومحتاجٍ إلى موجَب ومؤثر، «و» عن «محل»، أي: ذاتٍ يوجد فيها، ويقوم بها، كما يقوم العرَضُ بالجرم، والصفةُ بالموصوفِ.

وإنما وجبَ له تعالى الاستغناءُ عن «**فاعلٍ**» لوجوبِ وجوده، وقِدمه، وبقائِه، ذاتاً وصفاتاً. وإنما وجبَ له الاستغناءُ عن «**محلّ**»، أي: ذاتٍ؛ لأنه لو قام بها لكان صفةً وعرضاً، وهو محالٌ، لكون الصفات الثبوتية، من العلم، والقدرة، والإرادة، وغيرها، واجبةُ القيام به. وأكده في النظم بقوله: «**ليسَ مفتقِرا**»، وهو معنى قوله: «**غني**»، إلخ.

والمراد: تنزيهه عن الحدوثِ الجوهرية والعرضية إذ لا يفتقر إلى فاعل الأحاديث ولا إلى محل الأعراض تعالى ذو الجلال والإكرام بارئ الأعراض والإجرام عن ذلك وعن كل ما يتوهم الأوهام.

فمعنى القيام بالنفس: هو الغناءُ المطلقُ له تبارك وتعالى. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. ولا شك أن كل مخلوقٍ مفتقرٌ إليه تعالى، ابتداءً ودواماً، فلا غنًى لأحدٍ عنه عز وجل، فإذا عرفَ العاقلُ أنه مفتقرٌ إلى مولاه، تعالى علاه، وأن النفْع والضرَّ بيدِه، قطعَ النظر والالتفاتَ إلى غيره، واعتمدَ في جميع أمورِه عليه، ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه إلى الله، ولا يتوكل إلا عليه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه وكفَاه.

***

[الخامسة من السلبية: الوحدانية]

ثم ذكر الصفةَ الخامسة تمام السلبيات، فقال:

٥- فواحِدٌ ما له ثَانٍ يشَاركُه   في الملْكِ كَلَّا ولا عونٌ ولا وُزَرا

قوله: «**فواحدٌ**»، أي: واجبٌ له الوحدانيةُ، ومعناها: انتفاء التركيبِ في ذاته، وانتفاءُ المثل والنظير له في الذات والصفات والأفعال، لوجُوب مخالفته للحوادث، ولوجوب انفراده بخلق جميع الكائنات، واستحالة التأثير لغيره تعالى في شيءٍ من الممكناتِ، فهو سبحانه واحدٌ أحدٌ، ليس من جنس ما ينقسِمُ ويتعدد، تعالى عن ذلك.

بل هو تعالى ذاتٌ موصوفةٌ بصفاتِ الجلال والكمال، ذاتٌ غير مشبّهة بالذواتِ، ولا معطَّلةٌ عن الصفات، ليس كذاتِه سبحانه ذاتٌ، ولا كصفاته سبحانه صفةٌ، ولا كاسمه تعالى اسمٌ، إلا من جهة موافقة اللفظ.

وقد فسر الناظمُ، رحمه الله، وبيَّن معنى الواحِد، بقوله: «**ما له ثانٍ**»، إلى آخره، أي: لا ثانٍ له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، «**يشاركُه في الملك**» أي: في ملكه وسلطانه وعظمته. فهو سبحانه وحده لا شريكَ له، له الملكُ، رب كل شيء ومليكُه، مالك الملك. وقوله: «**كُلَّا**» أي حقاً. وقوله: « **ولا عونٌ**» أي معينٌ، «**ولا وُزَرا**» جمعُ وَزيرٍ، معطوفٌ على ما قبله، عطفَ خاصٍّ على عام، وهو تتميم وتكميلٌ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[سبب تسميتها بالسلبية]

وسُمّيت هذه الخمس الصفات التنزيهية سلبيةً؛ لأن كل واحدةٍ منها معناهَا السلبُ والتنزيه، وليست كصفات المعاني الآتية، بل مفهوم كل واحدة منها سلب أمرٍ لا يليقُ به تعالى، ولا معنًى لا في الخارج عن الذهن.

***

ولما أكمل قسْمَي النفسيةِ والسلبية من الأربعة، شرع في القسمين الأخيرين، وهما المعاني، والمعنوية. مبتدئاً بالمعاني.

[القسم الثالث من الصفات: صفات المعاني]

فقال:

٦- لـه الحيـاةُ دوامـاً والإرادةُ مَـع علْـمٍ أحاطَ بما يخفَـى وما ظهَرا

في هذا البيتِ ثلاثٌ من صفات المعاني، وسميت المعاني: لأن كل واحدةٍ منها معنًى أزليٌّ قائمٌ بالذات.

***

[الأولى من صفات المعاني: الحياة]

قوله: «**الحياة**»، أي: واجبة له تعالى الحياة، وهي صفة أزلية قائمةٌ بالذاتِ، لا تتعلق بأمرٍ، أي: لا تطلب أمراً زائداً على القيام بالذات. وقوله: «**دواماً**»، أي: أزلاً وأبداً، حياةً مطلقةً، متعاليةً، متنزهةً عن جميع النقائص.

***

[الثانية من صفات المعاني: الإرادة]

وقوله: «**والإرادة**»، أي: واجبة له تعالى الإرادة، وهي صفة أزلية قائمة بالذات، شأنها تخصيصُ الممكن ببعضِ ما يجوزُ عليه من زمانٍ ومكانٍ، وطولٍ وقصرٍ، وسواد وبياضٍ، وغير ذلك من الجائزات، على حسَب العلم. وتتعلق بكل ممكنٍ، أي جائزٍ، ولا يغفل تعلقها بغيره.

ومذهب أهل الحق: أن ما أراد تعالى فهو كائنٌ، وما كان فبمراده، ما شاء الله كان

وما لم يشأ لم يكن. والمشيئةُ مرادفةٌ للإرادة، وهي غير الأمْر والرضَا المرادف للمحبة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

* * *

[الثالثة من صفات المعاني: العلم]

وقوله: «مع علم»، أي: واجبة له الحياة والإرادة، مع وجوب العلم، وبه عُلمَتِ الصفات الثلاث في البيت، وهي: الحياة، والإرادة، والعلمُ. وعلمه تعالى صفة أزليةٌ قائمة بذاته تعالى، ينكشِفُ، أي: يتضح به كل معلومٍ على ما هو به، انكشافاً تامًّا لا يحتمل النقيضَ بوجه من الوجوه. فهو متعلقٌ بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات وهو سبحانه وتعالى، يعلم ذلكَ بعلم قديم، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١]، ويعلم ما كان وما يكونُ، وما لا يكون أن لو كان كيف يكونُ، ولا يخفى عليه معلومٌ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

فيجب على العاقل أن يراقبَ مولاه، ويؤثره على هواه ودنياه؛ لأنه يسمعه ويراه.

وليس العلم من الصفات المؤثرة، بل هو صفةُ كشفٍ، ولهذا وجب تعلقُه بكل واجبٍ وجائزٍ ومستحيلٍ، كما وصفه الناظم بقوله: «**أحاطَ بما يخفَى وما ظهَرا**»، وأصله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

* * *

[الرابعة من صفات المعاني: القدرة]

ثم ذكر الصفةَ الرابعة من المعاني، وهي: القدرة، في هذا البيت، فقال:

٧- وقـدرَةٌ وتعـمّ الممكنَـاتِ فـلا ... تشْـهَد إذَنْ لسـوَى خَلَّاقِنا أثَرا

قوله: «**وقدرَةٌ**»، أي: وله قدرة واجبة، وهي صفةٌ قديمةٌ بقدم الذاتِ، قائمة بها، يتأتى بها إيجادُ كلِّ ممكنٍ وإعدامه، على وفق الإرادة، وهي مثلُها، تتعلقُ بكلّ ممكنٍ، أي: جائزٍ. ولا يعقل تعلقُها بغيره، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: «**وتعمُّ الممكنات**»، أي: يشمَل تعلقها الجائزاتِ فقط، وفيه الرد على القدرية، ونحوهم الحائدين عن السبيل السوية. وقوله: «**فلا تشهَد إذَنْ لسِوَى خلّاقنا أثرا**»، أي: فلا تبصر حينئذٍ بغيرِ بصيرتك وبصركَ، أثراً مَّا لغير الله، خلاقنا، وموجدنا، وربنا، وبارينا، سبحانه وتعالى، كبرياءً وعظمةً، وجلالاً، كما في قوله، الواقعِ بأبلغ نفْيٍ وتعجيبٍ، للانتباه: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣]!.

* * *

ثم ذكر مرشّحاً به معنى القدرة في الأذهان، صادقَةً بما تشهدُ به حالاً، ومقاله ألسنةُ الأكوان، فقال:

٨- ربٌّ بإيجـادِ كل الخلْـقِ منفَـردٌ ... لـولاهُ ما كانَ شيءٌ قـلَّ أو كثُرَا

أي: هو سبحانه وتعالى «ربٌّ بإيجاد» جميع المخلوقات، أي: يجعلها موجودةً من العدم، أي: هو بإيجاد كل مخلوق وإمداده، «منفردٌ»، أي: متوحدٌ، وحدَه لا شريك له، «**لولاه**» أي: لولا وجودُه وإيجادُه، «**ما كان شيء**»، أي: ما وجد شيء منها وظَهر، «**قلَّ**» ذلك الشيءُ وصَغُر، «**أو**» كَثُر و«**كَبُرا**».

* * *

[ومن صفات المعاني: الكلام، والسمع، والبصر]

ثم ذكر بقية المعاني، وهي ثلاثٌ: الخامسة، وهي الكلام. والسادسة: وهي السمع. والسابعة: وهي البصر، في أكثر هذا البيتِ، فقال:

* * *

دلالته. مثال دلالته على الواجب: قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢]، لأن وحدانيته واجبةٌ، وصمدانيته واجبةٌ، والصمد هو الذي يلجأ إليه غيره، ولا شك في افتقار كل ما سواه تعالى إليه، ومثالُ دلالته على الجائز: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، لأن الخلقَ من الجائزاتِ.

* * *

[السادسة والسابعة من صفات المعاني: صفتا السمع والبصر]

وسمعُه وبصره تعالى، صفتان أزليتان، ينكشف بهما كل مسموع ومبصر، بل كل موجود، سواءً كان ذلك الموجود قديماً أو حادثاً، ذاتاً أو غيره. فهو تعالى يسمع ويرى كما يليق به، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ويزيد الانكشافُ على الانكشافِ بالعلم، فلا يعزب عن سمعه مسموعٌ وإن خفيَ، ولا يغيب عن رؤيته مرئيٌ وإن دقَّ، يرى من غير حدقةٍ وأجفانٍ، ويسمع بغير أصْمِخَةٍ وآذان، كما يعلم بغير قلبٍ، ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلة، إذ كل ذلك من صفات خلقه، أجراها فيهم بحسب العادة، ولو شاء أن يجعل العينَ سامعةً، والأذُنَ مبصرةً لفعلَ، وهو على كل شيء قديرٌ.

فقد ثبت في الكتاب والسنة: أنه تعالى متكلمٌ، وسميعٌ، وبصيرٌ، وثبوتُ المشتَقِّ وصْفاً لشيءٍ، يقتضي ثبوتَ مأخَذِ الاشتقاق[1].

* * *

---

(١) العبارة في الأصل هكذا: «وبثبوت المشتق وصفاً الشيء يقتضي ثبوت ما أخذ الاشتقاق». وفيها ركاكة عائدة إلى الناسخ أو الأصل المنقولة عنه، ولعل ما أثبتناه هو الأقرب إلى مراد المؤلف، والله أعلم (مصحح).

[مطالبُ صفاتِ المعاني]

واعلم أن لكل واحدةٍ من صفاتِ المعاني، هذه السّبع، سبعةُ مطالبَ، إلا الحياةُ منها، فلها ستةُ مطالب، **فالجملة**: ثمانيةٌ وأربعون مطلباً. وتفصيلها:

فالسمع والبصرُ؛ كلٌّ منهما موجودٌ. أي: ثابتٌ، وقديمٌ، وباقٍ، ومخالفٌ لسمعنا وبصرنا الحادِثَين، وغنيٌّ عن المخَصّص، وواحدٌ. وعُلِمَ التعلقُ بجميع الموجوداتِ، **فهذه أربعةَ عشر مطلباً**.

والكلامُ والعلمُ؛ كلٌّ منهما: موجودٌ، وقديمٌ، وباقٍ، ومخالفٌ لكلامنا وعلمنا الحادِثَين، وغنيٌّ عن المخصّص، وواحدٌ، وعلم التعلّق بجميع المعلومات، **وهذه أربعةَ عشر مطلباً**.

والقدرةُ والإرادةُ؛ كل واحدةٍ منهما: موجودةٌ، وقديمةٌ، وباقيةٌ، ومخالفةٌ لقدرتنا وإرادتنا الحادِثَتينِ، وغنيةٌ عن المخَصّص، وواحدةٌ، وعامّة التعلق بجميع الممكنات، **وهذه أربعة عشر مطلباً**.

والحياةُ؛ موجودةٌ، وقديمةٌ، وباقيةٌ، ومخالفةٌ لحياتنا الحادثة، وغنية عن المخَصص، وواحدةٌ، **فهذه ستة مطالب**. فذلك بالتفصيلِ: **ثمانية وأربعون مطلباً**، كما سلفَ.

* * *

[أقسام الصفات باعتبار التعلق]

وقد عُلِم أن هذه الصفات السبع، باعتبار التعلقِ، أربعةُ أقسامٍ:

[١] **قسمٌ لا يتعلقُ بشيءٍ**، وهو: الحياةُ.

[٢] **وقسمٌ يتعلقُ بالممكناتِ**، وهو: القدرةُ، والإرادةُ.

[٣] وقسمٌ يتعلق بجميع الموجوداتِ، وهو: السمعُ، والبصرُ.

[٤] وقسمٌ يتعلق بجميع المعلومات، وهو: الكلامُ، والعلمُ.

* * *

[أقسامُ التعلق]

والتعَلقُ ثلاثةُ أقسامٍ:

[١] تعلقُ التأثير: وهو تعلقُ القدرةِ، والإرادَة.

[٢] وتعلق الانكشاف: وهو تعلقُ العلمِ، والسّمعِ، والبصر.

[٣] وتعلق الدلالة: وهو تعلقُ الكلامِ.

* * *

[القسم الرابع من الصفات: الصفات المعنوية]

وبعد ذكْر القسم الثالثِ من الصفات السبع المعاني، ذكر القسم الرابعَ، وهي السبعُ المعنويةُ، بقيةَ البيت بعدَه، فقال:

٩- .... فكـونُ الله مقتَـدِرا

١٠- حيًّا سـميعاً بصِـيراً عالماً متكلّـ ـلّـماً مُريداً تعالى مـا أراد جَرَى

هذه الصفاتُ السبعُ المعنوية، ذكرت وعدّتْ لبيان قيام الصفة بالموصوف، وردًّا على بعض فرق الضلال، النافين لذلك القيام، فهي كالنتيجة لما قبلها.

[سبب إطلاق المعنوية عليها]

سمّيت معنويةً؛ لأنها منسوبةٌ إلى المعاني، ومشتقةٌ مأخوذة منها، وراجعة إليها، ومتفرعة عنها؛ لأن صفاتِ المعاني هي صفاتٌ واجبةُ الوجود، قائمةٌ للذات العلية،

كما تقدم. وأما الصفاتُ المعنويةُ، فهي صفاتٌ توصَف بها الذاتُ، وليست بموجُودةٍ ثابتةٍ قائمةٍ بالذات، بل الموجودة القائمةُ بها صفاتُ المعاني فقط.

فكونه تعالى قادراً؛ عبارةٌ عن قيام القدرة بذاته تعالى، فهو قادر بقدرةٍ. فكونه حيًّا؛ عبارة عن قيام الحياة بذاته تعالى، فهو حيٌّ بحياةٍ. وكونه سميعاً؛ عبارةٌ عن قيام السمع بذاته تعالى، فهو سميعٌ بسمعٍ. وكونه بصيراً؛ عبارةٌ عن قيام البصر بذاته تعالى، فهو بصيرٌ ببصرٍ. وكونه عالماً؛ عبارةٌ عن قيام العلم بذاته تعالى، فهو عالم بعلم. وكونه متكلماً؛ عبارة عن قيام الكلام بذاته تعالى، فهو متكلمٌ بكلامٍ. وكونه مريداً عبارةٌ عن قيام الإرادة بذاته تعالى، فهو مريدٌ بإرادة.

وقوله في آخر البيت: «**ما أراد جرى**» ما أراده وشاءه وقعَ، على وفق علمه القديم، بقدرته الباهرة، فهو تكميلٌ وتتميم، واستسلامٌ لإرادته وتسليم.

***

[الفرق بين صفات المعاني والصفات المعنوية]

والحاصل: أن معنى الصفات السبع المعنوية، راجعٌ إلى صفات المعاني، ولم تقُم بالذاتِ سِوى المعاني. ولهذا على التحقيق: إن الصّفاتِ العشـرينَ، ترجع إلى ثلاثة عشر، لرجُوع المعنوية إلى المعاني المتقررة. وقد عُلِم أن صفاتِ المعاني الثابتة الأزليةَ القائمةَ بالذات العلية، هي الصفاتُ الذاتية الواجبةُ، ولا يطلَق لفظُ العينِ والغَير على هذه الصفاتِ الذاتية مع بعضها بعْضاً، ومع ذاته تعالى، فيقالُ في الصفة، أو مع الصفة، أو مع ذاته تعالى: لا عينَ، ولا غيرَ.

***

[المستحيل في حقه تعالى]

وبعدَ ذكره ما يجبُ له تعالى تفصيلاً، ذكره إجمالاً، مقدَّمٌ لك في البيتِ الآتي، وذكر فيه ما يستحيلُ في حقه تعالى، وهو القسم الثاني، فقال:

١١- فتلكَ عشرونَ للرَّحمنِ واجبةٌ ويستَحيلُ عليه ضِدُّ مَا ذُكِرا

أي: فتلك الصفاتُ المفصلة المذكورةُ آنفاً، المنقسمةُ أربعةَ أقسامٍ، كما في الشرح، عشرونَ صفةً، كل واحدةٍ منها لمولانا الرَّحمن الرحيمِ، الحيِّ القيومِ، العليِّ العظيمِ، واجبةٌ وجوداً عقلياً كما سلفَ. ويستحيلُ عليه استحالةً عقليةً، كما عُلمَ، ضدُّ كل واحدةٍ من العشرين. **والمراد**: كل ما ينافي واحدةً منها، فتكون أضدادها المستحيلةُ عشرينَ صفةً تنزيهيةً. وهاك سردها مع الأُوَلِ الواجبة، بترتيبها وأقسامها، لتتضح بها.

فالقسم الأول: ضد النفسية الأولى معَها، الوجودُ واجبٌ لله، وضده: العدمُ مستحيلٌ عليه.

والقسم الثاني: أضدادُ الخمسِ السلبية معَها؛ القِدَمُ واجبٌ له تعالى، وضدّه: الحدوثُ مستحيلٌ. والبقاءُ واجبٌ له تعالى، وضدّه: الفناءُ مستحيلٌ. ومخالفتُه للحوادثِ واجبةٌ له تعالى، وضدّها: المماثلة لها مستحيلةٌ. والقيامُ بالنفسِ واجبٌ له تعالى، وضدّه: الافتقار إلى المخصّص، أي الفاعلِ، مستحيلٌ.

والقسم الثالث: أضدادُ صفاتِ المعاني السبع معَها؛ القدرة واجبةٌ له تعالى، وضدها: العجزُ مستحيلٌ. والإرادةُ واجبةٌ له تعالى، وضدّها: الإيجادُ مع الكراهة، أي عدم إرادته وما في معناها، مستحيلٌ. والعلمُ واجبٌ له تعالى، وضده: الجهلُ وما في معناه، مستحيلٌ. والحياةُ واجبةٌ له تعالى، ضدها: الموت مستحيلٌ. والسمعُ واجبٌ له تعالى، وضده: الصمَمُ وما في معناه مستحيلٌ. والبصَرُ واجبٌ له تعالى، وضده: العمَى وما في معناه مستحيلٌ. والكلامُ واجبٌ له تعالى، وضده: البكم وما في معناه مستحيلٌ.

والقسم الرابع: أضداد الصفات المعنويةِ معَها. كونه تعالى قادراً واجبٌ له تعالى، وضده: كونه عاجزاً، مستحيلٌ. وكونه مريداً واجبٌ له تعالى، وضدُّه: كونه كارهاً وليس بمريدٍ، مستحيلٌ. وكونه عالماً واجبٌ له تعالى، وضده: كونه جاهلاً مستحيلٌ. وكونه سميعاً واجبٌ له تعالى، وضدّه: كونه أصمَّ مستحيلٌ. وكونه متكلماً واجبٌ له تعالى، وضدّه كونه أبكَمَ مستحيلٌ. وكونه بصيراً واجبٌ له تعالى، وضده كونه أعمَى مستحيلٌ. وكونه حيًّا واجبٌ له تعالى، وضده كونه ميتاً مستحيلٌ، تعالى علاه.

***

[ما يجوز في حقه تعالى]

ثم ذكر القسم الثالث وهو جائز في حقه تعالى فقال رحمه الله:

١٢- في حقِّـه جازَ فعلُ الممكنَـاتِ كَذا ... تركٌ لها كانَ خيراً ذاك أو ضَرَرا

الجائزُ عقلاً في حقه تعالى فعلُ كلِّ ممكنٍ أو تركُه، وهو معنى ما ذكره.

وقوله: «**كذا ترك لها**»، أي: ومثلُ جوازِ فعله الممكناتِ، جائزٌ عقلاً في حقه تركُها، أي: إيجادها وإعدامها. وقوله: «**كان خيراً**»، إلخ، أي: سواء ذلك الفعلُ والتركُ خيرٌ، أم شرٌّ. والظاهر أن مرادَه بقولِه :«**أو ضَررا**»، لمقابلته له بالخير، وإلا لقال: «**كان نفْعاً ذاكَ أو ضَررَا**». وللإشارة بذلك إلى الردّ على النافين خلْقَه تعالى الشّرَّ.

ومذهب **أهل الحقِّ**: أن أفعاله تعالى جائزةٌ، بالنظر إلى ذاتها، واقعةٌ على وجه الإحسان والفضل، أو على وجه المؤاخَذة والعدل. مثالُ ذلك: الثوابُ، والعقابُ، وبعثُ الرسل عليهم الصلاة والسلام، ورؤية المولى الكريم في الجنة، وغير ذلك من الممكنات. فلا يجبُ عليه فعلُ ممكنٍ ولا تركُه، وإنما فعل ذلك تفضّلٌ منه تعالى على عبيدِه؛ لأنه لا حقَّ لأحدٍ عليه في استحقاقٍ على الطاعة، لأنه لا ينتفع بطاعةِ أحدٍ.

وأيضاً: فالطاعةُ خلقه تعالى، وليس للعبد فيها إلا الاكتسابُ، ولا أثر لهم فيها، وكل ما أتى به الشارعُ، وأخبر به، من ثوابٍ أو عقابٍ، فإنما هو جائزٌ في العقلِ، يصحُّ وجوده وعدمه قبل مجيء الشرعِ، أما بعد مجيئه فهو واجبٌ بالشرع لا بالعقل.

* * *

هذا؛ وقد عُلِم مكرراً: أن الصفاتِ الواجبةَ له تعالى، وأضدادها المستحيلةَ: **أربعونَ**. والجائزُ في حقه تعالى: **واحدٌ**؛ وهو: فعلُ كلِّ ممكنٍ أو تركُه. فالمجموع: **إحدى وأربعون** عقيدةً. وهي بجميع معانيها مجموعةٌ كما سبقَ في كلمة (لا إله إلا الله)، المشتملُ معناها على انفرادِه تعالى بالاستغناءِ عن كل ما سواه، وافتقارِ كل ما عداهُ إليه تعالى.

فاستغناؤه[1] تعالى عن غيره؛ يستلزم وجوبَ وجودِه، وقِدَمه، وبقائه، ومخالفته لخلقه، وقيامه بنفسه، فهذه **خمسُ** صفاتٍ. **الأولى** منها: نفسيةٌ، واجبةٌ. **والأربعُ**: سلبيةٌ واجبةٌ. وأضدادُها: **خمسٌ** مستحيلةٌ، معلومةٌ مما سبقَ. فمجموعها: **عشرٌ**.

ويستلزم تنزيهُه عن النقائص، كالصمَم، والعمَى، والبكَم، فيجب له **السمعُ** والبصرُ، والكلام. ويجبُ أن يكون سميعاً، بصيراً، متكلِّماً، فهذه **ستُّ** صفاتٍ واجبةٌ، **ثلاثٌ** منها معانٍ، **وثلاثٌ** معنويةٌ، وأضدادها **ستٌّ** مستحيلةٌ، معلومةٌ، بل مذكورة. هذه أضداد المعاني **الثلاث**. فجموعها اثنتا عشرة صفةً.

ويستلزم ذلك الاستغناءُ: عدمَ وجوبِ فعْل شيءٍ من الممكنات أو ترْكِه.

ومن هنا تُعلمُ الصفةُ الواحدةُ الجائزةُ في حقه تعالى، وهي جوازُ فعلِ كلِّ ممكنٍ وتركِه، وبضمِّها إلى ما قبلها؛ فالمجموعُ: **ثلاثٌ وعشرون**.

---

(١) في الأصل: فاستغناه.

وافتقارُ كل ما عداهُ؛ يستلزمُ وجوبَ حياتِه، وعمومَ قدرتِه، وإرادته، وعلمه، ووجوبِ كونه حيًّا، قادراً، مريداً، عالماً. وهذه ثمانُ صفاتٍ، وأضدادها ثمانٌ مستحيلةٌ معلومةٌ. ويستلزمُ وجوبَ وحدانيتِه التنزيهية السلبية، وضدها المستحيلة المعلومةُ، فهما اثنتانِ، يضمان إلى الستَّ عشرةَ، فالمجموعُ: ثمانِ عشْرةَ.

* * *

والحاصل؛ أن الذي استلزمه استغناؤه تعالى من الصفاتِ: ثلاثاً وعشرين. وما استلزمَه الافتقارُ إليه منها: ثمانِ عشرةَ، كما هو واضحٌ. ومجموعُ ذلكَ، وهو إحدى وأربعون، عقيدةٌ، كما سلفَ. واستلزمَ غيرَ ذلك، كوجوب حدوث العالم، وعدم تأثيرِ شيء من الممكنات، كما هو مذكورٌ في محله. وإنما المقصودُ هنا: ذكر ما يتعلق بالصفاتِ، فليعلم ذلك، وإن وقع فيه تكريرٌ، فهو للطالب الراغب تقريرٌ.

فقد ظهر اشتمالُ تلك الكلمة الشريفةِ على عقائد الإيمان الواجبة له تعالى، فلينتبه لمعانيها طالبُ النجاةِ، وليمتثل الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

* * *

[الشطر الثاني لكلمة التوحيد]

وأما اشتمالُ الكلمة الثانية المنفية، وهي (محمدٌ رسول الله)، إلا[1] ما يجب الإيمان به، فمعلومٌ مما ذكرَ الناظمُ:

١٣- كذا شـهِدتُ بـأنّ الله منـه أتَى ... كتبٌ ورسْلٌ كرامٌ للورَى سُفَرا

هذا البيتُ معطوفٌ على البيتِ الأول، وهو قوله: «شهِدتُ معتقداً»، إلى آخره. وحوى البيتان مجمَل الفضائل في المنظومة جميعِها، وهو الإيمانُ بالله، وملائكته، وكتبه،

(١) كذا في الأصل، ولعله: على.

ورسله. ولما كان الإيمانُ بنبينا عليه الصلاة والسلام يستلزم الإيمانَ بسائر الرسل، وجميع الكتب، وغير ذلك؛ فتقريرُ مبنَى البيت، وتوضيح معناه الشريف: شاهداً، أو: كشهادتي بالكلمة الأولى، في الإقرار والاعتقاد الجازم.

شهِدتُ أن محمداً رسول الله، وبذلك آمنتُ، بأنّه[1] أتت من عنده «كتبٌ» عظام[2]، «ورسلٌ» كرامٌ، «سفراء» إلى الخلق، ووسائط بينهم وبين الحق.

[الإيمان بالرسل]

جمع رسول، وهو: إنسانٌ، ذكرٌ، حرٌّ، أُوحِيَ إليه بشرعٍ وأمر بتبليغه. فنبيٌّ ورسولٌ. وعددُ الأنبياء: مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ. والرسلُ منهم: ثلاثمئة وثلاثة عشر. وبعثتهم من آدم إلى خاتمهم محمدٍ ﷺ.

[الإيمان بالكتب]

والكتب المنزلةُ على بعضِهم: مئة كتابٍ، وأربعة كتب. فالأربعة: القرآن على محمدٍ، والتوراةُ على موسى، والإنجيلُ على عيسى، والزبور على داود، عليهم السلام. والمئةُ، هي: مئةُ صحيفةٍ، أنزل على شيثٍ منها خمسونَ صحيفةً، وعلى إدريس ثلاثون صحيفةً، وعلى إبراهيم عشرٌ، وعلى موسى قبلَ التوراة عشرٌ. وأفضلها جميعاً القرآنُ.

* * *

وقوله: «كرامٌ» جمعُ كريمٍ، صفةٌ كاشفةٌ، لكونهم كرماءَ ذاتاً وأوصافاً، كقوله «سُفَرا»، جمع سفيرٍ، بمعنى رسول ومصلح. وهم الكرامُ المصلحون الناصحون، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

* * *

---

(١) في الأصل: آمنت بالله أتت... إلخ. ولعل الصواب ما أثبت، تماشياً مع سياق الكلام.
(٢) في الأصل: من عظام، ولعل الصواب حذفها.

[الواجب في حق الرسل]

ثم ذكر القسمَ الأول من الثلاثة، وهو الواجب في حقِّهم، فقال:

١٤- واجبٌ لجميع الرُّسْلِ عصمتهُمْ صـدْقٌ وتبليغُ ما المـولى به أمَرا

في هذا البيت ثلاث صفاتٍ. الأولى والثانية منها واجبتانِ لجميع الرسل والأنبياء، والثالثة مختصةٌ بالرسل. **فالأولى** الواجبةُ لهم جميعاً: «**عصمتهم**»، أي: اتصافهم بحفظ الله ظاهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي مطلقاً بعد النبوة وقبلها. **والثانية**: «**صِدقٌ**»، أي: وصدقهم، فالواجب لهم جميعاً صدقهم، وهو مطابقة خبَرهم للواقع.

والثالثةُ المختصة بالرسل، قوله: «**تبليغُ ما المولى به أمَرا**»، أي: والواجبُ للرسل عقلاً تبليغُهم العبادَ ما أمرهم المولى جلّ وعلا بتبليغه لهم، لا كل ما اطلعوا عليه. **فيجب شرعاً**: اعتقادُ أنهم بلَّغُوا عن الله تعالى جميعَ ما أرسِلُوا به، وأمروا بتبليغه، اعتقادياً كان أو عملياً.

وواجبٌ عقلاً لهم: **الفطانة**، وهي صفةٌ رابعةٌ، كما في «الجوهرة». وقال مؤلّفها في «شرحها»: «إن الثلاثَ السابقة لا يغني عنها التفطّنُ لإلزام الخصُوم ومجابهتهم، لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

* * *

[المستحيلُ في حق الرسل]

ثم ذكر القسْم الثاني، وهو المستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام، في بعض هذا البيت فقال:

١٥ - ويستحيلُ عليهم ضِدُّ ذي... ....

أي: ويستحيلُ في حقهم ضدّ هذه الصفات الثلاث المقدمة، بل الأربع. أي ضدّ كلّ واحدةٍ منها، وكل ما ينافيها. فضدّ العصمة، وهي الأمانةُ: الخيانةُ، بفعل منهيٍّ عنه. وضد الصدق: الكذبُ، وهو عدم مطابقة الخبر الواقعَ. وضدّ التبليغِ: كتمانُ شيءٍ مما أمروا بتبليغه. وضد الرابعة، وهي الفطانة: البلاهةُ، والغفلة، وعدم الفطنة.

فلا يتصوّر ملابستُهم عليهم الصلاة والسلام أضدادَ الواجباتِ السابقة؛ لأنه سبحانه وتعالى أضافَها إليهم، وشهد لهم بالرسالة، وأمر باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم، والاهتداء بهديهم، والاقتداء بأنوارهم، وأيدهم بالمعْجزاتِ، والآيات البينات، واصطفاهم، ووصفهم بكَامل الصفات، وأثنى عليهم بما أثنى في كتابه المجيد المبين، صلواتُ الله تعالى وتسليماته عليهم أجمعين.

* * *

[الجائز في حقِّ الرسل]

ثم ذكر القسْم الثالثَ، وهو الجائز في حقّهم، عليهم الصلاة والسلام، في بقية هذا البيت، بقوله:

١٥- .... وأَجِزْ في حقِّهم غيرَ نقْصٍ ما اعْتَرَى البشرا

أي: اعترف واعتقد، أنه جائزٌ عقلاً، مماسّة ظواهرهم ما لابس البشر، من الأعْراض البشرية، حال كونه «غير نقص»، أي: منقّصٍ ومخلٍّ بأقدارهم العلية، بل في مماسَّة ظواهرهم لذلك رفعُ الدرجات، وارتقاء الكمال في ارتقاء الكمالات.

* * *

ثم بيَّن ذلك الجائزَ بقوله من هذا البيتِ، فقال:

١٦ - من نَحْـو كالأكْلِ والأمْـراضِ... ....

أي: من نحو ما هو كالأكل، والشرب، والنوم، والنكاح، والأمراض، والآلام، وتجرع كأس الحمام. وأما ما فيه نقصةٌ، من منفِّرٍ وغيره، كعمًى ونحوه، وبرصٍ، وجذام، وكل ذميم، ودنيء، وكل ما يخل بالمقامِ، فمستحيلٌ عليهم، عليهم الصلاة والسلام. وأما بواطنهم الزكية؛ فمعصومةٌ، تنزيهيةٌ، سليمةٌ عن مماسة الأعراضِ والأمراضِ مطلقاً؛ لأنها ممتلئة بشهود ربهم العلي الأعلى، عاكفةٌ على الدوام في حرَمِ الحضُور الأجل الأجلى، صلواتُ الله وتسليماته عليهم أجمعين.

***

وقد عُلِم مما سلف؛ أن الصفاتِ الواجبةَ للرسل عليهم السلام، أربعٌ معلومةٌ، وأضدادُها المستحيلةُ المعلومة أربعٌ أيضاً. والجائز لهم واحدٌ، فهذه تسعُ عقائد، مندرجةٌ في كلمة (محمد رسول الله)، والمندرج في الكلمة الأولى: إحدى وأربعون عقيدةً. فالمجموعُ بهذه التسعِ: خمسونَ عقيدةً، مندرجة في كلِمتَي الشهادة، وعلم الإسلام والسعادة، فاتضح اشتمالها على عقائدِ الإيمان بالله ورسُله، من الواجبِ، والجائز، والمستحيل في حقه تعالى، وحقهم عليهم الصلاة والسلام.

***

وقد عُلم أيضاً مما ذُكِر، أن هذه المنظومة كلَّها في بيان الإيمان بالله ورسُله إجمالاً وتفصيلاً، بحسب ما فيها، وبكتبه إجمالاً فقط.

***

[أركان الدين ثلاثة]

واعلم أنّ أركانَ الدينِ ثلاثةٌ: الإيمان، والإسلام، والإحسان، الحديثَ وغيره.

* * *

[الأول من أركان الدين: الإيمان]

فالأول؛ وهو التصديق بما علم من الدين بالضرورة. وأركانه ستةٌ: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

[الإيمان بالملائكة]

ومما يجب الإيمان به: الملائكة، بأنهم معصُومونَ عن المخالفة، ووسائطُ بينه وبين رسله. وهم أجسامٌ نورانيةٌ، لا يوصَفون بذكورةٍ ولا أنوثةٍ، مسكنهم السماواتُ.

[الإيمان باليوم الآخر]

والإيمانُ باليوم الآخر، وهو يوم القيامة. أي: بوجُوده، وبما فيه من: الحشر، والمجازاة، والمحاسبة، والصراط، والميزان، ودخول الجنة والنار، وغير ذلك مما هنالك.

[الإيمان بالقدر]

والإيمان بالقدر. أي: بتقدير الله للخير والشر. وهو تفصيل القضَاءِ. **فالقضاءُ**: هو الحكمُ الكليُّ الإجماليُّ. **والقدَرُ**: جُزئياتُ ذلك الحكْمِ وتفاصيلُه.

* * *

[الثاني من أركان الدين: الإسلام]

والثاني: الإسلامُ، وهو الانقيادُ والتسليمُ، والتلبسُ بالأعمال الصالحة.

أركانهُ خمسةٌ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحجّ البيت على من استطاعَ إليه سبيلاً، كما في الحديثِ الأخير: «**بني الإسلام على خمس شهادة...**»، إلى آخر ما ذُكِر فيه.

***

[الثالث من أركان الدين]

والثالث من أركان الدين: الإحسانُ، وقد فسَّره النبي ﷺ بالمراقبة، والإخلاص. فقال عليه الصلاة والسلام: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». فالإيمانُ مبدأٌ للدّينِ، والدينُ واسطٌ له، والإحسان كمالٌ له، والدين الخالصُ شاملٌ للثلاثة.

***

فأصلُ العقائد: مقامٌ للإيمان. **وأصلُ الفقه**: مقامٌ للإسلام. **وأصل التصوف**: مقامٌ للإحسانِ، الذي فسَّره النبي ﷺ بـ«**أن تعبد الله**»، إلى آخره؛ لأن معاني صدْقِ التوجّه لهذا الأصل راجعةٌ، وعليه دائرةٌ، إذ الفطنة دالةٌ على طلبِ المراقبة الملزومة به، فكان الحضُّ عليها حضٌّ عليه.

فالتصوفُ أحَدُ أجزاء الدينِ، علّمه عليه الصلاة والسلام جبريلُ، ليعلمه الصحابةَ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

***

وقوله في بقية ذلك البيت، يضيف مع البيت الذي بعده، فقال:

١٦- .... ثـمَّ هُـم   **خيرالورَى وخيارُ الكُلِّ دُونَ مِرَا**

١٧- **نبِيُّـنَا أحمـدُ المختَـارُ خاتمهُـمْ**   ....

أي: وبعد ما سلفَ، مما يجب مع معرفته في حق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، و«هُم» أفضل الخلقِ، وأفضَلُهم أفضلُ جميع الخلق على الإطلاق، بغير خلافٍ وشقاقٍ، من خبر قوله: «وخيار الكل» وصْفُه، وهو نبينا، بل نبي جميع الأنبياء، إذ هم نوابه؛ لأنه المبعوثُ رحمةً للخلق إلى الخلق، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال ﷺ: «بعثت للناس كافة».

المصطفى «المختار» للمختار، الخيار من خيار، نور الوجود، الرحمة العامة، للخاصة والعامة. «أحمد»: أحمدُ الحامدينَ، محمدُ المحمودين، خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، وسيد العالمين والعاملين، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعدَه، ﷺ في الفضلِ، بقيةُ أولي العزم، فبقيةُ الرسل، فبقية الأنبياء، فالملائكة في الجملة، بتفصيل مذكور.

❊ ❊ ❊

تكميلٌ

بذكر عَقيدة القطب الإرشاد
الشريفِ الأوحَد عبد الله بن علويٍّ الحدادِ
نفعَ الله تعالى به الحاضِرَ والبَاد

وهي خاتمة لكتابه «النصائح الدينية والوصايا الإيمانية»

ذكرتها تتميماً وتبركاً بذلك المقالِ، وتشفعاً لرجاء القبول والإقبال، ولما استنار من إشراقه في الرؤيا، قدس الله روحَه بأهل السّر، فأعلى بذوي العلياء. وهي كما قال: «عقيدةٌ ذخيرةٌ، جامعةٌ نافعةٌ إن شاء الله، على سبيل الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة، والسواد الأعظم من المسلمين.

[نصُّ العقيدةِ الجامعة]

الحمدُ لله وحدَه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعدُ؛ فإنَّا نعلمُ ونعتقدُ، ونؤمِنُ ونوقِنُ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، إلهٌ عظيمٌ، ملك كبيرٌ، لا ربَّ سواهُ، ولا معبود إلا إياهُ، قديمٌ، أزليٌّ، أبديٌّ، لا ابتداءَ لأوليته، ولا انتهاء لآخريته، أحدٌ، صمدٌ، لم يلدْ، ولم يولَد، ولم يكن له كفُؤاً أحدٌ، لا شبْهَ له، ولا نظير له، وليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير.

وأنه تعالى مقدسٌ عنِ الزمان والمكانِ، وعن مشابهة الأكوان، لا تحيط به

الجهاتُ، ولا تعتريه الحادثاتُ، مستوٍ على العرشِ على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أرادَه، استواءً بعزِّ جلاله، وعلوِّ مجْدِه وكبريائه.

وأنه تعالى قريبٌ من كل موجودٍ، وهو أقربُ إلى الإنسان من حبل الوريد، وعلى كل شيء رقيبٌ وشهيدٌ، حي قيومٌ، لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ، بديعُ السماوات والأرض، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، الله خالقُ كلِّ شيءٍ وهو على كل شيء وَكيل.

وأنه تعالى على كل شيء قديرٌ، وبكل شيء عليمٌ، قد أحاطَ بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض. يعلمُ ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير. يعلم السر وأخفى، ويعلم ما في البر والبَحْر، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمها، ولا حبّةٍ في ظلمات الأرضِ ولا رطْبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبين.

وأنه تعالى مريدٌ للكائناتِ، ومدبِّرٌ للحادثاتِ، وأنه لا يكون من خير أو شَرٍّ، أو نفعٍ أو ضر، إلا بقضائه ومشيئته، فما شاء كان، و[ما][(١)] لم يشأ لم يكُن، ولو اجتمعَ الخلقُ كلهم على أن يحرّكُوا في الوجود ذرةً، أو يسكنوها، دون إرادته، لعجزوا عنه.

وأنه تعالى سميعٌ، بصيرٌ، متكلمٌ بكلامٍ قديم أزليٍّ، لا يشبهُه كلام المخلوقين. وأن القرآنَ العظيم كلامُه القديمُ، وكتابُه المنزل على نبيّه ورسوله محمدٍ ﷺ.

وأنه سبحانه وتعالى هو الخالقُ لكل شيءٍ، وهو الرزاقُ له، والمدبر والمتصرف فيه، كيف يشاء، ليس له في ملكِه منازعٌ، ولا مدافعٌ. يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء،

---

(١) سقط من الأصل.

ويغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، ولا يسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

وأنه تعالى حكيمٌ في فعله، عادلٌ في قضائه، لا يتصور منه ظلمٌ، ولا جَورٌ، ولا يجبُ عليه لأحد حقٌّ، ولو أنه سبحانه أهلكَ جميع خلقه في طرفة عينٍ لم يكن بذلك جائراً ولا ظالماً لهم، فإنهم ملكُه وعبيدُه، وله أن يفعلَ في ملكه ما يشاء، وما ربك بظلاَّمٍ للعبيدِ، يثيبُ عباده على الطاعات فضلاً وكرماً، ويعاقبهم على المعاصي حكمة وعدلاً، وأن طاعته واجبةٌ على عبادِه، بألسنة أنبيائه، عليهم الصلاة والسلام.

❋ ❋ ❋

ونؤمنُ بكل كتابٍ أنزلَه الله تعالى، وبكل رسُولٍ أرسله الله، وبملائكة الله، وبالقدَر خيره وشرِّه.

❋ ❋ ❋

ونشهدُ أن محمداً عبدُ الله ورسولُه، أرسله إلى الجنِّ والإنسِ، والعرب والعجمِ، بالهدى، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركونَ.

وأنه بلّغَ الرسالةَ، وأدى الأمانةَ، ونصح الأمة، وكشفَ الغمةَ، وجاهد في الله حق جِهَاده. وأنه صادقٌ أمينٌ، مؤيدٌ بالبراهين الصادقة، والمعجزات الخارقة، وأن الله فرَضَ على العِبَاد تصديقَه، وطاعتَه، واتباعه.

❋ ❋ ❋

وأنه لا يقبلُ إيمان عبدٍ، وإن آمنَ به سبحانه، حتى يؤمن بمحمّدٍ ﷺ، وبجميع ما جاء به، وأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة.

ومن ذلك: أن يؤمنَ بسؤال منكر ونكيرٍ للموتى، عن التوحيد، والدين،

والنبوة. وأن يؤمن بنعيم القبر لأهل طاعته، وبعذابه لأهل المعصية.

وأن يؤمن بالبعث بعد الموت، وحشر الأجساد والأرواح إلى الله، وبالوقوف بين يدي الله وبالحساب. وأن العباد يتفاوتون فيه، إلى مناقَشٍ ومسَامَحٍ، وإلى من يدخلُ الجنةَ بغير حساب.

وأن يؤمنَ بالميزانِ الذي يوزَنُ فيه الحسناتُ والسيئاتُ، وبالصراطِ وهو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنمَ، وبحَوض نبينا محمد ﷺ، الذي يشرب منه المؤمنون قبل دخولِ الجنة، ماؤه من الجنة.

وأن يؤمنَ بشفاعة الأنبياء، ثم الصديقين، والشهداء، والعلماء، والصالحين، والمؤمنين. وأن الشفاعَة العُظْمى مخصوصةٌ بمحمد ﷺ.

وأن يؤمن بإخراج من دخل النارَ من أهل التوحيدِ، حتى لا يخلد فيها من في قلبِه مثقال ذرةٍ من إيمان. وأن أهل الكفر والشرك مخلَّدون في النار أبدَ الآبدين، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢]. وإن المؤمنين مخلّدُون في الجنة أبداً سرمداً، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. وأن المؤمنين يزورونَ ربهم في الجنة بأبصارهم، على ما يليقُ بجَلاله وقُدْسِ كماله.

***

وأن يعتقِدَ فضْل أصحابِ رسول الله ﷺ، وترتيبَهم، وأنهم عدولٌ، أخيارٌ، أمناءُ، لا يجوز سَبّهم، ولا القدحُ في واحدٍ منهم.

وأن الخليفةَ الحقَّ بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديقُ، ثم عمرُ الفاروقُ، ثم عثمانُ الشهيدُ، ثم عليّ المرتضَى، رَضِيَ الله عنهم، وعن أصحاب رسول الله ﷺ

أجمعينَ، وعن التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين»، انتهى.

آخر «عقيدة» سيدنا المذكُور
نفع الله به تعالى، وقدَّسَنا بسرِّه المشْهُور المستور، آمين.

❋ ❋ ❋

[خاتمة المنظومة]

ثم وَفَّى الناظمُ، وكمَّل بيته السابق الذي هو آخر نظمه بالصلاة على خاتم النبيين والمرسلين وبذلك فالصلاة في المعنى عليه وعليهم أجمعين وذلك التكميل قوله:

١٧- .... صلى عليه إلهُ العَرْشِ مَا ذُكِرا

أي: رب العرش العظيم، الذي هو أولُ الأجرامِ، وأعظَمُها، المحيطُ.

وقوله: «**ما ذكرا**»، أي: ما ذُكِر الربُّ فذكِر نبيُّه معَه، كما ورد. وذكر رسول الله ﷺ المذكورُ لفظاً ومعنًى بذكر الله. والمعنى: كُلَّما كُرِّر ذكرُه، وفاح من طيب وصْفِه نشرُه، وحَسُن بل وَمُدِح بذكره الكلامُ نظمُه ونثرُه.

والصلاةُ: هي رحمةٌ مقرونةٌ بتعظيمٍ، لمقاماته العظيمة، وجنابه الكريم، تجري جرْيَ الأنفاسِ، متواصلةً، متواصلةً، متواصلةً، بأكمل ثناءٍ وأسْنَى تسليمٍ.

❋ ❋ ❋

ذيلُ المنظومةِ وشرحه

وقد نظمتُ بيتينِ مذيلاً وملحقاً بهما ختامَ النظامِ، بذكر السَّلام، والآل الكرام، والصحب الأعلام، ومن بعدهم من الخاصّ والعام، إلى يوم القيامة. فكان ختامَ الختامِ، وصارت عدّةُ أبياتِ المنظومةِ، عدةَ حرُوف البسملة[1] المبتَدأ بها. وهذه المنظومة مما يبتدأ بها في فنها، والمرجو كما حصل التناسبُ في حروفها، حصولُه في يمنها.

***

والبيتان هما بعْدَ قوله: «صلى عليه إله العرْشِ»، إلى آخره:

١٨ - مُسلِّماً وعلى آلٍ ومن صَحِبُوا مهْما رقَى قَارئُ القرآنِ حينَ قرا

١٩ - والتابِعينَ وأتباعٍ لهمْ وعَلى مَنْ للعقيدَةِ هذِهْ نظَّمَ الدُّرَرا

«مسلماً»: حالٌ مما قبله المعلوم. و«آل» النبيِّ ﷺ: أقاربُه، الجامعونَ بين النسبة الطيبة والدينية، فهم أولى الناس به، المطهَّرون، الفائزونَ نسبةً وحسبةً.

«ومن صَحِبوا»، أصحابه: الذين اجتمعوا به مؤمنينَ، وماتوا كذلكَ، فهم نجومُ المهتدين، فأكرم بهم من أنصارٍ ومهاجرين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقولي: «مهما رقى»، إلى آخره، فيه عقْدُ الحديثِ: أنه «**يقالُ للقارئ في الجنّة: اقرأ وارْقَ**». و«أتْباع لهم»: بالمعنَى الأعَمّ، أي: وأتباعهم إلى يوم القيامة.

---

(١) وعددها ١٩ حرفاً، كما هو معلوم، وكذلك عدد أبيات هذه المنظومة المباركة.

وقولي: «وعَلى من للعَقِيدة»، إلى آخره، عطفُ خاصٍّ على عامٍّ، أي: وعلى ناظمِ دُرَر هذه العقيدة الفريدة المفيدة، رحمه الله تعالى، آمينَ، ونفع بها جميع القَارئين، والمسلمين أجمعين، آمين.

* * *

[خاتمة الناسخ]

«انتهت العَقيدة بحمد الله وعونه، يوم الثلوث، ١٥ في شهر جماد الأول، سنة ١٢٥١. بخط راجي عفْو ربّه من الغلّ والذّم، عوض سالم بن عبد الله بن زين بامخدم، عفا الله عنه.

وصلى الله على خير خلقه

سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين».

* * *

(٩)

إسعاف أهل الإيمان
بأربعين حديثاً في فضائل القرآن

تأليف

الشيخ الإمام الفاضل

عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

نفع الله به وبعلومه وأسراره

آمين آمين آمين



هذا الكتاب

كتاب جليل مبارك كريم، جمع فيه علامة الدنيا، نفعنا الله به، أربعين حديثاً في فضائل كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والكتاب في الواقع اشتمل على أكثر من أربعين حديثاً، إذْ إن المؤلف رحمه الله كان يجمع الأشباه والنظائر من الأحاديث الكريمة تحت ترجمة واحدة، فبلغ عدد ما احتواه من الأحاديث ١٣٢ حديثاً.

وذكر في ديباجة الكتاب أنه جمعه بطلب من بعض من يعز عليه من أهل الفضل، وجمع وفرغ من جمعه في منتصف شهر ذي القعدة عام (١١٥٣هـ).

وهو وإن كان قد اشترط في مقدمة الكتاب أن لا يورد فيه حديثاً واهياً ولا موضوعاً، ولكن هذا الشرط لم يتفق مع جميع الأحاديث الواردة في الكتاب، فقد تبين وجود أحاديث هي في عداد الموضوعات، كما نص على ذلك كبار النقاد والمحدِّثين من أهل القرون المتقدمة. والعذر للمؤلف مبسوط؛ لأنه اعتمد في نقل هذه الأحاديث على من قبله، كمؤلف كتاب «كنز العمال»؛ لأنه يذكر في بعض المواضع كلامَه على الحديث بنصه، أو يعزوه إلى مخرِّجه الذي ذكره صاحب «الكنز» بعينه، ومثل هذا لا يكون توارداً إلا أن يكون نقلاً، والله أعلم.

وصف النسخ الخطية:

تمت الاستعانة في التصحيح بثلاث نسخ خطية:

النسخة الأولى: محفوظة في مكتبة الأحقاف بتريم، ضمن مجموع رقمه ٢٨٣٧،

وهي الكتاب الرابع فيه. فرغ ناسخها منها آخر شهر شعبان سنة ١٢٥٠هـ. وتقع في ١٧ لوحاً = ٣٤ صفحة.

النسخة الثانية: من مكتبة خاصة بحضرموت. فرغ منها ناسخها ضحى يوم الخميس، ١٢ محرم سنة ١٢٧٩هـ. تقع في ١٨ لوحاً = ٣٦ صفحة. وهي مما حازه وملكه السيد أحمد بن علوي السري. وفي الصفحة الأخيرة كتب تاريخ ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣هـ، فلعله تاريخ فراغ أحد القراء من قراءة الكتاب والاطلاع عليه.

النسخة الثالثة: في حوزة بعض ذرية المؤلف، في مدينة تريم، وهي نسخة فرغ منها ناسخها ضحى يوم الخميس ١٣ صفر سنة ١٣٢٩، وقوبلت على نسخة قرئت وقوبلت على نسخة المؤلف، فبين نسختنا والأصل واسطة واحدة. تقع في كراسين، ٣٤ صفحة. وعلى هذه النسخة طبع الكتاب طبعته الأولى في بيروت، صادراً عن دار البشائر الإسلامية، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

طريقة العمل في الكتاب:

١- تم نسخ الكتاب ومقابلته على النسخ الثلاث بقدر الإمكان.

٢- تم الرجوع إلى أكثر المصادر التي استقى منها المؤلف أو ذكرها غالباً.

٣- تم ترقيم الأحاديث وعزوها الى مصادرها الأصلية.

٤- تم اختصار التخريج والعزو المطول الذي في النسخة المطبوعة.

* * *

هـ

كتاب اسعاف اهل الايمان باربعين
حديثا في فضايل القران
تاليف الشيخ الامام الفاضل
عبد الرحمن بن عبد الله
بلفقيه
نفع الله به وبعلومه واسراره امين امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل القرآن العظيم والفرقان القويم وهدى به عباده إلى الصراط المستقيم وبين فيه كل شيء وفصله تفصيلاً بغاية التوضيح والتقسيم وأوضح به جميع العلوم ومواضع التعلم والتعليم وزينه بسنة نبيه الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكمل صلاة وأفضل تسليم وبعد

فهذه أربعون حديثاً في فضل القرآن دعاني إلى جمعها من يعز علي من أهل الفضل وجمعتها من كتب الأحاديث ليس فيها واه ولا موضوع ووشحتها بتفسير الغريب والله المستعان وعليه التكلان الحديث الأول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أفضل من كل شيء دون الله وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن لم يوقر القرآن فقد استخف بحق الله وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القرآن شفع ومن محل به القرآن صدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبسون نور الله المتعلمون كلام الله من عاداهم فقد عادى الله

ومن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي نزل القرآن العظيم والفرقان القويم
وهدى به عباده الى الصراط المستقيم وبين فيه كل شيء
وفصله تفصيلا بغاية التوضيح والتفهيم وأوضح به
جميع العلوم ومواضع التعلم والتعليم ثم بينه بسنة
نبيه الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكمل صلاة
وأفضل تسليم وبعد فهذه أربعون حديثا في فضل
القرآن دعاني الى جمعها بعض علي من أهل الفضل
وجمعتها من كتب الحديث ليس فيها واه ولا موضوع
ووشحتها بتفسير الغريب والله المستعان وعليه
التكلان الحديث الأول عن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم القرآن أفضل من كل شيء دون الله وفضل
القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فمن وقر
القرآن فقد وقر الله ومن لم يوقر القرآن فقد استخف
بحق الله وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده
القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القرآن
شفع ومن محل به القرآن صدق ومن جعله امامه قاده
الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وحملة القرآن هم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل القرآن العظيم، والفرقان القويم، وهدى عباده إلى الصراط المستقيم، وبين فيه كل شيءٍ وفصله تفصيلاً، بغاية التوضيح والتقسيم، وأوضح به جميع العلوم ومواضع التعلم والتعليم، ثم بينه بسنة نبيه الكريم، سيدنا محمد ﷺ أكمل صلاة وأفضل تسليم.

وبعد؛ فهذه:

«أربعون حديثاً في فضل القرآن»

دعاني إلى جمعها من يعزُّ عليَّ من أهل الفضل، وجمعتُها من كتبِ الحديث ليس فيها واهٍ ولا موضوع، ووشحتها بتفسير الغريب، والله المستعان، وعليه التكلان.

الحديث الأول

[١] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «القرآن أفضل من كل شيءٍ دون الله، وفضْلُ القرآن على سَائر الكلام كفضل الله على خلقه، فمن وقّر القرآن فقد وقر الله، ومن لم يوقر القرآن فقد استخفَّ بحق الله.

وحرمةُ القرآن كحرمَة الوالدِ على ولده.

القرآن شافعٌ مشفّع، وماحِلٌ مصدَّقٌ، فمن شفعَ له القرآن شفعَ، ومن محَلَ به القرآن صدق، ومن جعله إمامَه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفَه ساقه إلى النار.

حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون نور الله، ومن والاهم فقد والى الله. يقول الله: يا حملة كتاب الله، استجيبوا لله بتوقير كتاب الله يزدكم الله حباً ويحببكم إلى خلقه. يدفع عن مستمع القرآن سوء الدنيا، ويدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة، ولمستمع آية من كتاب الله خير له من صبر ذهباً، وتالي آية من كتاب الله خير له من ما تحت أديم السماء. وإن في القرآن لسورةً تُدعَى العظيمةَ عند الله، يدعى صاحبُها الشريفَ عند الله، ويشفع صاحبُها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر، وهي سورة يس»[1].

رواه الحاكم في «تاريخه»، ورواه أبو نصر في «الإبانة» عن عائشة رَضِيَ الله عنها، وقال: «هذا من أحسن الحديث وأغرَبه، وليس في إسناده إلا مقبول ثقة»، ورواه الحكيم الترمذي[2] عن محمد الباقر عن النبي ﷺ.

[شرح الغريب]:

ومعنى «شافعٌ مشفّعٌ عند الله»، أي: شافع مقبولٌ عند الله، ما يردُّ.

ومعنى «مَاحِلٌ»؛ أي: خصيمٌ، مجادلٌ.

[ومعنى] «مصدَّق»؛ أي: إذا شهد لصاحبه، أو شهد عليه.

ومعنى «مَن جعله إماماً»؛ أي: اتبعه وعمل بما فيه.

ومعنى «مَن جعله خلفَه»؛ أي: أعرض عنه وخالفه.

و«صَبِر» في قوله: «خيرٌ له من صَبِرِ ذهباً»؛ أي: من مثل صبر ذهباً، وهو جبلٌ كبير باليمن، يقال له: جبلُ صَبِر، وجبل صبير، بالياء المثناة بعد الموحَّدة وتركها.

---

(١) أورده صاحب «كنز العمال»: ١/ ٥٢٧ برقم (٢٣٦٢).

(٢) أورده الغافقي في «اللمحات» برقم (١١٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور»: ٥/ ٢٥٧، والقرطبي في «التذكار»: ص٢٥٧.

الحديث الثاني

[٢] عن علي بن أبي طالب أيضاً، رَضِيَ الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنةٌ»، قلتُ: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدَكم، وحكْم ما بينكم، هو الفصْلُ ليسَ بالهزل، من تركه من جبَّارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبلُ الله المتين، وهو الذكْر الحكيم، وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا تزيغُ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تفقه الجنُّ إذ سمعَته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن:١-٢]. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكمَ به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم».

رواه الترمذي، والدارمي[1].

[شرح الغريب]:

ومعنى «**هو الفصْلُ**»؛ أي: الفاصل بين الحق والباطل.

ومعنى «**قصمَه الله**»: أهلكه الله.

ومعنى «**لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة**»: أنه محفوظ بحفظ الله، ومعلوم بالتواتر المتصلِ سلفاً عن خلفٍ، في جميع حروفه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت:٤٢].

ومعنى «**لا تشبعُ منه العلماء**: أنّ من يفهمُ معانيه لا يشبع منه؛ لأن الفهومَ تتجدّد فيه كل حين، والعلومُ تتفجر منه بكل عين.

---

(١) الترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي (٣٥٩٥) و(٣٥٩٦).

وهو معنى «**لا يَخلَقُ بكثرة الردّ**» أي: لا يزال جديداً، كأنه يوم نزل طريًا، كأن سامعَه لم يسمعه قبل من كثرة الردِّ، أي: الترديد. كلّما أعاده قارئه فهمَ منه معاني أُخر، غير التي فهمها قبل الإعادة، فكأنه غيرُ خلِقٍ. والخلِقُ، بكسر اللام: القديمُ، العتيق.

ومعنى «**مَن عمِلَ به أُجِر**»: أن ألفاظَه يؤجَر فيها القارئ، كل حرفٍ بعشر حسناتٍ، وإن لم يعرف معناه. والله يضاعف لمن يشاء، إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

الحديث الثالث

[٣] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآنَ، ثم رأى أن أحداً أعْطِيَ أفضلَ مما أعطي، فقد استصغر ما عظّمه الله». رواه الطبراني[١].

[٤] ورواه الخطيب أيضاً بلفظ: «مَن قرأ القرآن فرأى أن من خلق الله أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد صغر ما عظّمه الله، وعظم ما صغره الله. لا ينبغي لحامل القرآن أن يجد فيما يجد، ولا يجهل فيمن يجهل، ولكن يعفو ويصفح لعز القرآن»[٢]، انتهى.

[شرح الغريب]:

وسيأتي تفسير «**يـَحِدُّ فيمنْ يَحِدُّ**». ومعنى ذلك : أن القرآن أكبر كل نعمة على العبد، إذا أوتيه، لما في بقية أحاديث له[٣]: «**غنًى لا فقر بعده**»[٤]، وأنه «**دواءٌ**

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»، في الجزء المفقود، وهو في «مجمع الزوائد»: ٧/ ١٥٩. و«فضائل القرآن» لابن كثير: ص ٢٩٧، و«تخريج الإحياء»: ١/ ٢٤٣. وعزاه الزبيدي إلى محمد بن نصر في كتاب «الصلاة»، والصواب أنه في «قيام الليل» له.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد»: ١١/ ٤٢.

(٣) أي للخطيب البغدادي.

(٤) من حديث أنس عند الخطيب في «تاريخ بغداد»: ١٤/ ٥٤٢، وغيره.

من كل داء»[١]**، وأنه «شافعٌ مشفَّع»**[٢]**، وغير ذلك. فهو أكبر نعمة يؤتاها العبد.**

الحديث الرابع

[٥] عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار، يحل حلاله، ويحرم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة. وإذا كان يوم القيامة كان له حجيجاً، فيقول: يا رب؛ كل عاملٍ يعملُ في الدنيا يأخذ بعمَله، إلا فلانٌ، كان يقوم بي آناء الليل والنهار، فيحلُّ حلالي، ويحرم حرامي، يارب فأعطه.

فيتوجه الله تاج الملك، ويكسوه من حلل الكرامة، ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يارب، أرغبُ له في أفضل من هذا، فيعطيه الله عز وجل الملك بيمينه، والخلد بشماله، ثم يقال له: هل رضيتَ؟ فيقول: نعم يا رب.

ومن أخذَه بعدما يدخلُ في السنِّ، فأخذَه وهو يتفلّتُ منه، وهو لا يدعه، أعطاهُ الله أجرَه مرتين». رواه البيهقي في «الشعب»[٣].

[٦] وروى أيضاً هو[٤] والطبراني عن معاذ بن جبل رَضِيَ الله عنه، بلفظ: «من قرأ القرآن وعملَ بما فيه، وماتَ في الجماعة، بعثه الله يوم القيامة مع السفرة الكرام، والحكام البررة، ومن قرأ القرآن وهو يتفلتُ عنه لا يدعه، فله أجره مرتين.

ومن كان حريصاً عليه ولا يستطيعه ولا يدعه، بعثه الله يوم القيامة مع أشراف أهله، وفُضِّلوا على الخلائق كما فُضِّلت النسورُ على سائر الطير، وكما فضلت عين في مرج على ما حولها. ثم ينادي مناد: أين الذين كانوا لا تلهيهم رعية الأنعام عن تلاوة

---

(١) لم يتم الوقوف على تخريجه.

(٢) تقدم في الحديث الطويل الأول.

(٣) «شعب الإيمان» للبيهقي: ٢/ ٣٤٥ حديث رقم (١٩٩١).

(٤) أي: البيهقي في «الشعب» : المرجع السابق، حديث رقم (١٩٩٢).

كتابي؟ فيقومون، فيلبس أحدهم تاج الكرامة، ويعطى الفوز بيمينه، والخلد بشماله. فإن كان أبواه مسلمين كسيا حُلَّةً خيراً من الدنيا وما فيها، فيقولان: أنى هذه؟ فيقال: بما كان ولدكما يقرأ القرآن»(١).

[شرح الغريب]:

ومعنى قوله «**حَجيجاً**» أي: محاجًّا له، ومجادلاً عنه.

ومعنى «**آناء الليل والنهار**»: ساعتهما.

وقوله «**مع السفرة**»، أي: رسُل الله من بني آدم والملائكة. والسفير: الواسطة، فهم وسائط بين الله وخلقه.

و«**التاج**»: شيء يلبسه ملوك العجم، وقد تلبسه العروس.

ومعنى «**يتفلت عليه**» أي: هو علي عليه» : ه شاق.

ومعنى «**ولا يستطيعه ولا يدعه**» أي: يتركه.

«**بعثه الله مع أشراف أهله**» أي: أهل القرآن.

وفضل «**النسور**» على الطير: بالقوّة، وطول العمر، وغير ذلك.

و«**المرج**»: الأرض الواسعة، ذات النبات والأشجار.

ومعنى «**أنى هذه**»: من أين هذه، والله أعلم.

الحديث الخامس

[٧] عن أبي أمامة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ثلث القرآن فقد أعطي ثلُثَ النبوة، ومن قرأ نصف القرآن فقد أعطي نصف النبوة، ومن قرأ ثلثيه فقد أعطي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوة كلها، غير أنه لا يوحى

---

(١) الطبراني في «المعجم الكبير»: ٢٠/ ٧٢ حديث رقم (١٣٦).

إليه. ويقال له يوم القيامة: اقرأ وارْقَ، فيقرأ ويرقَى بكل آية درجة، حتى ينجز ما معه من القرآن، ثم يقال: اقبض، فيقبض، ثم يقال له: هل تدري ما في يديك؟ فإذا في يده اليمنى الخلد، وفي الأخرى النعيم». رواه البيهقي وابن عساكر(١).

[٨] وروى أحمد(٢) من حديث معاذ بن أنس رَضِيَ الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن كُتبَ مع الصديقين والشهداء والصالحين، وحسُنَ أولئك رفيقاً».

[٩] وروى الطبراني، ومحمد بن نصرٍ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، ومن قرأ القرآنَ فرأى أن أحداً أعطي أفضلَ مما أعطيَ فقد عظَّم ما صغر الله، وصغر ما عظم الله. وليس ينبغي لحاملِ القرآن أن يسفه فيمن يسفه، أو يغضبَ فيمن يغضب، أو يحتدَّ فيمن يحتدّ، ولكن يعفو ويصفحُ لفضْلِ القرآن»(٣)، انتهى.

وقد مرَّ في (الحديثِ الثالث) بلفظ: «يـحِدّ»، وهو بمعنى (يحتد): من الحدَّة، وهو نوعٌ من الغضب.

[١٠] وروى الرافعي عن أبي أمامة رَضِيَ الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قرأ الرجلُ القرآن واحتَشى من أحاديث رسول الله ﷺ وكانتْ هناك غريزةٌ، كان خليفةً من خلفاء الأنبياء»(٤).

---

(١) البيهقي في «شعب الإيمان»: ٢/ ٥٢٢ رقم (٢٥٨٩).

(٢) «مجمع الزوائد»: ٧/ ١٦٢.

(٣) «مجمع الزوائد»: ٧/ ٢٥٩، ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (١٥٩).

(٤) الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين»: ١/ ١٢٦، وينظر «ميزان الاعتدال» للذهبي: ٦/ ٥٢٠ ترجمة رقم (٨٧٩١). فائدة: قال الإمام الرافعي رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: «والمقصود: أن الطبيعة القويمةَ إذا ساعدَتْ علم الكتاب والسنة، كان صاحبها من خلفاء الأنبياء وورائهم»، انتهى.

الحديث السادس

[١١] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فحفظه واستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه، أدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار». رواه الترمذي، والبيهقي، وابن عساكر(١).

[١٢] ورواه الخطيب(٢) عن عائشة رَضِيَ الله عنها.

الحديث السابع

[١٣] عن سعيد بن سليم مرسلاً عن النبي ﷺ قال: «ما من شفيعٍ أفضلُ منزلةً عند الله يوم القيامة من القرآن، لا نبيٌّ ولا ملكٌ، ولا غيره»(٣).

[١٤] وروى الطبراني عن ابن مسعود رَضِيَ الله عنه: «القرآن شافعٌ مشفَّع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قادَه إلى الجنة، ومن جعله خلفَ ظهره ساقه إلى النار»(٤).

[١٥] وروى مسلم عن أبي أمامة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتين أو غيايتين أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن أصحابهما، ولا يستطيعها البطلة»(٥).

---

(١) الترمذي برقم (٢٩٠٥)، والبيهقي في «الشعب»: ٢/ ٣٢٩ برقم (١٩٤٧).

(٢) في «تاريخ بغداد» في عدة مواضع: ٥/ ١٢٩، و٦/ ١١٦، و ١٣/ ٣٣٤، وطرفه عنده: «من تعلم القرآن..».

(٣) أورده الغزالي في «الإحياء»: ١/ ٢٤٥ في أول كتاب آداب تلاوة القرآن، قال ابن السبكي في «طبقاته الكبرى»: ٦/ ٣٠١: «لم أجد له إسناداً».

(٤) الطبراني في «الكبير»: ٩/ ١٤١ رقم (٨٦٥٥). وهو عنده مرفوع أيضاً: ١٠/ ٢٤٤.

(٥) «صحيح مسلم» في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، رقم (٨٠٤).

[شرح الغريب]:

وقوله «**الزهراوين**»، تأنيث الأزهر، وهو: المضيء.

وقوله «**غمامتان**»: **الغمامة**: السحابة.

و«**الغياية**»: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة، أو غيرها.

و«**الفَرْقَان**»، بفتح الفاء، من الطير: القطعتان.

و«**الصَّوَافّ**»: الباسِطةُ أجنحتها، تفضل ببعضها بعض، جمع صافَّة، والله أعلم.

الحديث الثامن

[١٦] عن أنس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»؛ رواه النسائي، وابن ماجه، والحاكم[١].

[١٧] ورواه الخطيب بلفظ: «**آلُ القرآن آل الله**»[٢]، انتهى.

[١٨] وروى الطبراني عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**حملة القرآن عرفاء أهل الجنة**»[٣].

[شرح الغريب]:

و«**العرفاء**»: الرؤساء.

و«**الآلُ**» و«**الأهل**»: بمعنى، وفي آل معنَى التعظيم.

---

(١) النسائي في «السنن الكبرى» برقم (٨٠٣٦)، و في «فضائل القرآن» (٥٦)، وابن ماجه برقم (٢١٥)، والحاكم في «المستدرك»: ١/ ٧٤٣ برقم (٢٠٤٦)، وطرفه عند بعضهم: «إن لله أهلين..» الحديث.

(٢) الخطيب في كتاب «الرواة عن مالك»، كما في «كشف الخفا» للعجلوني: ١/ ١٧.

(٣) الطبراني في «المعجم الكبير»: ٣/ ١٣٢ برقم (٢٨٩٩).

الحديث التاسع

[١٩] عن عثمان بن عفان رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُكُم من تعلمَ القرآن وعلمَه»، رواه البخاري[١].

[٢٠] وفي رواية لابن عساكر: «أفضلُكم من تعلّم القرآن وعلّمه»[٢].

الحديث العاشر

[٢١] عن النعمان بن بشير رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضَل عبادةِ أمتي تلاوةُ القرآن»، رواه أبو نعيم[٣].

[٢٢] ورواه أبو نصرٍ عن أنس بلفظ: «أفضل العبادة قراءة القرآن»[٤]، انتهى.

وإنما كان أفضلَ العبادة؛ لأنه ذكرٌ، وعلمٌ، وحفظ، وغير ذلك.

الحديث الحادي عشر

[٢٣] عن عقبة بن عامر رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار»، رواه الإمام أحمد وغيره[٥].

و«**الإهاب**»: بكسر الهمزة: الجلدُ مطلقاً، وقيلَ: خاصٌّ بغير المدبوغ.

---

(١) في «صحيحه» في كتاب فضائل القرآن برقم (٥٠٢٧).

(٢) «تاريخ دمشق»: ٣٤/ ١٦٣. هي عند البخاري في «صحيحه» برقم (٥٠٢٨) من حديث عثمان بلفظ: «إن أفضلكم..».

(٣) أبو نعيم في «فضائل القرآن»، كما عزاه له الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: ١/ ٢٤٥.

(٤) أورده المتقي الهندي في «كنز العمال» برقم (٢٢٦٣)، وعزاه إلى السجزي في «الإبانة» كما هو صنيع المصنف هنا.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١٧٤٢٠).

[٢٤] ورواه الطبراني عن عصمة بن مالك بلفظ: «لو جمع القرآنُ في إهابٍ ما أحرقته النار»(١).

[٢٥] ورواه أيضاً عن سهل بن سعد: «لو كان في إهاب ما مسّته النار»(٢).

[شرح الغريب]:

قال أبو عبيد: «المراد بالإهاب: قلبُ المؤمن، وجوفُه الذي قد وعَى القرآن». وقال غيره: «معناه: أن من جمعَ القرآن ثم دخل النار فهو شرٌّ من الخنزير». وقال ابن الأنباري في معناه: إن النار لا تبطله، وتقلعه من الأسماع التي قد وعته، والأفهام التي حصلته. كقوله في الحديث الآخر: «وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء»(٣)، أي: لا يبطله، ولا يقلعه من أوعيته القلبية؛ لأنه وإن غسله في الظاهر، لا يغسله بالقلعِ من القلوب والألسُن.

الحديث الثاني عشر

[٢٦] عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجلَّ قرأ طه ويس قبلَ أن يخلق الخلقَ بألفِ عامٍ، فلما سمعَت الملائكة القرآن قالت: طوبى

---

(١) الطبراني في «الكبير»: ١٧/ ١٨٦ برقم (٤٩٨).
وأخرجه أيضاً: ابن حبان في «المجروحين»: ٢/ ١٤٨ ترجمة رقم (٧٥٦)، وابن عدي في «الكامل»: ٦/ ٢٠٤١، والبيهقي في «الشعب»، وفيه راوٍ ضعيف.

(٢) الطبراني في «الكبير»: ٦/ ١٧٢ برقم (٥٩٠١).

(٣) حديث قدسي، أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٧١٣٦). قال الإمام النووي: «أما قوله تعالى: «لا يغسله الماء»، فمعناه: محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مَرِّ الأزمان»، انتهى.

لأمة تنـزل عليهم هذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تنطق بهذا»، رواه الدارمي، وابن أبي عاصم، وابن خزيمة[١].

[٢٧] ورواه الخطيب والديلمي عن أنس بلفظ: «قبل أن يخلق آدم بألفي عام»[٢]، انتهى.

[شرح الغريب]:

ومعنى «طوبى»: من الطيب، أي: طابت أحوالهم، وقيل: هو اسم للجنة، وقيل: شجرة بها، انتهى.

الحديث الثالث عشر

[٢٨] عن أبي سعيد سعد بن مالك الخدري الأنصاري رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري وعن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»، رواه الترمذي، والدارمي، والبيهقي[٣].

[٢٩] ورواه ابن شاهين بلفظ: «من شغله قراءةُ القرآن عن دُعَائي ومسْألتي أعطيته أفضلَ ثوابِ الشاكرين»[٤]، انتهى.

---

(١) الدارمي في «مسنده» برقم (٣٦٧٩)، و«السنة» لابن أبي عاصم ١/ ٢٦٩ برقم (٦٠٧)، وابن خزيمة في «التوحيد»: ١٦٦.

(٢) عزاه صاحب «كنز العمال» (٢٦٨١) إلى كتاب «المتفق والمفترق» للخطيب، والديلمي في «الفردوس» برقم (٦٥٢).

(٣) الترمذي في باب ثواب القرآن برقم (٢٩٢٦)، والدارمي برقم (٣٦٢١)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٥٣٧)، و(٤٠٨٠).

(٤) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» برقم (١٥٣).

الحديث الرابع عشر

[٣٠] عن عقبة بن عامر رَضِيَ الله عنه قال: خرجَ علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحبّ أن يغدو كل يومٍ إلى بُطْحان أو العقيق، فيأتي بناقتين كوماءَين، من غير إثمٍ، ولا قطيعة رحم». فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك.

قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلمَ، أو يقرأ، آيتين من كتابِ الله خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خير له من ثلاثٍ، وأربعٌ خير له من أربعٍ، ومن أعدادهنَّ من الإبل». رواه مسلم(١).

[٣١] وفي رواية له أيضاً عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خَلِفات عظَامٍ سمان». قلنا: نعم. قال: «فثلاث آياتٍ يقرأهنَّ أحدكُم في صلاته، خيرٌ له من ثلاث خلفات عظامٍ سمان»(٢)، انتهى.

[شرح الغريب]:

قوله: «ونحْنُ في الصّفَّة»: هو موضعٌ في مؤخَّر المسجد، يُظلَّلُ عليه بالجريد وسعَف النخل، يجتمعُ فيه فقراء المهاجرين ممن لا بيتَ لهم.

و«بُطْحان، والعقيق»: كلٌّ منهما فرادَى من أودية المدينة، على ميلين أو ثلاثةٍ منها، بهما تباع الإبل.

و«الكَوماء» من النُّوق: العظيمةُ السنامِ العالي، وهي بفتح الكاف. وقوله: «من أعدادهن من الإبل»، أي: الأربع خير له من أربع نوق، ومن أعدادهن من

---

(١) «صحيح مسلم»، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة برقم (٨٠٣).

(٢) «صحيح مسلم»، الباب السابق، حديث (٨٠٢).

الإبل. قوله: «**من غير إثمٍ أو قطيعة رحم**»؛ أي: حلال، لا بسرقة، ولا غصب، ولا غيرِ ذلك. وقوله «**خلِفات**» بفتح الخاء وكسر اللام، وهي: الملاقيحُ التي في بطونها أولادُها من الإبل.

الحديث الخامس عشر

[٣٢] عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسدَ إلا على اثنين: رجلٍ آتاه الله القرآنَ فهو يقرأ به آناء الليل والنهار، ورجلٍ آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل والنهار». رواه البخاري ومسلم[١].

[٣٣] وفي رواية للبخاري عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه: «لا حسدَ إلا في اثنين: رجلٍ علمَه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل»[٢].

[٣٤] ورواه محمد بن نصر عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه بلفظ: «أعطاه الله مالاً فأنفقه في سبيل الله»[٣].

[٣٥] ورواه أبونعيم عن ابن عمرو بلفظ: «رجل آتاه الله مالاً فصرفه في سبيل الخيرات»[٤]، انتهى.

[شرح الغريب]:

والمراد بـ«الحسَد» هنا: الغبطة، وهي محمودة. وهو: أن يتمنى أن يعطَى مثل

---

(١) البخاري برقم (٤٧٣٧)، ومسلم برقم (٨١٥).

(٢) البخاري برقم (٤٧٣٨).

(٣) محمد بن نصر في «المختصر من قيام الليل»: ص ٢٨؛ و«كنز العمال» رقم (٢٤٤٦).

(٤) أبونعيم في «حلية الأولياء»: ٨/ ٤٦.

ما أعطيَ المغبوطُ، وليس المرادُ الحسدَ الحرامَ المذموم، وهو أن يتمنى زوال نعمة المحسود، وقعَتْ أم لا، والله أعلم.

الحديث السادس عشر

[٣٦] عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف. وإن القرآن يكفي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أضمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل ناظر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة لي، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار. ويلبس والداه حلتين لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذًّا كان أو ترتيلاً». رواه الإمام أحمد، والبيهقي، والحاكم في «المستدرك»[1].

[شرح الغريب]:

قوله «**كالرَّجُل الشاحب**» بالحاء المهملة: المتغير اللون من سفر وجوعٍ، وغيرهما. وقوله «**هذًّا**» بفتح الهاء وتشديد الذال المعجمة: وهو الإسراعُ بالقراءة. و«**الترتيلُ**»: التأنّي فيها، والله أعلم.

---

(١) حديث بريدة بطوله عند الإمام أحمد في «المسند» برقم (٢٢٩٥٠) و(٢٢٩٧٥) و(٢٣٠٤٩)، والبيهقي في «الشعب» برقم (١٩٨٩)، والحاكم في «المستدرك»: ١/ ٧٥٢. وأصله في «صحيح مسلم» من حديث النواس بن سمعان.

الحديث السابع عشر

[٣٧] عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري معاً ـ رَضِيَ الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود، لا يهولهم الفزع، ولا ينالهم الحساب حتى يفرغ الله ما بين الناس، رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل، وأم به قوماً وهم به راضون، ورجل أذن في مسجد دعاء إلى الله ابتغاء وجه الله؛ ورجل مملوك ابتلي بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن طلب الآخرة»، رواه البيهقي، والسجزي في «الإبانة»، والخطيب[١].

[شرح الغريب]:

و«**المسك الأسود**»، ويقال «**الأذْفَر**»: هو الذي غلب سوادُه، أحسن أنواعِ المسك، والله أعلم.

الحديث الثامن عشر

[٣٨] عن شداد بن أوس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يأخذ مضجعَه، ويقرأ سورةً من كتاب الله تعالى، إلا وكل الله به ملكاً فلا يقربه شيء يؤذيه، حتى يهبَّ من نومه**»، رواه الإمام أحمد، والترمذي[٢].

[٣٩] وروى ابن عساكر عن شداد أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أخذ أحدكم مضجعه [ليرقد] فليقرأ بأم الكتاب وسورةٍ، فإن الله يوكل به ملكاً يهبُّ معه إذا هبَّ**»[٣].

---

(١) البيهقي في «الشعب» برقم (٢٠٠٢) و(٣٠٦٠)، والخطيب في «تاريخه»: ٤/ ٥٦٤.

(٢) أحمد في «المسند»: ٤/ ١٢٥. وطرفه: «ما من رجل يأوي إلى فراشه..»، والترمذي برقم (٣٤٠٧).

(٣) ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ٢٢/ ٤١٣؛ وليس فيه لفظة «ليرقد».

[٤٠] وروى أبوداود، والترمذي، والطبراني، عن فروة بن نوفل، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أخذتَ مضجعَك من الليل فاقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، ثم نَم على خاتمتها فإنها براءةٌ من الشرك»[١].

[٤١] وروى ابن السني عن أنس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أخذت مضجعك فاقرأ سورة الحشر، فإن مَتَّ متَّ شهيداً»[٢].

[شرح الغريب]:

ومعنى «**أخذ مضجعه**»: إذا قصد أن ينام في موضع.

ومعنى «**هب من نومِه**»: انتبه من نومه.

الحديث التاسع عشر

[٤٢] عن أنس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره»، رواه البزار[٣].

[٤٣] وروى البيهقي عن عائشة بلفظ: «[البيت] الذي يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما يتراءى النجم لأهل الأرض»[٤].

[٤٤] وروى ابن أبي شيبة، ومحمد بن نصر، عن أنس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البيت إذا قرئ فيه القرآن حضرته الملائكة، وتنكبت عنه الشياطين، واتسع على أهله، وكثر خيره، وقل شره، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته

---

(١) أبوداود برقم (٥٠٥٥)، والترمذي برقم (٣٤٠٣)، والطبراني في «الكبير»: ٢/ ٢٨٧ (٢١٩٥)، و«الأوسط»: ١/ ٢٧٢ برقم (٨٨٨)، و٢/ ٢٧٥ برقم (١٩٦٨).

(٢) ابن السني برقم (٧١٨)، ولفظه: «**أن رسول الله أوصى رجلًا إذا أخذ مضجعه**».

(٣) «كشف الأستار»: ٣/ ٩٣ برقم (٢٣٢١)، و[illegible]

الشياطين، وتنكبت عنه الملائكة، وضاق على أهله، وقل خيره، وكثر شره»[١]، انتهى.

ومعنى «تنكّبت»: مالت.

الحديث العشرون

[٤٥] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرٌّ ولا ريحَ لها»، رواه البخاري ومسلم[٢].

[٤٦] وروى الترمذي، والحاكم عن ابن عباس رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[٣]، انتهى.

[شرح الغريب]:

و«الأترجة» بضم الهمزة والراء، ويقال: أترنجة بزيادة نون ساكنة قبل الجيم: نوعٌ من الفواكه، وهي من أفضل الثمار، لكبر جرمها، وحسن منظرها، وطيب طعمها، ولين ملمسها، ولونها أصفر تسر الناظرين، تفيد اللذة[٤]، ثم طيب النكهة، ودباغ المعدة، وقوة الهضم، ومنافعها كثيرة.

---

(١) ابن أبي شيبة: ١٠/ ٤٨٧ (١٠٠٧٦)، و«كنز العمال» برقم (٢٤٣٧).

(٢) البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل القرآن برقم (٥٤٢٧)، وفي كتاب التوحيد برقم (٧٥٦٠)، ومسلم في صلاة المسافرين برقم (٧٩٧).

(٣) الترمذي برقم (٢٩١٣)، والحاكم في «المستدرك»: ١/ ٥٥٤.

(٤) في هامش النسخة الثانية: لعلها تشد اللثة.

و«**الخرب**» بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المهملة: الخارب، والله أعلم.

الحديث الحادي والعشرون

[٤٧] عن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن سببٌ، طرفه بيد الله، وطرفه بيدكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»، رواه ابن أبي شيبة[١].

[٤٨] ورواه ابن أبي شيبة، وابن حبانَ، عن زيد بن أرقم رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم كتاب الله، هو حبل الله، ومن اتبعه كان على الهدى، ومن تركَه كان على الضلالة»[٢].

[٤٩] وروى الطبراني عن ابن عباس رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلَّم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله به من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب»[٣]، انتهى.

[شرح الغريب]:

و«**السبَبُ**»: الحبلُ الذي يتوصل به إلى الماء ونحوه.

الحديث الثاني والعشرون

[٥٠] عن أبي ذر رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم لا ترجعون إلى الله بشيءٍ أفضلَ مما خرج منه**»، يعني: القرآن. رواه الحاكم[٤].

---

(١) ابن أبي شيبة: ١٠/ ٤٨١ (١٠٠٥٥).

(٢) ابن أبي شيبة: ١٠/ ٥٠٥ (٣٠٠٧٨)، وابن حبان برقم (١٢٣).

(٣) الطبراني في «الكبير»: ١٢/ ٤٨ برقم (١٢٤٣٧)، و«الأوسط»: ٥/ ٣٣٢ برقم (٥٤٦٦).

(٤) في «المستدرك»: ١/ ٧٤١ (٢٠٣٩).

[٥١] وروى ابن ماجه عن أبي ذر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن تغدوَ فتعلمَ آيةً من كتاب الله خيرٌ لك من أن تصلي مئة ركعة»(١).

[٥٢] وروى البيهقي عن النعمان بن بشير رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن»(٢).

[٥٣] البيهقي والدارقطني عن عائشة رَضِيَ الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة، وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضلُ من التسبيح والتكبير، والتسبيحُ أفضَل من الصدقة، والصدقة أفضلُ من الصوم، والصومُ جنةٌ من النار»(٣)، انتهى.

[شرح الغريب]:

قوله: «**بشيء أفضل مما خرج منه**»، المراد: أفضل مما ظهَر عنده، كمن ابتدأ الخروجَ، وهو الظهور.

وقوله: «**الصوم جنة**». أي: وقاية من النار، والله أعلم.

الحديث الثالث والعشرون

[٥٤] عن عوف بن مالك الأشجعي، رَضِيَ الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من القرآن كُتِبَ له به حسنةٌ، لا أقول ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١-٢] حرفٌ، ولكن الألف حرف، واللام والميم والذال». رواه الطبراني وابن أبي شيبة(٤).

---

(١) «سنن ابن ماجه» برقم (٢١٩)، وطرفُه عنده: «يا أبا ذر،..» الحديث.

(٢) «شعب الإيمان»: ٤/ ٥٨٤ برقم (١٨٦٥)، وقد تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) البيهقي في «شعب الإيمان»: ٢/ ٤١٣ برقم (٢٢٤٣)، والدارقطني في «الأفراد» كما ذكر صاحب «كنز العمال» (٢٣٠٣).

(٤) الطبراني في «الكبير»: ١٨/ ٧٦ (١٤١)، و«الأوسط» (٣١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: ١٠/ ٤٦١ (٩٩٨٢).

[٥٥] ورواه الترمذي، والدارمي عن ابن مسعود رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ألف حرف ولام حرف، وميم حرف»[1].

[٥٦] وروى الديلمي عن أنس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن كتبَ له بكل حرفٍ عشرُ حسنات، ومن سمعَ القرآن كتب له بكل حرف حسنة، وحُشِر في جملة من يقرأ ويرقى»[2].

[٥٧] وروى الديلمي عن أنس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في صلاة قائماً كان له بكل حرف مئة حسنة، ومن قرأه قاعداً كان له بكل حرفٍ خمسونَ حسنةً، ومن قرأه في غير الصلاة كان له بكل حرفٍ عشرُ حسناتٍ، ومن استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة»[3].

[٥٨] وروى أحمد، والترمذي، وأبوداود، والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رَضِيَ الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن يومَ القيامة: اقرأ وارتقِ ورتلْ كما كنت ترتلُ في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرأها»[4].

[٥٩] وروى الحاكم في «تاريخه»، والبيهقي عن عائشة رَضِيَ الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عددُ درجِ الجنة عددُ آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجةٌ»[5]، انتهى.

---

(١) الترمذي برقم (٢٩١٠)، والدارمي برقم (٣٥٧١).
(٢) كنز العمال (٢٣٩٦)، وعزاه للديلمي، وأورده السيوطي في «الدر المنثور»: ١/ ٢٢.
(٣) أورده المتقي في «كنز العمال» برقم (٢٤٢٧).
(٤) الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٦٧٩٩)، الترمذي (٢٩١٤)، وأبوداود (١٤٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٥٦)، وليس عندهم زيادة: «يوم القيامة».
(٥) البيهقي في «الشعب»: ٢/ ٣٤٧ (١٩٩٨). وابن أبي شيبة: ١٠/ ٤٦٦ برقم (١٠٠٠١).

الحديث الرابع والعشرون

[٦٠] عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن، فاقرؤوه، فإن مثل القرآنَ لمن تعلمَ فقرأ وقامَ به، كمثل جرابٍ محشوٌ مسكاً يفوح ريحه كل مكان، ومثل من تعلمه فرقدَ وهو في جوفِه، كمثل جرابٍ أُوكِيَ على مسْكٍ»، رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه[١].

[٦١] وروى أبونعيم والديلمي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثَلُ القرآنِ ومثَلُ الناسِ، كمثل الأرض والغيث، بينما الأرضُ هامدةٌ ميتةٌ، إذ أرسل الله عليها بالغيث فاهتزت، ثم يرسل الوبلَ فيهتزُّ ويربو، ثم لا يزال يرسل الأوديةَ حتى تبذر وتنبُتَ وتزهو نباتها، ويخرجُ الله ما فيها من زينتها ومعايشِ الناس والبهائم، وكذلك فعلُ هذا القرآنِ بأناسٍ»[٢].

الحديث الخامس والعشرون

[٦٢] عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جمعَ القرآن كانت له عند الله دعوةٌ مستجابة، إن شاء عجَّلها له في الدنيا، وإن شاء أخَّرها له في الآخرة»[٣].

[٦٣] وروى الديلميّ عن أبي أمامة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لحامل القرآن دعوةٌ مستجابة»[٤].

---

(١) الترمذي برقم (٢٨٧٦)، والنسائي في «الكبرى»: ٥/ ٢٢٧ (٨٧٤٩)، وابن ماجه في مقدمة «سننه»: ١/ ٦.

(٢) «الدر المنثور» ٥/ ٣٦٦، و«كنز العمال» برقم (٢٤٥٧).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط»: ٦/ ٣٥٥ (٦٠٦٦).

(٤) عزاه لكتاب «الفردوس» صاحب «كنز العمال» (٢٣١٥) ولم أجده فيه.

[٦٤] وروى الخطيبُ عن أنس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لصاحب القرآن عند كل ختمةٍ دعوةٌ مستجابة، وشجرةٌ في الجنة، لو أن غراباً طار من أصلها لم ينته إلى فرعها حتى يدركَه الهرم»(١).

[٦٥] وروى ابن مردويه عن جابر أيضاً رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لقارئ القرآن دعوة مستجابة، فإن شاء صاحبها تعجّلها في الدنيا، وإن شاء أخرها إلى الآخرة»(٢).

الحديث السادس والعشرون

[٦٦] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآنُ ألف ألفِ حرفٍ، وسبعةٌ وعشرون ألفَ حرفٍ، فمن قرأه صابراً محتسباً فله بكل حرفٍ زوجةٌ من الحور العين»، رواه الطبراني، وابن مردويه، والسجزي(٣).

[٦٧] وروى أبونعيم، عن الحكم بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن صعب مستعصب على من كرهه، ميسر على من تبعه، وهو الحكمة، وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم، فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جامع القرآن، ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة»(٤).

---

(١) «تاريخ بغداد»: ١١/ ٣٤.

(٢) ينظر تخريج الحديث رقم (٦١) السابق.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط»: ٦/ ٣٦١ (٦٦١٦)، وحكم الذهبي في «الميزان»: ٣/ ٦٣٩ ببطلانه وفي «كنز العمال» (٢٤٢٦): «قال أبونصر [السجزي]: غريب الإسناد والمتن، وفيه زيادة على ما بين اللوحين، ويمكن حمله على ما نسخ منه تلاوةً مع المثبت بين اللّوحين اليوم»، انتهى. وعقب عليه السيد عبد الله الغماري بقوله: هذا حلٌ لا يفيد.

(٤) أورده صاحب «كنز العمال» برقم (٢٤٦٧) ولم يذكر من أي كتاب له.

[٦٨] وروى أبونعيم عن ابن عباس رَضِيَ الله عنهما: «القرآن ذو وجوه، فاحملوه على أحسنها»[١].

[٦٩] وروى ابن حبان، والطبراني، وأبونصر السجزي عن ابن مسعود رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع»[٢] انتهى.

[شرح الغريب]:

وقوله: «**لكل حرف منها ظهر وبطن**» أي: علم ظاهر يوجدُ من ظاهر اللفظ، **وباطنٌ** أي: علمٌ باطنٌ من العلوم التي لا يفهمها إلا الآحادُ العارفون. ولكل حرفٍ حدٌّ أي نهايةٌ، لكل من البطن والظهر.

«**ولكل حدٍّ مطّلعٌ**» بضم الميم، وتشديد الطاء المهملة؛ أي: موضع يصعد إليه من معرفة علمه، أي: يفهم ما يفهمه الذكي الألمعي، أو العارف، أو الثواب، أو العقاب الأخروي. والمراد: أن كُل حرفٍ من القرآن يتفجّر منه أنواع العلوم الظاهرة والباطنة.

الحديث السابع والعشرون

[٧٠] عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فأعرب في قراءته، كان له بكل حرف منه عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعرابٍ كان له بكل حرف عشر حسنات»، رواه البيهقي[٣].

---

(١) أورده صاحب «كنز العمال» برقم (٢٤٦٩).

(٢) ابن حبان (٧٥) إلى قوله: «وبطن» ولم يذكر ما بعده، والطبراني في «الكبير»: ٩/ ١٣٦ (٨٦٦٧).

(٣) «شعب الإيمان» برقم (٢٢٩٤).

[٧١] وروى أبونعيم[١] عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن بإعرابٍ فله أجرُ شهيد**».

[٧٢] وروى ابن الأنباري عن ابن عمر أيضاً، رَضِيَ الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فلم يعربه وكِّلَ به ملكٌ يكتبه له كما أنزلَ، بكل حرفٍ عشرُ حسنات، فإن أعرب بعضه ولم يعرب بعضَه وكل به ملكان يكتبانِ له بكل حرفٍ عشرينَ حسنةً، فإن أعربه وُكِّل به أربعةُ أملاكٍ يكتبون له بكلّ حرف سبعين حسنة»[٢].

[٧٣] وروى الطبراني، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»[٣].

[٧٤] وفي رواية للبيهقي[٤]: «أعربوا، وابتغوا غرائبه، وغرائبه: فروضه وحدوده، فإن القرآن نزلَ على خمسة أوجه: حلالٌ، وحرامٌ، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فاعملوا بالحلالِ، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال»، انتهى.

[شرح الغريب]:

ومعنى «**أعربه**»: بيَّنه، وبين حروفه، والإعرابُ: البيان.

ومعنى «**لم يعربه**»: لم يبينه، لعجزه لا لتقصيره في تعلمه، وقد مر في الحديث الرابع ما يشير إلى ذلك.

---

(١) فيما عزاه له صاحب «كنز العمال» برقم (٢٣٩١).

(٢) «الوقف والابتداء»: ١/ ١٦؛ و«كنز العمال» برقم (٢٣٩٢).

(٣) الطبراني في «الكبير»: ٩/ ١٣٩ برقم (٨٦٨٤)، والحاكم في «المستدرك»: ٢/ ٤٣٩، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٩١).

(٤) «شعب الإيمان» برقم (٢٢٩٣).

[٧٥] وروى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي، عن عائشة رَضِيَ الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآنَ وهو ماهرٌ به مع السفَرة الكرام البررة، والذي يقرأه وهو عليه شاقٌّ له أجران»[١].

الحديث الثامن والعشرون

[٧٦] عن حذيفة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحونَ أهلِ العشق وأهل الكتَابين، وسيجيء أقوامٌ من بعدي يرجِّعون بالقرآنِ ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوبِ الذي يعجبهم شأنهم»، رواه البيهقي، وابن عدي، ورزين[٢].

[٧٧] وروى الدارمي عن البراء بن عازب رَضِيَ الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حسِّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوتَ الحسنَ يزيدُ القرآن حُسناً»[٣].

[٧٨] وروى أبو داود، والبيهقي عن جابر رَضِيَ الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والعجَمي، فقال: «اقرؤوا فكلٌّ حسَنٌ، وسيجيء أقوامٌ يقيمونَه كما يقام القدح، يتعجَّلونه ولا يتأجلونه»، انتهى[٤].

فتحسينُ القرآن بالصوت الحسنِ، وتقويمُه، مطلوبٌ بما لا يخرجه عن لحونِ

---

(١) الإمام أحمد في «مسنده»: ٦/ ٤٨، والترمذي برقم (٢٩٠٤)، وابن أبي شيبة برقم (١٠٠٨٥)، وأصله في متفق عليه عند الشيخين.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» برقم (٢٦٤٩)، وابن عدي في «الكامل»: ٢/ ٧٨.

(٣) «مسند الدارمي» (٣٧٧٣).

(٤) رواه أبو داود برقم (٨٣٠)، والبيهقي في «الشعب»: ٥/ ٥٧٧ (٢٤٠٤).

العرب، وهو لغتُهم، بالمدِّ في غير محلِّه، وتقطيع الكلمات، وغير ذلك. فإن ذلكَ حرامٌ، وهو من لحون الشعر، والقرآن منزه عنه، فإنه قرآن عربي مبين.

و«القِدْحُ» بكسر القاف وسكون الدال المهملة، آخره مهملة أيضاً: السهم، والله أعلم.

الحديث التاسع والعشرون

[٧٩] عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا مسه الماء»، قيل: يا رسول الله، وما جلاؤها؟ قال: «كثرة ذكر الموت، وتلاوةُ القرآن»، رواه البيهقي[١].

[٨٠] وروى أبونعيم عن علي رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن هو الدواء»[٢].

[٨١] وروى ابن قانعٍ[٣] عن رجاءٍ الغنَوي رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما مدح الله به نفسه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله»، انتهى[٤].

فالقرآن شفاء للقلوب وللأبدان، قال الله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وذلك على قدر قوة إيمانِ القارئ والمستَشفي، والله أعلم.

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٠١٤).

(٢) أخرجه أبونعيم في «تاريخ أصبهان»: ١/ ٢٦٥.

(٣) كذا في النسختين أ، وب. وفي ج: نافع، وهو خطأ.

(٤) «معجم الصحابة» لابن قانع: ١/ ٢١٥.

الحديث الثلاثون

[٨٢] عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشيءٍ إذْنَه لحسَنِ الصوت بالقرآن»، رواه البخاري ومسلم(١).

ومعناه: ما استمع لشيءٍ كاستماعه لذلك، كناية عن تقرير ذلك وإجزال ثوابه.

[٨٣] وفي رواية: «ما أذن لشيءٍ إذنه لنبيٍّ حسَنِ الصَّوت».

[٨٤] وروى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسَ منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن»، انتهى(٢). **فقيل**: أراد من الاستغناء. **وقيل**: أراد به الترنّم بلحُون العرب، وهو الأصح، والله أعلم.

الحديث الحادي والثلاثون

[٨٥] عن أوس بن أبي أوس الثقفي(٣) رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قراءة الرجل القرآنَ في غير المصْحف ألفُ درجة، وقراءته في المصحفِ يضاعَف على ذلك إلى ألفي درجة»، رواه الطبراني، والبيهقي، وابن عدي(٤).

---

(١) البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٤)، وكتاب التوحيد (٧٤٨٢) و(٧٥٤٤). ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩٢). والرواية الثانية التي أوردها المصنف هي لفظ الشيخين.

(٢) البخاري كتاب التوحيد (٥٧٢٧).

(٣) كذا في النسخ الثلاث. وفي «الإصابة» ترجمة رقم (٣١٥): «عن ابن معين: أن أوس بن أوس الثقفي، وأوس بن أبي أوس الثقفي واحد، **وقيل**: إن ابن معين أخطأ في ذلك، والصواب: أنهما اثنان».

(٤) رواه الطبراني في «الكبير»: ١/ ١٩١ (٦٠١)، والبيهقي في «الشعب»: ٢/ ٤٠٧ (٢٢١٨)، وابن عدي في «الكامل»: ٧/ ٢٩٩ ولفظه فيه: **«قراءة الرجل القرآن في المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف بضعف ذلك ألفي درجة»** ومثله لفظ البيهقي.

[٨٦] ورواه ابن مردويه أيضاً بلفظ : «قراءتُكَ نظراً تُضاعف على قراءتك ظاهراً، كفضل المكتوبة على النافلة»(١).

[٨٧] وروى البيهقي وابن عدي : قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في المصحف كُتِبَ له ألفَا حسنةٍ، ومن قرأه في غير المصحف فألفُ حسنة»(٢).

[٨٨] وروى ابن النجار عن أنس رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن نظراً مُتِّع ببصره»(٣)، انتهى.

قال العلماء: في القراءة في المصحف أعمالٌ كثيرة، كحمل المصحف، وعملُ البصر في النظَر، وتوقيره، وغير ذلك، والله أعلم.

الحديث الثاني والثلاثون

[٨٩] عن فضالة بن عبيد وتميم الداري معاً رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عشر آياتٍ في ليلة كتبَ له قنطار، والقنطار خيرٌ من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربكم عز وجل: اقرأ وارق، لكل آية درجة، حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول الله عز وجل للعبد: اقبض، فيقبض، فيقول العبد: يا رب، أنت أعلم، فيقول: بهذه الخلد، وبهذه النعيم»، رواه الطبراني(٤).

[٩٠] وروى الديلمي عن عائشة رَضِيَ الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في ليلة مئتي آية، كتب من القانتين»(٥).

---

(١) عزاه في «كنز العمال» (٢٣٠٤) و(٢٨٢٢) إلى «تفسير ابن مردويه».

(٢) البيهقي في «الشعب»: ٢/ ٤٠٧ برقم (٢٢١٧)، وابن عدي: ٧/ ٢٩٩ برقم (٢٢٠٣).

(٣) «كنز العمال» (٢٤٠٨).

(٤) في «الكبير»: ٢/ ٥٠ (١٢٥٣).

(٥) ينظر «اللمحات» للغافقي، و«فتح المنان شرح مسند الدارمي»: ١٠/ ٥٦٥-٥٦٩.

[٩١] وفي رواية له عن ابن عباس: «**من قرأ ثلاثمئة آية..**»، إلى آخره[١].

[٩٢] ورواه الإمام أحمد، والنسائي، عن تميم الداري رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ مئةَ آيةٍ في كل ليلةٍ كتب له قنوتُ ليلة»[٢].

[٩٣] وروى الطبراني، والدارمي، عن أبي أمامة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مئتي آية كتب من القانتين، ومن قرأ أربعمئة آية كتب من العابدين، ومن قرأ خمسمئة آية كتب من الحافظين، ومن قرأ ستمئة آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثمانمئة آية كتب من المخبتين، ومن قرأ ألف آية أصبح له قنطار، والقنطار ألف ومئتا أوقية، الأوقية خير مما بين السماء والأرض»، أو قال: «مما طلعت عليه الشمس، ومن قرأ ألفي آية كان من الموجبين»[٣] انتهى، والروايات في ذلك متنوعة.

[شرح الغريب]:

وقوله «**المخبتين**» جمع مخبِت: وهو المنيب الراجع إلى الله.

وقوله «**الموجبين**» جمع موجِب: وهو الذي أوجب له المغفرة، والكرامة.

الحديث الثالث والثلاثون

[٩٤] عن أبي الدرداء رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ في ليلة مئة آية لم يحاجَّه القرآن**»، رواه محمد بن نصر[٤].

---

(١) رواها ابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (١٠١٣٢)، وينظر «اللمحات» برقم (١٧٧).
(٢) الإمام أحمد في «مسنده»: ٤/ ١٠٣، والنسائي في «الكبرى»: ٦/ ١٨٠.
(٣) ينظر «فتح المنان شرح مسند الدارمي» هامش الحديث رقم (٣٧١٠).
(٤) كما في «كنز العمال» برقم (٢١٤٥٩).

[٩٥] وفي رواية له عن الحسن مرسلاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ مئة آية في ليلة لم يحاجَّه القرآن، ومن قرأ مئتي آية كتب له قنوتُ ليلة، ومن قرأ خمسمئة آية إلى ألفِ أصبحَ وله قنطارٌ في الجنة، وهو ديةُ أحدكم، وإن أصفَر البيوتِ من الخير بيت لا يقرأ فيه القرآن»[١].

[٩٦] وروى أبونعيم عن المقدام بن عمرو رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ مئتي آية فقد أكبر»[٢].

[٩٧] وروى البيهقي عن ابن عمرو رَضِيَ الله عنهما أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آيةً من كتاب الله كان له درجةٌ في الجنة، ومصباحٌ، ونور»[٣]، انتهى.

[شرح الغريب]:

ومعنى «لم يحاجه القرآن»: لم يكن حجة عليه.

وقوله: «أصْفَر بيتٍ من الخير» أي: أخلى، والصَّفِرُ: الخليُّ.

وقوله: «فقد أكبر» أي: أتى بأمر كبير عند الله تعالى.

الحديث الرابع والثلاثون

[٩٨] عن أبي [عنبة] الحمصي[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن

---

(١) محمد بن نصر «مختصر قيام الليل»: ص ١٦٥.

(٢) عزاه له المتقي في «كنز العمال» (٢٤٠٩).

(٣) البيهقي في «الشعب» برقم (٢٠٠٠) ولفظه: «.. آية من القرآن»، وفيه: «.. ومصباحاً من نور»، وهو في «كنز العمال» (٢٤٥١) بنفس اللفظ.

(٤) في النسخة أ: أبي عيينة، وفي ب: أبي عنبسة، وبياض في النسخة ج. وما أثبت هو الصواب إن شاء الله، وأبوعنبة صحابي مشهور بكنيته، من خولان، سكن حمص. ينظر: «الإصابة» ترجمة رقم (١٠٣١٠).

كان حقاً على الله أن لا يطعمه النار، ما لم يغل به، ما لم يأكل به، ما لم يراء به، ما لم يدعه إلى غيره»، رواه الديلمي(١).

[٩٩] وروى الترمذي، ومحمد بن نصر، والطبراني عن عمران بن حصين رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوامٌ يسألون به الناس»(٢).

[١٠٠] وروى أبو الشيخ عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتفقه في الدين ثم أتى صاحب سلطان طمعاً لما في يديه طبع الله على قلبه، وعذبَ كل يوم بلونين من العذاب، لم يعذب به قبل ذلك»(٣).

[١٠١] وروى الحاكم في «تاريخه»(٤) عن معاذ بن جبل رَضِيَ الله عنه: «من قرأ القرآن وتفقّه في الدين، ثم أتى صاحبَ سلطانٍ طمعاً لما في يديه؛ خاض بقدر خُطَاه في جهنم»، انتهى.

[شرح الغريب]:

وقوله «لم يغُلَّ» من الغلول، وهو: سرقة الغنيمة.

ومعنى: «مالم يدْعه إلى غيره» أي: يهجر القرآن ويشتغل بغيره عنه. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، والله أعلم.

---

(١) كما في «كنز العمال» برقم (٢٣٩٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٩١٧)، ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص ٧٨ المختصر)، والطبراني في «الكبير»: ١٨/ ١٦٦ (٣٧٠).

(٣) «كنز العمال» برقم (٢٩٠٦٨).

(٤) أورده صاحب «كنز العمال» برقم (٢٩٠٦٩).

الحديث الخامس والثلاثون

[١٠٢] عن عمر رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ألف آية لقي الله وهو ضاحك في وجهه». قيل: يا رسول الله، ومن يقوى على قراءة ألف آية، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، إلى آخرها. ثم قال: «والذي بعثني بالحق، ونفسي بيده، إنها لتعدلُ ألفَ آية»، رواه الخطيب بمعناه(١).

[١٠٣] وروى الطبراني عن أبي أمامة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تلا آيةً من كتاب الله استقبلتْه يوم القيامة تضحَكُ في وجهه»(٢)، انتهى.

والضَّحكُ من الله سبحانه وتعالى: مجازٌ عن كمال الرضا، وكذلك من الآية.

الحديث السادس والثلاثون

[١٠٤] عن جابر رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن هو النور المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم»، رواه البيهقي(٣).

[١٠٥] وروى البخاري في «تاريخه» عن بعض الصحابة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن كله صواب»(٤).

[١٠٦] وروى أبونعيم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن أحب إلى الله من السماوات والأرض وما فيهن»(٥).

---

(١) ينظر «كنز العمال» (٢٧١٤)، و(٤٠٨٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»: ٨/ ١٢٩ (٧٥٨٨)، وطرفه: «من تعلم آية..» الحديث.

(٣) البيهقي في «الشعب»: ٢/ ٣٢٦ (١٩٣٧)، وفي إسناده رجل لم يسم.

(٤) «التاريخ الكبير»: ١/ ٣٨٢ برقم (١٢٢١).

(٥) «كنز العمال» برقم (٢٣٦٣) وعزاه لأبي نعيم بدون تعيين كتابه.

[١٠٧] وروى أبونعيم أيضاً عن ابن عباس رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن كلام الله عز وجل، فليجل صاحب القرآن ربه عن إتيان محارمه»[(١)] انتهى.

[شرح الغريب]:

ومعنى «فليجِلّ»: فليعظم ربه.

«والمحارم»: المعاصي التي حرمها الله.

الحديث السابع والثلاثون

[١٠٨] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين»، رواه مسلم[(٢)].

[١٠٩] وروى أبونعيم، والديلمي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «حملة القرآن أولياء الله، فمن عاداهم فقد عادى الله، ومن والاهم فقد والى الله»[(٣)].

[١١٠] وروى ابن النجار عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة، والشهداء قوّاد أهل الجنة، والأنبياءُ سادة أهل الجنة»[(٤)]

[١١١] وروى الحاكم في «تاريخه» عن علي رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حملة القرآن هم المعلمون كلام الله، المتلبسون بنور الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله»[(٥)].

---

(١) «كنز العمال» برقم (٢٤٧٠) وعزاه لأبي نعيم بدون تعيين كتابه.

(٢) «صحيح مسلم» كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن (١٨٩٤).

(٣) «الفردوس»: ٢/ ٢١٦ (٢٥١٤).

(٤) «كنز العمال» (٢٤٦٤). ورواه أبونعيم في «الحلية»: ٦/ ٦٥.

(٥) «كنز العمال» برقم (٢٣٤٥)، و«الفردوس» (٢٥١٤)،.

الحديث الثامن والثلاثون

[١١٢] عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال الحالُّ المرتحل، صاحب القرآن، يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ومن آخره حتى يبلغَ أوله، كلما حلَّ ارتحل»، ورواه الحاكم عن ابن عباس[١].

[١١٣] وروى أبونعيم عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختمه آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يصبح»[٢].

[١١٤] وروى الديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ختم العبدُ القرآنَ صلى عليه عند ختمِه ستون ألف ملك»[٣].

الحديث التاسع والثلاثون

[١١٥] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه ملكٌ فعلمَه في قبره، ويلقى الله وقد استظهره»، رواه ابن النجار[٤].

[١١٦] وروى البيهقي عن ابن عباس رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلمَ فقد أوتي الحكْم صبيًّا»[٥].

---

(١) حديث أبي هريرة عند الحاكم في «المستدرك»: ١/ ٥٦٩، وحديث ابن عباس عند الحاكم في «المستدرك» أيضاً ١/ ٥٦٨.

(٢) «حلية الأولياء»: ٥/ ٢٦.

(٣) أورده صاحب «كنز العمال» برقم (٢٢٥٨).

(٤) أورده صاحب «كنز العمال» برقم (٢٤٤٩).

(٥) أورده البيهقي في «شعب الإيمان»: ٢/ ٣٣٠ (١٩٤٩).

الحديث الأربعون

وردت أحاديث كثيرة في سور مخصوصة، وآيات مخصوصة.

كآية الكرسي:

[١١٧] فروى النسائي، وابن حبان، والدارقطني، والطبراني، عن أبي أمامة رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»(١).

[١١٨] ورواه الطبراني عن الحسن بن علي رَضِيَ الله عنهما بلفظ: «كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى»(٢).

[١١٩] وفي رواية للبيهقي عن أنس بلفظ: «حُفظَ إلى الصلاة الأخرى، ولا يحافظ عليها إلا نبي أو صديق أو شهيد»(٣).

[١٢٠] وفي رواية للديلمي عن أنس بلفظ: «لم يتولَّ قبضَ روحِه إلا الله بيده»(٤).

[فضل الآيتين من آخر سورة البقرة]:

[١٢١] وروى أبوداود والترمذي عن ابن مسعود(٥): «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه»(٦).

---

(١) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٠)، وابن حبان، والدارقطني في «الأفراد»، والطبراني في «الكبير»: ٨/ ١٣٤ (٧٥٣٢)، وفي «الأوسط»: ٨/ ٩٣ (٨٠٦٨).

(٢) الطبراني في «المعجم الكبير»: ٣/ ٨٣ (٢٧٣٣).

(٣) البيهقي في «الشعب»: ٢/ ٤٥٨ (٢٣٩٦).

(٤) ينظر: «كنز العمال» (٢٥٦٨).

(٥) كذا في النسخ الثلاث: ابن مسعود، والصواب: أبو مسعود الأنصاري.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٨٨١)، وأبوداود (١٣٩٧).

[١٢٢] ورواه الديلمي[١] بلفظ: «من قرأ خاتمة سورة البقرة حتى يختمها في ليلة أجزَتْ عنه قيامَ تلك الليلة».

[فضل سورتي السجدة وتبارك]:

[١٢٣] وروى أبو الشيخ والديلمي عن البراء رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿الم تنزيل﴾ السجدة، وتبارك الملك، قبل النوم نجا من عذاب القبر، ووقي الفتانين، ومن قرأ عشر آيات من سورة الكهف ملئ من قَرنه إلى قدَمه إيماناً»[٢].

[من فضائل سورة يس]:

[١٢٤] وروى أبونعيم عن ابن مسعود: «**من قرأ يس في ليلةٍ أصبحَ مغفوراً له**»[٣].

[١٢٥] وفي رواية للدارمي بلفظ: «**غفر له**»[٤].

[١٢٦] وفي رواية للبيهقي بلفظ: «**فكأنما قرأ القرآن عشر مرات**»[٥].

[١٢٧] وفي رواية لأبي الشيخ: «**من قرأها في صدر النهار وقدَّمها بين يدي حاجتِه قُضيت**»[٦].

---

(١) عزاه له صاحب «كنز العمال» (٢٥٧٤)، وأخرجه ابن الضريس في «فضائله» (١٧٤).

(٢) أورده بهذا اللفظ صاحب «كنز العمال» برقم (٢٦٨٤).

(٣) أبونعيم في «حلية الأولياء»: ٤/ ١٣٠.

(٤) الدارمي برقم (٣٦٨٢) من رواية أبي هريرة.

(٥) البيهقي في «الشعب»: ٥/ ٣٩٧ (٢٤٦٠) و(٢٤٦١).

(٦) عزاه له صاحب «كنز العمال» (٢٦٩٣).

[من فضائل سورة الدخان]:

[١٢٨] وروى الترمذي، والبيهقي، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «من قرأ ﴿حمٓ﴾ [الدخان:١] غفر له»[١].

[١٢٩] وفي رواية: «أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك»[٢].

[فضل سورة الواقعة]:

[١٣٠] وروى البيهقي عن ابن مسعودٍ عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»[٣].

[من فضائل سورة القدر]:

[١٣١] وروى الديلمي، عن أنسٍ رَضِيَ الله عنه، عن النبي ﷺ: «من قرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر: ١] عدل بربع القرآن»[٤].

[من فضائل سورة الكافرون]:

[١٣٢] وروى البيهقي عن سعد عن النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] فكأنما قرأ ربع القرآن، ومن قرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فكأنما قرأ ثلث القرآن»[٥].

---

(١) ورد هذا الحديث بروايتين، إحداهما مطلقة، والثانية مقيدة بليلة الجمعة. **الرواية المطلقة**: أخرجها الترمذي (٢٨٨٨). **والرواية المقيدة بليلة الجمعة**؛ من حديث أبي هريرة عند الترمذي (٢٨٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٤٧).

(٢) الترمذي برقم (٢٨٨٨).

(٣) البيهقي في «الشعب» (٢٥٠٠).

(٤) أورده المتقي في «كنز العمال» (٢٧١٠).

(٥) البيهقي في «الشعب» (٢٥٢٧) من حديث أنس.

[من فضائل إذا زلزلت]:

[١٣٣] وفي رواية لابن السني عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه عن النبي ﷺ: «من قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١] كانت كَعدِيل نصْف القرآن»[١].

والأحاديثُ في فضائل السور، خصوصاً المنجيات السبع، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، والمعوذتين؛ كثيرة شهيرة.

خاتمة

[مراتب الناس في حمل القرآن الكريم]

الناسُ في حمل القرآن على مراتب:

[المرتبة الأولى] فمن قرأه، وتفقه فيه، وعمل به، وأكثر دراسته والقيام به، وعلّمه، فهو في نهاية المراتب.

[المرتبة الثانية] ومن قصُرَ عن ذلك، لكن قام ببعضِه، فله نصيبٌ عظيم، إذا لم يرتكبْ ما نهى الله عنه.

[المرتبة الثالثة] فإن ارتكب المعاصي، ولكن تاب إلى الله، فالله يغفر له، ويشفعُ له القرآن، إن شاء الله تعالى.

[المرتبة الرابعة] وأما المصرُّ على المعاصي، المعرضُ عن الله تعالى، فإن القرآن حجةٌ عليه يوم القيامة، وهو يلعنُه كلما قرأه، وإن كان تالياً له، حافظاً لحروفِه عن ظهر قلبٍ.

***

---

(١) ابن السني برقم (٦٨٦). في (أ): تعدل. وفي (ب): كعدل.

[١٣٤] وروى البخاري ومسلم عن علي رَضِيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيخرج أقوام آخر الزمان، يقرؤون القرآن كما أنزل، يشربونه شرب اللبن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»[1]. والله أعلم.

وهذا آخر ما تيسر جمعه مما هو في الفضائل مقبول، وكان الفراغ من جمعه للنصف في ذي القعدة سنة ١١٥٣، ثلاث وخمسون ومئة وألف.

تمت وبالخير عمت

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب برقم (٣٦١١)، وفي كتاب فضائل القرآن برقم (٥٠٥٧)، وفي كتاب استتابة المرتدين (٦٩٣٠)، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠٦٦).

(١٠)

كتاب الدوائر

المسمّى «فتح بصائر الإخوان
في شرح دوائر الإسلام والإيمان والإحسان»

تأليف سيدنا الإمام

الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

العلوي الحضرمي التريمي



هذا الكتاب:

رسالة لطيفة من تأليف علامة الدنيا، اشتملت على زبدة النصائح الدينية، وغرر التوجيهات الإيمانية، تضاف إلى مجموعه المبارك هذا، وقد يسر المولى الكريم الوقوف على نسخ متعددة من هذه الرسالة، فيما يلي وصفها:

النسخ المعتمدة في التصحيح:

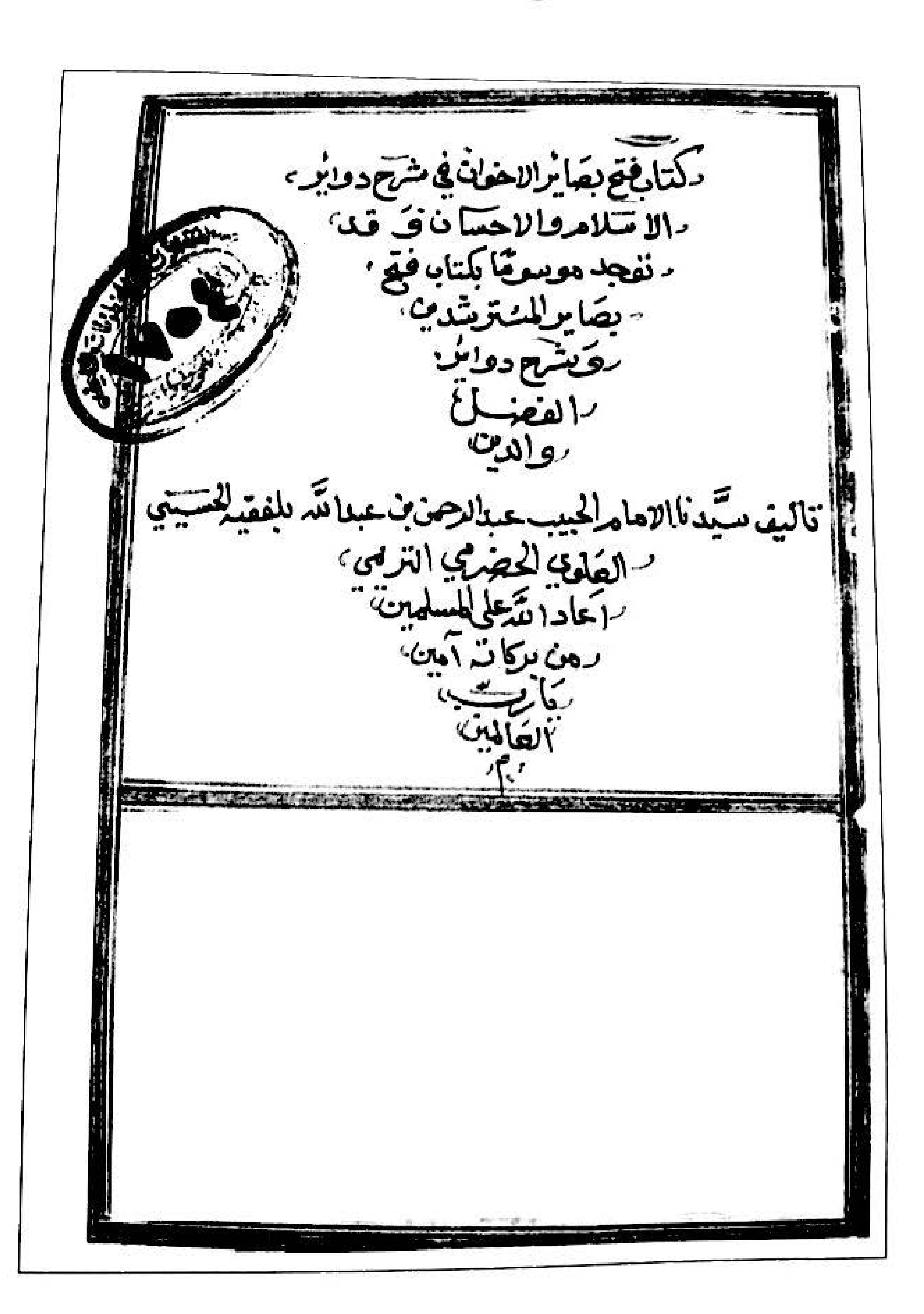
النسخة الأولى (أ): من مكتبة الأحقاف، برقم **١٧٥٤**. تقع في **١٢** ورقة = لوحاً. وهي ناقصة من آخرها.

النسخة الثانية (ب): من مكتبة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وتقع في **١٤** لوحاً، وعليها كان غالب الاعتماد، وهي مقروءة في بعض المجالس، وعليها تاريخ الابتداء **٤** جمادى الآخرة سنة **١٣٦٣**هـ، والفراغ في الشهر نفسه.

النسخة الثالثة (ج): من مكتبة الأحقاف، أيضاً، برقم **١٨٣٧**، وتقع في **١٨** ورقة = لوحاً. بقلم السيد علي بن عبد الله ين حسن ابن الشيخ شهاب الدين.

النسخة الرابعة (ط): وهي نسخة مطبوعة بعناية الحبيب شيخ بن محمد بن حسين الحبشي (ت **١٣٤٨**هـ)، بالمطبعة الشريفية، بالقاهرة، سنة **١٣٢٨**هـ، وتقع في **١٨** صفحة.

* * *



كتاب فتح بصائر الإخوان في شرح دوائر
الإسلام والإحسان وقد
يوجد موسوماً بكتاب فتح
بصائر المسترشدين
في شرح دوائر
الفضل
والدين
تأليف سيدنا الإمام الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه الحسيني
العلوي الحضرمي التريمي
أعاد الله على المسلمين
من بركاته آمين
يا رب
العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد المنان
العظيم الاحسان المتفضل باللطف والتوفيق للاسلام
والايمان والاحسان والعرفان والارشاد والبيان باعث
الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والعرفان ومخصص
المصطفى صلى الله عليه وسلم من بينهم بالدعوة الجامعة
لكل دعوة وبيان اولا واخرا وباطنا وظاهرا في جميع الشان
فاوضح الله به الطريق اليه في كل حال وختم بدينه المحيط
بكل نور وهدى جميع الاديان صلى الله عليه وعلى اله
نجوم الهدى واصحابه مصابيح العلم والعرفان واتباعه
باحسان على منهج سنته ودلالة القرآن فالقرآن حبل الله
المنزل الوحي الحق الدائم الغض في كل زمان فهو لكل
شيء تبيان وفيه تفصيل كل علم وتأصيل كل حكم باوضح
برهان والسنة الكريمة لها أتم شرح وبيان فاغنى الله به هذه
الامة الاحمدية مع نبيه السنة المحمدية لهم وفهم العلماء فيه
له وارشادهم به اليه عن بعث الرسل وعن تنزيل آيات
فلم تزل ملته صلى الله عليه وسلم الاحمدية وطريقته
المحمدية ظاهرة بيضاء نقية عند كل ذي علم وايمان لا فترة
فيها ولا ضلال ولا شبهة ولا اشكال ولا وهن ولا
انفلال عند اهل المعرفة والايقان فلم يزل دينه
جديدا يبعث الله لطفه في كل قرن من يقوم له بالتجديد
بإيضاح الحجج وإقامة البرهان ويدعو إلى الله على بصيرة
في شريعة وطريقة وحقيقة في دوائر الاسلام والايمان

وصية عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد المنان، العظيم الاحسان، المتفضل باللطف والتوفيق للاسلام والايمان والاحسان والعرفان والارشاد والبيان، باعث الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والفرقان، ومخصص المصطفى صلى الله عليه وسلم من بينهم بالدعوة الجامعة لكل دعوة وبيان، اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً في جميع الشان، فاوضح الله به الطريق اليه في كل حال وختم بدينه المحيط بكل نور وهدى جميع الاديان، صلى الله وسلم عليه وعلى آله نجوم الهدى واصحابه مصابيح العلم والعرفان، واتباعهم باحسان على منهج سنته ودلالة القرآن، فالقرآن حبل الله تعالى المتصل الوحي الحق الدائم الغض في كل زمان فهو لكل شيء تبيان، وفيه تفصيل كل علم وتأصيل كل حكم باوضح برهان، والسنة الكريمة له اتم شرح وبيان، فاغنى الله به هذه الامة الاحمدية مع تبيين السنة المحمدية له وفهم العلماء فيه وارشادهم به اليه عن بعث الرسل وعن تنزيل ثان فلم تزل ملته صلى الله عليه وسلم الاحمدية وطريقته المحمدية ظاهرة بيضا نقية عند كل ذي علم وايمان لا افتراق فيها ولا ضلال، ولا شبهة ولا اشكال، ولا وهن ولا اختلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الواحد المنان، العظيم الإحسان، المتفضل باللطف والتوفيق للإسلام والإيمان والإحسان، والعرفان والإرشاد والبيان، باعثِ الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والفرقان، ومخصِّص المصطفى ﷺ من بينهم بالدعوة الجامعة لكل دعوةٍ وبيان، أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً[١] في جميع الشان، فأوضح الله تعالى به الطريق إليه في كل حال، وختم بدينه المحيط بكل نور وهدى جميع الأديان، صلى الله عليه وعلى آله نجوم الهدى وأصحابه مصابيح العلم والعرفان، وأتباعه بإحسان على منهج سنته ودلالة القرآن.

فالقرآن[٢] حبلُ الله المتصل بالوحي[٣] الحق الدائم الغض في كل زمان، فهو لكل شيء تبيان، وفيه تفصيل كل علم وتأصيل كل حكم [وبيان[٤]] بأوضح برهان، والسنة الكريمة له أتم شرح وبيان، فأغنى الله به هذه[٥] الأمة الأحمدية مع تبيين السنة المحمدية له وفهم العلماء فيه وإرشادهم به إليه عن[٦] بعث الرسل وتنزيل ثان، فلم تزل ملته ﷺ الأحمدية، وطريقته المحمدية، ظاهرة بيضاء نقية، عند كل ذي علم وإيمان، لا فترة فيها ولا ضلال، ولا شبهة ولا إشكال، ولا وهن ولا اختلال،

(١) في (ط): وظاهراً وباطناً.
(٢) سقطت من (أ) و (ج): فالقرآن.
(٣) في (ب): الوحي.
(٤) سقطت من (ب) و (ط): وبيان.
(٥) في (ط): بهذه.
(٦) في (أ) و (ج): مع.

عند أهل المعرفة والإيقان، فلم يزل ودينه جديد، يبعث الله بلطفه في كل قرن من يقوم له بالتجديد، بإيضاح الحجج وإقامة البرهان، ويدعو إلى الله على بصيرة في شريعة وطريقة وحقيقة في دوائر الإسلام والإيمان، والعلم والبيان، والإحسان والعرفان.

وبعد؛

فإن بعض الإخوان من أهل الله الموالين في الله على حق الإيمان في طريق الإحسان؛ ألحَّ عليَّ وعوَّل [على[1]] أن أذكر له وصية جامعة التبيين، لتكون له تبصرة وتذكرة نافعة في الدين، وطلب أن تكون شاملة في أوله وآخره كاملة[2] في باطنه وظاهره، على وجه الجمع بين كلام العلماء المتقين الأولياء العارفين، ورغب إليّ فيما علمتُه من ذلك، وخبرتُه وسبرتُه[3] وجربتُه من علم ويقين.

فأقول، وبالله الهداية[4] والتوفيق:

اعلم أن هذا الأمر والهداية[5] له بداية ونهاية، وأول وآخر، وباطن وظاهر، وأصول وفروع، وفصول ومجموع[6]، ولا تدرك غايته إلا بتقويم هدايته، ولا تنال نهايته[7] إلا بتصحيح بدايته، ولا كمال لأوله إلا بآخره، ولا وصول إلى باطنه إلا من ظاهره، ولا طريق إلى فروعه إلا من أصوله، ولا تحقيق لمجموعه إلا بمعرفة فصوله. وكله دين واحد وطريق مستقيم له منازل ومناهل، ودرجات ومراتب ﴿وَلِكُلٍّ

---

(١) سقطت من (ط) و (ب).

(٢) سقط في (أ) و (ج): في أوله وآخره كامله.

(٣) سبرته: حزرته.

(٤) سقط في(أ) و (ط): الهداية.

(٥) سقط في(أ) و (ط): الهداية.

(٦) في (أ) و (ج) و (ط): جموع.

(٧) في (ط): هدايته.

دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد ورد بذلك الكتاب والسنة على وضع متحد، فالأخذ بفرعه وفصله[١] يستلزم الأخذ بباقيه وأصله، والتكذيب ببعضه تكذيب بكلِّه، وأهل كلِّ مرتبة يأخذون من كل آية وطاعة مثلاً منازلهم، ويشربون فيه مناهلهم، كلٌّ منهم على قدر طاقته وقابلية قلبه، وإيمانه وطاعته وقربه، فإن كل آية وحديث وطاعة وذكر وعبادة[٢] له ظاهرٌ وباطنٌ، وحدٌّ ومطَّلع، إلى ما لا نهاية له، فكل طالبٍ يأخذ من كل مطلوب منه نصيبه على حسب قسمه، ومبلغ فهمه وعلمه.

ففي كلمة الإخلاص مثلاً التي هي أصل الأصول يقول أهل الإيمان: لا إله إلا الله؛ ومعناهم: لا معبود إلا الله، ثم في طريق الإحسان معناهم: لا مقصود إلا الله، ثم في تحقيق العرفان معناهم[٣]: لا موجود إلا الله.

وفي البسملة مثلاً التي هي المبتدأ في كل حل[٤] يقولون: باسم الله ومعناهم: التعلق، ثم في المرتبة الثانية: التخلق. ثم في المرتبة الثالثة: التحقق.

فقد أخذ أهل كل[٥] مرتبة من هذين الكلمتين والذكرين الشريفين نصيبهم، وشربوا مشربهم[٦]، على اختلافٍ وتفاوتٍ لا نهاية له في كل مرتبة، كما في المرتبة الأولى

---

(١) في (ط): وأصله.
(٢) في (أ) و (ج) و (ط): وعبادة وذكر.
(٣) سقط في (أ) و (ج): معناهم.
(٤) في (أ) و (ج) و (ط): حال.
(٥) في (ب): كل أهل.
(٦) في (أ) و (ج) و (ط): شربهم.

في العبادة والتعلق في خصوص وعموم في ملاحظة النوع والسبب في كل مقسوم على حد معلوم، وقس على ذلك ما سواه.

***

واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما تفضل ببعثة رسوله سيدنا محمد ﷺ، وأعطاه جوامع الكلم، وسهل له الدين ويسره به[١]، ورفع عن أمته ببركته الإصر وكل عسر، اختصر له الدين كله في كلمتي الشهادتين[٢] مبدأ[٣] دائرة الإسلام والإيمان، ثم بسطه في كل دائرة أوسع منها بسطاً لا نهاية له على حسب درجات المتقين؛ ومقامات الدين؛ إلى غايات الأنبياء والمرسلين، فالدخول في الإسلام بالنطق بالشهادتين كالنقطة التي تدور عليها دائرة الإسلام والإيمان، ثم العلم والبيان ثم الإحسان ثم[٤] العرفان إلى مالا نهاية له في هذا الشان، فلنوضح ذلك كذلك[٥] في أربع دوائر والله المستعان.

الدائرة الأولى: دائرة الإسلام والإيمان[٦] والأخذ في الفصول[٧] والفروع بالمجموع والمجمول بالاعتقاد والانقياد والإذعان.

الدائرة الثانية: دائرة التأصيل في الأصول؛ والتفصيل في الفروع والفصول؛ والاتساع في العلم والبيان.

الدائرة الثالثة: دائرة الوصول من الظاهر إلى الباطن؛ والحصول من العلم والبرهان إلى الذوق والوجدان؛ وهي طريق الإحسان.

---

(١) سقطت من (أ) و (ج): ويسره به.
(٢) في (ط): الشهادة.
(٣) في (أ) و (ج) و (ط): مبتدأ.
(٤) في (ط): و.
(٥) سقط من (أ) و (ج) و (ط): كذلك.
(٦) في (ب) و (ط): الإسلام والإيمان.
(٧) في (أ) و (ج): الأصول.

الدائرة الرابعة: وهي آخرة بالنسبة إلى ما قبلها، أولى بالنسبة لما بعدها، وهي: مطالعة الحقيقة ومعرفة كل حد ومطلع في كل بطون وظهور في مناهج العرفان.

❋ ❋ ❋

الدائرة الأولى

اعلم أنه يحصل[١] الدخولُ في الإسلام والإيمان، ويتيسر أولًا بالنطق بالشهادتين، ومعرفة معناهما، والتزام أحكامهما، والإذعان لمقتضاهما ظاهراً وباطناً، فبذلك وحده يحصل الإسلامُ في الحالِ، والإيمان على كمال[٢]، فمن ماتَ على ذلك فقد ماتَ على الفطرة ودين كامل.

ووجه ذلك: أن الشهادتين تشتملان على جميع أمور الدين بالإجمال، فأما الاعتقادياتُ[٣] فواضحةٌ من المقال، وأما غيرُها فإنه يلزمُ من الإذعان لذلكَ التزام مقتضاه في جميع الأحكام والأعمال، والعزم على الدوام على [جميع][٤] ذلك في جميع الأزمان والأحوال، فقام[٥] الإجمال لذلك مقامَ التفاصيل[٦]، إذ لا غاية لها بحالٍ، وناب الالتزامُ بذلك عن العمل إذ لا نهاية للأعمال.

وبذلك يعلم أن الأعمال إنما شرعت ممدَّةً للدين، ومنمِّيةً لمعنى الشهادتين و[٧]مقويةً لليقين، وأن[٨] الذكر إنما شُرِعَ للتذكير، وتطهير الضّمير من الغفلة بالغير،

---

(١) في (ب): قد يحصل.

(٢) في (ج): كل كمال.

(٣) في (ج): الاعتقادات.

(٤) زيادة من (ط).

(٥) في (ط): فمقام.

(٦) في (أ) و (ج): التفصيل.

(٧) في (ط): أو.

(٨) في (ج): فإن.

فأثرُه يعود على الذاكرِ لا على المذكور، وثمرُه[١] للعبد في جميع الأمور، وأن النطقَ بالشهادتين وما ذكر معه كالنواة للنخلة، منها نباتُها، وتفرع عروقها، وتشعب فروعها، بحسب زكاة أرضها، وعذوبة مائها.

فَغَرْسُ شجَرة الدين ببذر الشهادتينِ في القلب الصّالح، وسقيها بماء العمل الصالح، الواصل إلى القلب بالحضور بالعلم المعين؛ على يد الملائكة المقربين، وإمداد الأولياء ومجالسة الصالحين، تفتح لعين العين[٢] بمعنى الدين، وتمنح كل نور وعملٍ من أعمال المتقين، فيحيا القلب بذلك حياةً طيبةً في بهجة وسرُور، ولا يموتُ بموتِ الجسد بل يبقى أبداً في نعيم وحبور.

وأما غرسُها في القلب الفاسد الخبيث، وسقيُها بماء أجَاج المعاصي والخبائث، فإنها لا تبقى معه بحال، وتنبتُ فيه مكانها في الحالِ شجرةُ الخبال والضلال المبين، على يد الشيطان اللعين، فيموتُ الدين والقلبُ قبلَ موت الجسد، ويبقى في ظلمات البعْد والطرد والنكد، أبد الآبدين والأمر لله رب العالمين.

***

فنقطة دائرة الإسلام هي النطق بالشهادتين كما ذُكر، فلا تزال تلكَ الدائرة تتسع بحسب التفصيل في ذلك الإجمال، وتعاطي الملتزَم من الأحكام ومباشرة الأعمال، ووضوح المعتقَد بصحيح الفكر[٣] واتضَاح الاستدلال، فيزيد الإسلامُ والإيمان بذلك، بحسب المعنَى الراجع في كل ذلك إلى الشهادتين، وما اشتملتا[٤] عليه من أمور الدين، والاستسلام لله والانقياد له والرجوع إليه علماً وعملاً في كل حالٍ وحين.

---

(١) في (ط): وثمرته.
(٢) في (أ) و (ج) و (ط): اليقين.
(٣) في (ط): الفطر.
(٤) في (ط): اشملت.

فكل من لم يجدْ لعمله الصّالح زيادةً في دينه؛ وقوةً في يقينه، فليعلَم أن ذلك إنما هو لنقصِ عمله، وقلّة اجتهاده، لعدم إخلاصِه وصدق نيته، أو لعلةٍ من [العلل[1]] في قلبه، فسدَ بها القلبُ وأفسد العمل، وتلك العللُ: كرضاه عن نفسه، ونظرِه إلى عمله، وإعجابه به، وكرؤية الخلقِ، والتعلقِ بهم، والملاحظة لهم، الموجبة للرياء والكبر والحسد والغش والحقد، وكتسلط النفس الأمارة بالسوء، واستيلائها على القلب، بغلبة الشهوة المثمرة للقسوة، وعدم الخوف، والانهماك في المعاصي، وكخبث الطوية، وتمكن الشيطان ووسوسته وغروره.

***

فليجتهد العبد الموفقُ بتطهير قلبِه من هذه الكبائر الموبقات، وطبِّ لبِّه من هذه الخبائث والأمراض المهلكات، ويشمّر في علاجه وصلاحه، وتزكيته لرشده[2] وفلاحه، فإن القلب إذا صلحَ صلُح الجسدُ والأمر كله، وإذا فسد فسد العمر كله، فهو أولى بالعناية من أمراض الجسد وبقية الأعضاء.

فالعَجَبُ كل العَجَب ممن إذا اعتلّت يده أو رجله بذل جهده في علاجها بكل وجه، وإذا اعتل قلبه ومرض لبه لا يتفكر في علاجه، ولا ينظر في طبه، ويهمل أمره حتى يموت قلبه فلا يحيا أبداً، ويطبع عليه ويذهب دينه فلا يفلح سرمداً.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٤-١٥] ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

---

(١) سقطت في (ب): من العلل.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): ورشده.

وكيف[١] يغفلُ العاقل عن عقلِه وقلبه، الذي ما امتازَ على الحيوان إلا به، وعن دينه الذي ما فضلَ على الكفار إلا بسببه، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فكيف يرضَى من ميزه الله بالعقل، ودعاه إلى الرشد والفلاح، أن يغفل عن عاقبة أمره وحالِ قلبه في الفساد والصلاح[٢]، ويصرف ذرات عمره التي لا قيمة لها في شهوات البهائم والأكل والشرب والنكاح، فيقنع بحالة البهائم في الغدو والرواح، بل هو أضل من الأنعام لما عليه من الوزر والجناح.

***

فلينظر الإنسانُ فيما هو به إنسانٌ، وما به يرتفعُ عن[٣] حضيض النقصان، إلى أوج العُلا والإحسان، وما ذاك إلا العقلُ والدين، وامتلاء القلب بالنور واليقين، ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فكم من إنسانٍ ليس بإنسان، وما له[٤] من الإنسانية إلا الصورةُ، وهو في الحقيقة دابةٌ، أو سبعٌ، أو كلبٌ، أو شيطان. على ما فيه من صفات هذه

(١) في (أ) و (ج) و (ط): فكيف.
(٢) في (ط): الصلاح والفساد.
(٣) في (أ) و (ج) و (ط): من.
(٤) في (أ) و (ج) و (ط): وليس له.

المذكورة[١]، فغلب عليه وتلا من سوره، فلا تغرك منه صورته الظاهرة، فالعبرة بحقيقته وإنما تظهر الحقيقة في الآخرة.

* * *

فمن أراد الله سعادته وصلاحه، طهَّر قلبه وجسده من المعاصي والخبائث المهلكات[٢]، ووفقه لدوام ذكره وملازمة[٣] الطاعات، وأشهدَه[٤] أن له المنة عليه في جميع الأمور والأحوالِ والأوقات، بنعمَة الإيجاد والإبقاء والإمداد والسلامة من الآفات، فهو الذي أعطاه ما أعطاه، وهداه إليه وألهمه الطاعات: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الاعراف: ٤٣] ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۞ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨].

فعنوان القلوب الصالحة: الفرَحُ بالرشد والإيمان، وكراهة الكفر والفسوق والعصيان، ومحبة الخير وأهل الخير، والانتفاعُ بالذكر والتذكير وقراءة القرآن.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠] ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الانفال: ٢] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[٥] [الزمر: ٢٣] الآيات.

* * *

(١) في (أ) و(ج) و(ط): المذكورات.
(٢) في (أ) و (ج): والمهلكات.
(٣) في (ط): وبملازمة، وفي (أ) و(ج): ودوام.
(٤) في (ج): وأشهد.
(٥) زيادة في (ط).

فكل من لم ينتفع بالذكْر والقرآن؛ ولم يخشَع للتذكير والبيان؛ فذلك لضعف الإيمان، واعتلالِ الجنان، حيثُ رانَ عليه ما ران، فليتدارك ما بقي من عمره، وما فرط فيه من أمره، وليجتهد في صدقه مع الله وإخلاصه، وتطهير قلبه من الخبائث وخلاصه، وملازمة ذكر الله والاستهتار[١] به على الدوام، واغتنام الأعمال الصالحة والمراقبة لله والحضور في كل حال ومقام، ليمتلئ قلبه من اليقين ويصعد بسلم الاستسلام لله في الإسلام والاطمئنان به على مناهج[٢] الإيمان؛ إلى مدارج الإحسان، ومعارج العرفان، فيرى الحق حقًّا كالعيان ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

فالعمل الصالح هدية من الله لعبده، وفضل من الله أعطاه إياه وأثابه [عليه[٣]]، وجعله لمن قربه سِمةً وأظهرَ عنوان، وجعله مفتاحاً لقبوله وباباً لرضوانه والنعيم في الجنان[٤]، فالمعرض عن العمل الصالح لا يُفْتَحُ له كالمعرض عن الباب، والعامل يقرع باب الجود تحت عطايا المنعم الوهاب، فالمستغرق بعبادة[٥] ربه المستهتر[٦] بذكره، عاجز عن أداء شكره؛ لأن ذلك عليه نعمة جديدة أخرى، أعظم من كل نعمة كبرى، إذ وفقه لطاعته، وجعله من أهل حضرته، وذلك أعظم منة وعطية، وأرفع درجة علية، لا يقدّر قدرها، ولا يقدر على شكرها، ولو اجتهد وبذل جهده ليشكر، فما قصد به الشكر نعمة أخرى، وهَلُم جرًّا.

فسبحان من لا يمكن شكر نعمته، إلا بنعمتِه، ولا يقدر على طاعته إلا بتوفيقه

---

(١) الاستهتار: الولوع بالشيء.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): منهاج.

(٣) سقطت من (ب): عليه.

(٤) في (ط): الجنات.

(٥) في (ب): في عبادة.

(٦) الرجل المستهتر: هو الذي لا يبالي ما قيل فيه.

ومنته، فلا حيلة في شكره إلا بالعجز والاعتراف والافتقار، ولا قوة على طاعته إلا بالذل والخضوع والاضطرار.

***

وأما الأعمال؛ فالمنة لله فيها ظاهرة، ودوامُ التقصير في شكرها حالةٌ دائمة حاضرة، فالشاكرُ الذاكرُ، الصائم القائم، مثلاً، خوفُه من الله أعظم من غيره، لِعُظْمِ منةِ الله عليه وقلة شكره وكثرة تقصيره.

فإذا عرفت ذلك علمت أن العالم[١] الكامل قد يخاف من وجود عمله، خوفاً من نظره إليه وتعويله عليه، لشهود منة الله عليه به، وقلة شكره بسببه[٢]، فكيف يعتمد عليه، فما العملُ مقصودٌ له، إلا من حيثُ شهودُ المنة، واتباعُ الطريق وامتثالُ[٣] أمر الله بفعله، وأنه جعله سبحانه باب قربه، ومفتاح حبه.

وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) في (أ) و (ج) و (ط): العامل.

(٢) سقطت في (ط): بسببه.

(٣) في (ب): امتثالًا.

الدائرة الثانية

[في[١]] التأصيل في الأصول [والتفريع][٢]

والتفصيل في الفروع والفصول والاتساع في العلم والبيان

اعلم أن هذا الدينَ، أوله وآخرَه، وباطنه وظاهره[٣]، لا بد فيه من علم وعملٍ.

فالعلمُ وإن كان منه ما هو وسيلةٌ، فهو أصله ودليله، وهو للمؤمن وزيرُه وخليله، وهو إلى كل خير في الدنيا والآخرة منهجُه وسبيله، بل هو لمن قصد به وجه الله وصدق فيه مع الله أفضل عبادة، **«فما عُبِدَ الله بشيءٍ أفضلَ من الفقه في الدين»**[٤]، **«ولَفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألف عابد»**[٥]، و**«فضل العالم على العابد كفضل النبي ﷺ على غيره»**[٦].

ومن نال العلمَ واتقى الله به[٧]، فقد نال أشرف منازل الفضل والسعادة، **«ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[٨]، و**«خير[٩] الناس في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقُهوا»**[١٠].

---

(١) سقطت من (ب): في.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) في (أ) و (ط) و (ج): وظاهره وباطنه.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط.

(٥) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رَضِيَ الله عنه.

(٦) الترمذي برقم (٢٦٨٥) (٥/ ٥٠).

(٧) في (ب): واتقى به.

(٨) «مجمع الزوائد»: ١/ ١٦٠.

(٩) في (أ) و (ج) و (ط): وخيار.

(١٠) أخرجه البخاري. ينظر: «فتح الباري»: ٦/ ٤١٩ الحديث رقم ٣٣٥٣.

فحتمٌ على كل مؤمنٍ أن يجتهدَ في العلم الذي به معرفةُ دينه وقوة يقينه، وتأصيل أصولِه، وتفصيلُ فروعه وفصوله، فيكون دليلَه إلى ربه، ومعرفته ورضاه وقربه، فيأخذ من كل علمٍ من علوم الدين مما هو فرضٌ ومسنون، بطرف صالحٍ، على أستاذٍ ناصح، بحسب اتساع الوقت، واغتنام الفرص وساعاتها، كالعقائدِ، والفقه، والتصوف، وعلوم القرآن والسنة، وآلاتها، فيقصد بها وجه الله، والتقربَ به[1] إليه.

فإن العلمَ[2] أعظمُ أبوابِ الدين، وأسباب القرب من رب العالمين، فبه يعرفُ العبدُ نفسَه في عجزه ونقصِه، وذله وفقره، ويعرف ربَّه[3] وكبرياءه، وغناه عنه، وفضله عليه في جميع أمره.

فالعلم الذي لا يثمر هذه الثمرة، ولا تنمو به هذه المعرفة في هذه الشجرة، ليس من علوم الدين بحال، وإنما هو قيل وقال، وهو إذا لم يفد الهدى والنور واليقين، فإنما هو بلاء وبور وصفات المنافقين.

❋ ❋ ❋

فكل علمٍ لم يقرّبْ إلى الله فليسَ من الله في شيء، وكل علمٍ يقطعُ عن الله أو يصد عن ذكر الله فهو باسم الجهل أولى، وما يكون منه سبباً للغفلة عن الله الموجبة للقسوة والاشتغال في قيلٍ وقالٍ، والمراء والجدال؛ فهو مذمومٌ على كل حال.

فكم هلك به من قَومٍ، وما نالوا به إلا الإثم واللَّوم، نعوذ بالله من الحور[4] بعد الكور، والخروج إلى الظلمة من النور.

---

(١) في (ط): بها.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): فالعلم.

(٣) في هامش (أ): كان حقه أن يقول في قدرته وكماله إلى آخره. اهـ.

(٤) في (ب): الجور.

ومن ازداد علماً ولم يزدد تواضعاً وافتقار إلى الله وخشية له فما ازداد إلا جهلاً، والعلم إذا لم يعد بنفعه على صاحبه فالجهل منه[1] أعود وأولى.

ومثله في ذلك العملُ، فما هما إلا وسيلتانِ إلى العبودية [والخشوع[2]] والخضوع[3] لله تعالى على كل حال، نعوذ بالله من علم لا ينفع وعمل لا يقبل.

فينبغي لطالب العلم أن يعتني بعين قلبه، وما يزيد في دينه وقوة يقينه وقربه من ربه، ويراعي حاله في علمه على قدر مقامه وفهمه.

***

وقد قدمنا أن الله سبحانه تعالى بفضله اختصر[4] أمور الدين في كلمتي الشهادتين، ليكون الدخولُ فيه أسهلَ شيء على المبتدين، ثم شرحَ معناهما في بعض الآيات في الذكر المبين، كآية الكرسي وآخر [سورة][5] البقرة. ثم شرح تلك الآيات بالقرآن العظيم، ثم جعل السنة المحمدية شرحاً له وتبياناً، ثم جعل كلام العلماء شرحاً للسنة إلى ما لا نهاية له.

فكلام العلماء وحكمة الحكماء راجعٌ[6] إلى ذلك ودائرٌ عليه، كل منهم على قدر حاله ومبلغ مقاله، فهم ورثة الرسل في ذلك، والرسل فضل الله ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وإن تأخر زمانه، فكذلك العلماء. فإن الله يؤتي الحكمة من يشاء متى شاء كما شاء، وفضل الله على هذه الأمة

---

(١) سقطت في (ج): منه.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) سقطت من (ط).

(٤) في (ط): اختص.

(٥) زيادة من (ط).

(٦) في (ط): راجعان.

كالغيث الماطر، فكم ترك الأول للآخر، فليس لِقِدم العهْد يفضلُ[١] القائل، ولا لتأخره يهضَمُ المصيب، بل كلٌّ له[٢] بفضل الله نصيب.

* * *

ولا يظنّ الطالبُ أنه يبلغ التحقيقَ في جميع العلوم، وإن طلب العلم ألف سنةٍ، فالأولى به أن يأخذَ من كل فنٍّ أحسنَه، وما دعتْ الحاجة إليه.

[الحاجة إلى علم العقيدة]

فإنه يحتاجُ إلى علم العقائد فيما هو حتمٌ عليه[٣]، من معرفَة ما يجب لله ولرسوله [ويجوز[٤]] ويمتنعُ، فإن ذلك أولُ الواجباتِ، وأصل كل العبادات، ويأخذ من إجماله إلى تفصيله، ومن أوله إلى تكميله. فإنه بذلك تحصلُ له معرفة الله تعالى بالمعنى العام، الذي عليه مدارُ الدين والإسلام، وهو أصلُ المعنى الخاص، الذي هو نورٌ في القلب[٥] يقذفُه الله تعالى في قلبِ من شاء من الخواص.

وليحذَر كل الحذر من الاقتحام إلى علم الكلام، فإنه قد يوقعُه في اللبس والارتياب، وقد يفهمُ الشبهةَ[٦] ولا يفهمُ الجواب، وتدخلُ عليه الوساوس والأوهام، وربما أخرجه عن دائرة الإسلام.

---

(١) في (ط): بفضل.

(٢) في (ط): بل كله.

(٣) في هامش (أ): الأولى أن يقول هكذا: أما علم العقائد فإنه يحتاج إليه فيما هو حتم... إلخ. وفي (ج) أما علم العقائد فإنه يحتاج إلى علم العقائد فيما هو حتم عليه.

(٤) سقطت من (ب): ويجوز.

(٥) في (أ) تعليقاً على (في القلب): الصواب حذفه كما هو ظاهر. اهـ.

(٦) في (أ) و (ج) و (ط): الشبه.

فلذلك[١] أفتى كثيرٌ من الأعلام أنه حرام، ومثلُه في ذلك علوم الأوائل من الكتابيين وغيرهم، وما للمتأخرين من الحقائق والدقائق، فإنه وإن كان جميع ذلك يشتمل على علوم جمة ومنافع مهمة؛ لكن لا يقدر على استخراجها مع السلامة والميل من اعوجاجها؛ إلا الفذُّ النادر، الماهرُ في علمِ الباطن والظاهر[٢]، فلا بأس على من هو كذلك، أن يسلك هذه المسالك.

* * *

[الحاجة إلى الفقه]

وأما الفقه؛ فإنه يحتاجُ إليه لمعرفة ما هو فرض عليه، من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الأحكام، فهو مضطرٌّ إليه في قوام دينه ومفروضه ومسنونه، ولا بأسَ بالتوسع فيه، والتوغل لمعرفة جميع الأعمال والأحوال، والحلال والحرام، ولا يذم علمهُ بحالٍ؛ إلا لما يقصدُ به من طلب الجاه والمال، ويعرضُ فيه من كثرة القيل والقال والمراء والجدال، والغفلة بالاشتغال في فروع نادرة، عن ذكر الله والدار الآخرة، فقد تحصلُ بذلك قسوةُ القلوب، ويفوتُ ما هو أهم منه مما هو واجبٌ أو مندوب، فمن سَلك به فقهُه هذه المسالك، فهو بعين ما أراد به النجاة منه أولُ هالكٍ.

وأما من ذكَّره بالله وذَكَرَ الله تعالى فيه؛ وأكثر من ذكر الله تعالى في خلاله؛ وتحفَّظ من آفاته ومرائه وجداله؛ وقَصَدَ به وَجْهَ الله تعالى؛ فإنه له من أفضل الطاعات، وأولى ما أنفقَت فيه نفائس الأوقات، فإنه من ذكر الله [فإن ذكر أحكام الله من ذكر الله][٣]، وقد جاء ذكرُ البيع والنكاح والطلاق وغيرها من الأحكام في الآياتِ في كتاب الله،

---

(١) في (ط) و (ب): فلذلك.

(٢) في (ج): الظاهر والباطن.

(٣) سقط من (ب).

وتقرأ جميعها[١] في الصّلاة فتكون كلها[٢] صلاة[٣] لرجوعها إلى ذكر الله والحضور مع الله.

فما موجب القربِ إلا الحضورُ مع الله، وما علةُ البعد إلا الغفلةُ عن الله، وإن كان في أعظم أبواب الدين، فانظر إلى برِّ الوالدين، لعدَم النية الصادقة، لغلبة العادة فيه على العبادة؛ وقلة الحضور مع الله فيه؛ قلَّ أن يظهر[٤] أثرُه على القائم به، وتحصلَ له السعادةُ كما حصلتْ لأويسٍ القرني سيد التابعين، وبالله التوفيق.

* * *

[الحاجة إلى التصوف]

وأما التصوفُ؛ فإنه يحتاج إليه لمعرفة ما هو واجبٌ من الإخلاص، وتخليص العمل من الشوائب والإعجاب والاختصاص، وتنزيه القلب من الخبائث الموبقة بالسَّير[٥] على طريق الخواص، فبه تصفية الأعمال وصفاء القلوب، واستعدادها لمنازلة المعرفة بالله تعالى ومطالعة الغيوب.

فهو لعَمري مجمع صفوة الدين، ومطلع أعمال المتقين، ومنبع شراب المعرفة وحُمَيَّا اليقين، فمن لم يذق منه[٦] مذاقاً، ولم يكتسب منه أخلاقاً، فقد خسر وإن نال علم الأولين والآخرين، لكنه لخفائه قلّ أن يوقَفَ عليه، ولعزَّته يندر أن يتوصل إليه، فكم ادعاه من ليس من أهله، ولبَّس فيه على كثير بمجرد غروره وجهله، ولا يناله بالكسب إلا الفذ النادر، على يد الشيخ الكامل الماهر.

---

(١) في (أ) و (ج) و (ط): كلها.
(٢) سقط من (أ) و (ج) و (ط).
(٣) في (ب): فتكون كله صلاة.
(٤) سقطت في (ج): يظهر.
(٥) في (أ) و (ط) و (ج): في السير.
(٦) في (ب): فيه.

إلا أن مواهبَ الله لم تزل بأهله نازلة، ونفحاتِ جوده على من صحبهم وجالسهم وأحبهم أبداً هاطلة، ومطالعة كتبهم ومذاكرة أحوالهم وفضلهم ترياق مجرب لعلل القلوب؛ وصحة التوبة وغفران الذنوب، ومجالستهم وتكثير سوادهم والاهتداء بأنوارهم والاقتداء بآثارهم مع الصدق معهم، والاعتراف بنقص الأوصاف، وسوء الاقتراف مفتاح[1] الفتح ومشاهدة الغيوب، فهم القوم لا يشقَى بهم جليسهم، ومن أحبهم لحق بهم، ولا يحرم من بينهم من هو معهم.

فالموفق من لازمَ الأعتاب، وانتظر الفضْل من الوهاب، بقرع بابِ العمل الصالح والاقتراب، مع عدم الالتفات إلى علمه وعمله، فإن رؤية[2] ذلك تحتها أكبر حجاب، فلا تكملُ له مع الله عبودية ما بقي فيه لغير الله[3] نسبة، ولا[4] تصفو[5] له من التصوف شربة، حتى يخرج عن نفسه وعن كل اختصاص وصحبة، فإن ذلك باب لا يقرع إلا بالافتقار والاضطرار، ولا يفتح إلا بملازمة العلم المقرب إلا الله ومداومة الأذكار، ولا يدخله إلا البريء من النفس والدعوى والحول والقوة في جميع الآثار، فالفرار إلى الله تعالى الفرار.

فما أقربَ الطريق على الصادقين! ولا بد[6] مع صدقِ الجهاد من نصر الله، ومع بذل[7] الاجتهاد، من فتح الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ

---

(١) في (ب): ومفتاح.

(٢) سقطت من (ط): رؤية.

(٣) في (ب): لغير الله فيه.

(٤) سقطت من (ج).

(٥) في (أ) و(ط) و (ج): يصفو.

(٦) في (أ) و (ط): فلا بد.

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فالسَّاقي باقٍ، ولا ييأس من فضل الله ولا يقنط[١] من رحمة الله[٢] إلا [القوم[٣]] الكافرون.

فكم قرَّبتِ المواهبُ الإلهية من عبدٍ قاصٍ، وكم أنقذت يدُ العناية الربانية من زائغٍ وعاصٍ، فأصبحَ فوق ذُرى المكرُمات والنواصي[٤]، فما ينكر نعمة الله على عباده وفضلَه، ويعادي أولياءه وأهلَه؛ إلا محروم. وذلك شأن من غلب عليه الحسد؛ وظلم نفسه، ولم يزل دائماً في كمد ونكد؛ حتى أهلك نفسه، بظلمه وهو في الحقيقة مظلوم، ولا يضرُّ المحسود شيئاً بل يزيده الله فضلاً ويتم نعمته عليه، سنة الله التي قد خلت من قبل مع الأنبياء [والأولياء[٥]] والقوم.

***

وأما علوم القرآن والسنة فإنها أساس تلك العلوم وتأصيلها، ومبنى تحقيقها وتفصيلها، فيحتاج إليها في معرفة ذلك المعلوم لمن هو من أهل تلك العلوم، ومعرفة فضل أهلها وتفاصيلهم في الأخذ بالمنطوق والمفهوم، والعمل بصحيح الإيمان وصريح القرآن، واتساع المعرفة[٦] بواضح المنقول وصالح البيان، وانشراح الصدور واقتباس النور بتلاوة كتاب الله وتفهم مبانيه، وقراءة حديث رسول الله ﷺ وتعلم معانيه، وذكر أصحابه واتباعه وحملة دينه وأشياعه، فهم الصالحون وعند[٧]

---

(١) في (ب): ويقنط.
(٢) في (ط) و(ب): من رحمته.
(٣) سقطت من (ب).
(٤) في (ج): النوصي.
(٥) سقطت من (ب): الأولياء.
(٦) في (أ) و (ط): واتساع أهل المعرفة.
(٧) سقط الواو في (ب).

ذكرهم تنزل الرحمة والسكينة، وتحصل الجمعية المبينة[١].

* * *

وأما الآلات فإن بها[٢] معرفة الكلام العربي وفصوله، المحتاج إليها في فهم كلام الله وكلام رسوله، والسلامة والتحفظ من[٣] تصحيفه، وتغييره وتحريفه، عن مواضع وقوعه ومواقع نزوله، وناهيك بتلك من وسيلة يبلغ الموفق بها سوله.

* * *

وبالجملة فالعلم وجميع فنونه الراجعة إلى الدين من الدين، ومن أفضل الطاعات لرب العالمين، ومن فهمُهُ وقّاد، والعلم له منقاد، فليصرف وقته كله فيه، سوى ما يضطر إليه أو يعول عليه، لأداء الفرائض الواجبات والمندوبات، والقيام بالحقوق اللازمة [والمؤكدات[٤]]، كالحزب القرآني والأوراد النبوية المقيدة بالأسباب والأوقات، والنوافل كذلك من الصلوات وغير الصلوات، فإن ذلك من تمام الفرائض ومكملاتها، ومما حض الشارع عليها وخصها بأسباب وأوقات، وإن كان فضل العلم مشهوراً على العموم، فإن هذه أمور لها تخصيص معلوم.

* * *

ولا يُنال فضل العلم إلا بالإخلاص فيه، والصدق به مع الله، وذكره بالله وذكر الله فيه، وعدم الغفلة به عن الله، فقد قدّمنا أن ذكر أحكام الله من ذكر الله، وحذرنا من الغفلة به عن الله، بالاشتغال بقيل وقال، وكثرة السؤال والمراء والجدال، فإن

---

(١) في (ط): المبنية.

(٢) زيادة من (ب) و(ط).

(٣) في (ط): عن.

(٤) ساقطة من (ب).

ذلك يصير إلى الغفلة، ثم [إلى[١]] القسوة، ثم موت القلب وشتات البال، المؤدي إلى الضلال والخبال، ومن الإفراط في الطلب، المؤدي إلى التفريط في صالح الأعمال، من الفرائض المؤقتة والنوافل المؤكدة، وما ذكر معها بالتضييع والإهمال، فإن ذلك [يؤدي إلى[٢]] نقصان في الدين وعصيان لرب[٣] العالمين، وأي خير[٤] في علم يؤدي إلى نقصان ويدخل في حيز العصيان، فإن من أخل بنوافله المؤكدة، دخل عليه النقص في فرائضه الواجبة، ومن لا ورد له من الواردات النبوية، وحزوب المشايخ الصوفية؛ فلا وارد له، ومن أعرض عن ذكر الله وحزوب القرآن؛ ونسي الله أنساه نفسه، وجعل قرينه الشيطان، وحشر يوم القيامة أعمى، وعاش وهو حيران.

* * *

وحزب القرآن من الواجبات المؤكدة، فمن حق كل قارئ مراعاة حفظه، فإنه سريع الانفلات، ونسيان سورة بل آية منه من أعظم السيئات، وهو ديوان الدين، وأصل كل نور وهدى وعلم وبيان، فلا يغتر من سمع ما ورد في فضل العلم فاجتهد فيه، وأهمل هذه المهمات والأعمال[٥] التي بها قوام القلب وحفظ الإيمان.

وأما من في فهمه بلادة؛ فليصرف بقية زمنه إلى العبادة، أو غيرها مما فيه ثواب من نفع المسلمين،[٦] وخدمة أهل الدين، ولو بالاكتساب، لما هو واجب أو مندوب من الأسباب.

* * *

---

(١) سقطت من (ب): إلى.

(٢) سقط في (ب): يؤدي إلى.

(٣) في (ط): رب.

(٤) في (ط): وأي خبر.

(٥) في (ط): الأعمار.

(٦) في (ب): للمسلمين.

فليغتنم العاقل جوهرة عمره العزيز، فإن ذرة منه رخيصة بألف درة، فمن لم يشغل ساعاته بالخير، ويصبّر نفسه: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] وإلا أشغلته[١] [نفسه[٢]] بالشر، وذهب عمره في البطالة والتواني، حتى تهجم عليه المنية وهو في التسويف والأماني، وبالله التوفيق وهو المستعان.

❊ ❊ ❊

(١) في هامش (أ): قوله: «وإلا أشغلته»، الصواب حذف وإلا كما هو ظاهر. اهـ.

(٢) سقط [illegible]

الدائرة الثالثة

في طريق الإحسان، وهو السير من الظاهر إلى الباطن، ومن العلم والبرهان إلى الذوق والوجدان

فإن العبد إذا تمكن في الإسلام والإيمان، وأخذ طرفاً صالحاً من العلوم الشرعية الواردة في السنة والقرآن، فاتسع علمه، وانفتح فهمه، وانشرح صدره، عرف نفسه فعرف ربه، وطلب رضاه وقربه. فإنه يشهد عجزه وذله، وشدة افتقاره وجهله، فإنه كغيره من الأكوان خلق من عدم، وراجع إلى عدم، في غاية الاحتياج والاضطرار، ليس له استقلال بقدرةٍ ولا اختيار، ولا وجود ولا بقاء ولا فضل ولا جود إلا بواجب الوجود في جميع الشان، فإن وجوده ودوامه، وكل كمال فيه وفعل وانفعال، حتى قعوده وقيامه؛ من فضل الله [وإنعامه(١)]، فيعرف نعمة الله عليه، وأن المنة لله سبحانه إذ وفقه لشكره وذكره في كل طاعاته وإحسانه(٢)، فلا يطلب(٣) جزاء فيها، ولا ينظر إليها، و(٤) يخاف من وجودها، مع قلة التقصير(٥) في شكرها، وما شكرها إلا بالاعتراف وشهود المنة فيها.

---

(١) سقطت في (ب): وإنعامه.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): طاعة وإحسان.

(٣) في (أ) و (ط) و (ج): يطالب.

(٤) في (أ) و(ج) و(ط): بل.

(٥) في هامش (أ): قوله: «التقصير»، لعله التشمير وهو الصواب. اهـ. أو إبدال لفظ القلة بالكثرة وهو ظاهر أيضاً. اهـ.

فإذا عرف ربه بذلك خافه ورجاه ولهج بذكره، ودام[١] على اجتناب نهيه وامتثال أمره، وطلب قربه، وغلبت عليه الإنابة إليه ومزيد حبه، فتمكن في ذلك، واستقر له بالذوق[٢] والوجدان، حتى يعبد[٣] الله كأنه يراه، ويشهد معناه فيما عناه ورآه، ويعترف بمنة الله عليه في طاعته وذكره، ويعترف بعجزه عن أداء حقه وشكره، فيفر إلى الله من جميع الأكوان، ويبرأ إلى الله من التعويل على طاعة أو عصيان، ويذوق لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا يزال يترقى في منازل الصبر والشكر والإنابة، ويكرع من مناهل الرضى والتسليم والتوكل والمحبة، فيرد جميع أمره إلى الله، ويوليه جميع ما ولاه، من أمور آخرته وأولاه؛ فيتولاه، ولا يزال مسافراً في الله[٤] فاراً إليه فيه به، مستهتراً بذكره ذاهباً فيه، حتى يفنى عن نفسه وعن ذكره، ويستغرق في الله فلا يشعر بغيره، بل ربما نطق بلسان الحق، لاستغراقه فيه فقال: أنا الحق، وربما أنكر نفسه وتعينه في الخلق، وهو معذور لغلبة سلطان الحقيقة عليه، فهو يتردد بين صحوه[٥] وسكره، وجمعه وفرقه، ووجده وغيبته وحضوره، حتى يتحقق له الوجود، وتظهر عليه خلعة الجود، ويصح قربه، ويتضح حبه، فيكون الله سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن استعاذ به أعاذه وإن سأله أعطاه[٦].

فعند ذلك تسطع عليه أنوار الحقيقة، ويذوق جنى معاني الوحي والنبوة،

---

(١) في (ط): وداوم.
(٢) في (أ) و (ط): الذوق، وفي (ج): لذوق.
(٣) في (ط): عبد.
(٤) سقط في (أ) و (ج): في الله.
(٥) في (أ) و (ط) و(ج): محوه.
(٦) رواه أبو نعيم في «الحلية»: (٨/ ٣١٩).

في معاني[١] القرب والولاية والفتوة، فيشهد حقائق التنزيل على التفصيل، ويعرف معارف التفريع والتأصيل، ويفهم بالله عن الله كل مشكلة، ويتضح له بنور الله حل[٢] كل معضلة، وذلك ثمرة التقوى واليقين، وصحبة أهل الله المتقين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أي من كل مشكل ومعضل ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ علماً وفهماً ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وقال أيضاً: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] الآيات، وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

(١) في (ط): معاناة، وفي (أ) و (ج): معانات.

(٢) سقطت من (أ) و (ج) و (ط): حل.

الدائرة الرابعة
وهي مطالعة الحقائق، والوقوف على الحد والمطلع في جميع الرقائق والدقائق

وذلك ثمرة الطريق، وزبدة التحقيق، فإن الموفق إذا تمسك بالواردات القرآنية، والسنة المحمدية، على الطريقة[1] الإحسانية، وساعدته العناية الربانية، حتى تمكن في الشهود، ورأى سريان الجود بالحقيقة، في مسالك الوجود والخليقة.

فرأى الحق حقاً واستمعه، وعرفَ الصوابَ من الخطأ فاتبعه، فاتضحت بنور الحق طريقته، واعتدلت بميزان العدل خليقته، وصفت بصفوة اليقين حقيقته، فأشرقت له النورانية الشاملة، وظهرت به الإنسانية الكاملة، فسره مع الله تعالى في قدس اللاهوت، وقلبه مع الملأ الأعلى في أعلى الملكوت، وجسده في عباد[2] الله مع أهل الله في عالم الناسوت.

فهو يعبد الله بجميع عبادات المخلوقات، فهو في ذكره مع الكروبيين[3]، وفي تسبيحه وفكره مع الملائكة المقربين، وفي عمله وشكره مع عباد الله الصالحين، فقد ذكر بتسبيحات المخلوقات، واستقام قانتاً مع الكائنات[4]، وركع وسجد في تقلباته مع الساجدات. فنفسه بالهدى مطمئنة باليقين، وشهوته الطبيعية والغضبية

---

(١) في (ط) و (ج): الطريق.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): عباد.

(٣) في (ط): المكروبين.

(٤) في (أ) و (ط) و (ج): الكليات.

والسبعية منقادة له للدين، وأسلم شيطانه فصار له على الحق كالمعين، فهو بعين عناية الله ملحوظ، وبزين رعايته محفوظ، كلما زادت نعمة الله تعالى عليه، بتوفيقه لطاعته وذكره، ومعرفة جلالته[١] وعظمته، وعلو جبروته وقهره، عَرَفَ قصوره وتقصيره[٢] في شكره، واعترف بعجزه وفقره، وتلاشي أمره.

فهو يستغفر الله في يومه أكثر من مئة مرة، ويخاف الله أعظم من خوف العصاة لَمَّا عرف الله تعالى وأمره، فخوفه واستكانته لجلال الجبار، أعظم من خوفه من النكال ومن عذاب النار، فإن النار من جملة خلقه وجنوده، المسخرين في وجوده، وهو أعلم بما عنده مما هو أعظم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] و﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

***

فلا يزال هذا العبدُ الموفَّق بين خوفِ الابتلاء والمحنة، ورجاء القرب والصلة الآنَ وفي الجنة، تارة يقبضُه الجلال، وتارة يبسُطه الجمال، شاهد الفقر[٤] في جميع الخصال، مشاهداً[٥] للفضل والمنة على كل حال، علومُه علوم القرآن والسنة، فهو يترقَّل في فنونها، ويتوغل في بطونها، ويبتهج بأنوارها، وينتهج[٦] في أسرارها، ويكرعُ من شرابِ عيونها، ويغوصُ على جواهرها ومكنونها،

---

(١) في (أ) و (ج) و (ط): جلاله.

(٢) في (ج): وتقصير.

(٣) في (ب) و (ط): ويخلقكم فيما لا تعلمون.

(٤) في (أ) و (ج) و (ط): شاهداً لفقره.

(٥) في (أ) و (ج): شاهداً.

(٦) في (ط): ينبهج، وفي (أ) و (ج): يتّبهج.

لايحجبه شهود الحقيقة، عن شواهد الشريعة ومشاهدة الخليقة.

* * *

فالأعمال الصالحة عنده هديةُ الله إليه، ومنةٌ منه عليه، منحها إياه ليقبل بها إليه، وفتحها له ليفتح بها عليه، فهي باب الله الذي لا مدخل إليه إلا منه، ولا مسلك إلا فيه وعنه[1]، فهو عامل على القرب والتعريف، قائم بواجب الشريعة معتقداً ـ وإن سقطت[2] عنه الكلفة ـ بقاء التكليف. يخاف الوقوع في المعصية والبعد، وإن صح له القرب والوصلة والتأليف.

فهو عبد الله الجامع، ومظهر سره اللامع، الداعي إليه فيه على بصيرة، والممد لخلقه به عنه في كل سيرة وسريرة، فإن أظهره ظهر بفضله، ووصل نعمته ورحمته لمن خصه بوصله، على حسب ما قسم على يديه من السعادة، وقدره له من التلقيح والولادة، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩].

* * *

(١) سقطت من (ج): وعنه.
(٢) في (أ) و(ج) و(ط): أسقطت.

خاتمة

لا خلاف بين الظاهر والباطن، ولا الأول والآخر، ولا الشريعة والطريقة والحقيقة، وبيان ذلك:

أن الشريعة أحكام الله التي كلف بها العباد، للطاعة [له(١)] والانقياد، عند إثبات الأسباب وإقامة الانتساب(٢)؛ ليخرجهم بحكم الشريعة، من ظلمة الهوى والطبيعة، باجتناب المنهي وامتثال المأمور، في جميع الأمور.

والطريقة السير بتلك الشريعة إلى الله على ما يستطاع، بالخلوص(٣) بالإخلاص إلى الله فيها والانقطاع، والتبري من الركون إلى الأسباب، والكون على الانتساب، ليخرجوا من قيودها وحدودها، إلى مطلع الجود ومنبع الوجود: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والحقيقة تجلي الحق بنوره على عبده بالتحقيق بغاية التنزيه، وظهور الوحدانية بلا تعطيل ولا تشبيه.

* * *

ولنوضحِ المثالَ في نسبة الأعمال، فإن الله خلق العبدَ وقدرتَه وعملَه بقدرةٍ واحدة، فنسبةُ العمل إلى الله حقيقة، و[نسبة(٤)] إثباته للعبد بإثبات الله شريعة، وعمل العبد بقدرته مع شهود الفعل من ربه بلا منافاة طريقة.

---

(١) سقطت من (ب): له.

(٢) في (ط): الأنساب.

(٣) في (أ) و (ط) و (ج): والخلوص.

(٤) سقطت من (ب).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ طريقة ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ شريعة ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] حقيقة.

ويقول العبد: أصَلِّي، مثلاً، لله شريعةً. وأصلي بالله طريقةً، وصلَّى الله [لي[1]] ـ أي خلق لي الصلاةَ وجعلَها نسبتي ـ حقيقةً.

* * *

ومثال ذلك الإنسان، له جسد ظاهر وروح حيواني ونفس ناطقة، فنفسه الناطقة في الظاهر تنافي جسده الظاهر من كل وجه؛ لأنها نورانية لطيفة مجردة عن الشكل والكيفية، بضد الجسد في ذلك، والروح الحيواني برزخ بينهما، فيه من كلٍّ منهما، وصار الجميع إنساناً واحداً، فكذلك الشريعة والحقيقة مع الطريقة دين واحد، ومعنى جامع، كنسبة الأعمال إلى الله وعبده في عمل واحد، لـ ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧] وهو ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] دنيا وأخرى، في كل جود ووجود، وشاهد ومشهود.

فسبحان [الله][2] الذي أظهر كل شيء بنوره؛ لأنه نور السماوات والأرض، ولولا نوره المحيط بكل شيء ما ظهر شيء، فهو أظهر من كل شيء، فلا يتوهم أنه مستور أو محجوب؛ لأن المحجوب مقهور وهو القاهر، وإنما حجب الخلقَ عنه[3] رؤيةُ أنفسهم، وظلمةُ أكوانهم المحيطةُ بهم، وهكذا الأمر الإلهي في قدرة الأعمال،

---

(١) سقطت من (ب).
(٢) زيادة من (ج).
(٣) في (ط): عن.

وغيرها من الصفات والأحوال، كالسمع والبصر والكلام، والبقاء والفناء، والجمع والفرق والثبات والشتات، والزمان والمكان في الذات والصفات.

***

وربما سبق إلى فهْم المنكرين والجهال؛ نسبةُ القومِ السالمين[١] من اللوم والزيغ والضلال؛ إلى الميل إلى قولِ أهل الإلحاد؛ والحلول والاتحاد، فحَاشا[٢] الله وحاشا أهل الدين والعلم واليقين والكمال.

بل من أنصف وتقرر عنده ما ذكره أهل العقائد في الكلام، على مسألة الكلام، في قولهم: القرآن كلامُ الله، محفوظٌ في القلوب، مسموعٌ بالآذان، مكتوب في المصاحف غير حال[٣] فيها عرفَ ذلك واعترفَ به. وكذلك ظهورُ عمل العبد بقدرته الحادثة، التي لا تأثير لها مع نسبة الحقيقة إلى الله، فالعضو[٤] مظهرُ قدرة الله في خلق الأعمال، كالمصحَف والحروف والآذان والقلوب، مظهر ظهور كلام الله فيها. وهذه العلوم مزلةُ أقدامِ أهل الإقدام، فكلُّ من لم يستقرَّ له تمكنٌ في علم الأحكام؛ مع علوم الطريقة؛ ومناهج الحقيقة؛ بعلم وذوق واحتكام؛ فالأولى به التوقفُ فيها وعنها والإحجام، وما يدركها إلا من نوّر الله قلبه، وهذّب لبه، وشرح بنور اليقين[٥] صدره، فصلح في الله أمره.

***

---

(١) في (ب): إلى المين.

(٢) في (ط): فما شاء.

(٣) في (ط): حامل.

(٤) في (ط): فالعفو.

(٥) في (أ) و (ج) و (ط): باليقين.

وما كان ينبغي ذكرُها والخوض فيها على هذا البناءِ إلا لمجرّد التشويق إليها والمدحِ لها، والثناء وأنها كنزُ الغنى، وأولى من كل الأمور بكل [اجتهاد و][1] اعتناء، لكن الأولى بها الستر والحفظ الخاص، والاختصاص بالخواص، أهل الذوق والإخلاص، وأما في العموم فالأولى التظاهر بعلوم الظاهر.

خصوصاً علم الكتاب والسنة والاتباع، وترتيب الفقه والتصوف عليه وتزيينه به وتشنيف الأسماع، فهو أبعد عن الابتداع في اتباع الرسول، وأقرب إلى الوصول إلى تقويم الفروع[2] وتأسيس القواعد والأصول، فيكون علم الكتاب والسنة علمه ورسمه، والتفقه في الدين همه وفهمه، والتصوف طريقه ووسمه، والحقيقة كنزه وسره وكتمه، وليكن هذا آخر الأنموذج وختمه، والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،
والحمد لله رب العالمين[3].

❊ ❊ ❊

---

(١) سقطت من (ب).

(٢) إلى هنا انتهت النسخة (ج).

(٣) في النسخة (ب): «تم الكتاب بحمد الله بتاريخ يوم السبت ٢٧ من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٢٤٣هـ، ملك كاتبه لنفسه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن عيدروس بن علي الجفري».

(١١)

قاطع الجدال

في مسألة الهلال بإذن الكبير المتعال

تأليف

الإمام العلامة النحرير الجهبذ الشهير الحبيب
عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه العلوي
المولود ببلد تريم سنة ١٠٨٩ هـ
والمتوفى بها سنة ١١٦٢ هـ

نفع الله بعلومه

آمين

تم



هذا الكتاب:

رسالة فقهية قيمة، تعقب فيها الإمام الوجيه رحمه الله، فقيهاً معاصراً له، هو الشيخ العلامة علي بن قاضي باكثير، رحمه الله. وتظهر فيها براعة الإمام واطلاعه على النصوص، وفذلكته العلمية، في حل إشكال لم يزل يتجدد، في رؤية الأهلة.

النسخة المعتمدة:

تم الاطلاع على نسخة قيمة مصححة مضبوطة، اعتنى بها السيد العلامة عبد الله بن حسن بلفقيه (ت ١٣٩٩هـ) رحمه الله، تقع في ٢٨ صفحة، في كراس (دفتر) عتيق. وفي خاتمة هذه النسخة جاء ما نصه:

«قال مصحح هذه النسخة، الفقير إلى عفو مولاه عبد الله بن حسن بلفقيه:

تم بحمد الله تعالى هذا النقلُ، من نسخةٍ لدينا، كتبت سنة (١٣٥٣هـ)، وقوبلت منّا على نسختين بتريم. وهما: **نسخة** السادة آل بن يحيى، **ونسخة** السيد حامد بن محمد السري. وقد كان كلٌّ من هاتين النسختين مع الأسف لا يخلو من سقمٍ أو غلاط.

هذا؛ وإنا قد جهِدنا في التنقيب عن نسخةٍ سليمة مضبوطة، كي نتوصل إلى تصحيح بعض العبائر والمواضع التي يوجد فيها شيء من الغلط أو الإشكال، فكان الإخفاق حائلاً بيننا وبين بلوغ هذا المرام، وتحقيق هذا المطلب».

وكان السيد عبد الله نسخها بخط يده في ختام ذي القعدة الحرام سنة

(١٣٧٠هـ)، رحمه الله. على أن هناك نسخة قيمة، كتبت سنة (١٢٠٧هـ)، توجد منها نسخة مصورة لدى بعض الفضلاء.

❋ ❋ ❋

قاطع الجدال
في
مسئلة الهلال

باذن الكبير المتعال

تاليف الامام العلامه النحرير الجهبذ الشهير الحبيب
عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه العلوى
التريمى المولود ببلد تريم سنة ١٠٨٩
والمتوفى بها سنة ١١٦٢

نفع الله بعلومه
امين

م

يجمع عدد التواتر من الحساب على استحالة الرؤية فاعلم
أن ذلك منهم على سبيل الفرض كما قدمنا أو يفرض فيما
يؤخذ من طريق المشاهدة ونحوها إن أمكن أخذ ذلك
من الحس الحقيقي الموجب للقطع المقتضي المنع بالاستحالة
والدفع وجاء من هذا الطريق عدد التواتر وليس عدد
التواتر كما مر عددا مخصوصا وإنما حده عدد [illegible] وغيره
من شروطه حصول العلم به وإنما لم تكف الأربعة لأن
احتياجهم إلى التزكية فيما لو شهدوا أو شهدن دل
دليل على أنه لا يحصل بخبرهم العلم فتبين لك أن عدد
هو ما يحصل به العلم لكونه ينتهي إلى مشاهدة ونحوها
بالفعل وسواء في ذلك الحساب وغيرهم الرجال والنساء
المسلمون وغيرهم فليس ذلك من عدد التواتر في شيء(2)
ولا يأتي به عدد التواتر لعدم انتهائه إلى محسوس أبدا
أصلا بل تقبل الشهادة برؤية الهلال ليلة الثلاثين بعد

(1) في الأصل شهد دل لعله سقط هنا شيء من العبارة

من الصحة العلم الطبيعي وهذا هو ما يصرح ويعترف به أحد هؤلاء الفلاسفة
وهو الدكتور جوستاف لوبون حيث يقول في بعض مؤلفاته إلا أن أكثر العلوم
دقة كالعلوم الطبيعية مجبورة على الاستناد إلى فرضيات ومزاعم تحولت إلى
حقائق بحكم عندما اقتضت الضرورة ذلك إن مباحث الضياء والنور والحرارة
والكهرباء وكل مباحث علم الطبيعة قائمة على (فرضية الأثير) وقد اقتضت الضرورة
أن تنسب إلى هذا الجوهر المجهول خصائص يتعذر إدراكها. والتوفيق بينها كالزعم بأنه
أقسى من الفولاذ مع أن الأجسام اللادية تسير فيه دون أن تلقى صعوبة فيجعلون [illegible]
للطبيعة يعدون كثافة الأثير [illegible] كثافة الغاز [illegible] اضطروا للإيضاح [illegible]
[illegible] بأنه أشد [illegible] المعادن بملايين المرات [illegible] علماء الطبيعة لا يجزمون
[illegible] الأثير [illegible] يعتقدون أن الأمور تجري كأن [illegible] الأثير موجود [illegible]
[illegible] الجاذبات [illegible] والكثير [illegible] أنهم مع ما هم عليه من [illegible]
[illegible] في مسألة الأثير [illegible] فيما يتعلق بالروح [illegible] المدبر والعقل المفكر [illegible]
[illegible] لا يجوز لنا أن نسلم بوجود الروح لأننا لم نر قيام [illegible] خاصية بدعة [illegible] الفكر

— ٢٨ —

قال مصحح هذه النسخة الفقير الى مولاه عبد الله بن حسين بلفقيه
تم بحمد الله تعالى هذا النقل من نسخة لدينا كتبت سنة ١٢٥٣ وقوبلت
منا على نسختين بتريم وهما نسخة السادة آل بن يحيى ونسخة السيد
حامد بن محمد السري وقد تم كل من هاتين النسختين مع الاسف غلو بعض اغلاط

هذا وانا قد جهدنا في التفتيش عن نسخة سليمة مضبوطة كي
نتوصل الى تصحيح بعض العبارات والمواضع التي يوجد فيها شيء من الغلط
او الاستعمال فحال دون الاخفاق حائلا بيننا وبين بلوغ هذا المرام وتحقيق
هذا المطلب .

انتهى ما وجدته في نسخة المصحح السيد عبد الله المذكور التي نسخها
بخط يده في ختام ذي القعدة الحرام ١٢٧٠ سنة الف ومائتين وسبعين هجرية

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ أعلم الخلق وعلمِ الحق والصواب، النبي الأمي الذي ليس بكتَّابٍ ولا حسَّاب، وعلى آله وصحبه وأتباعه وحزبه هداة الخلق إلى نهج الصواب[١].

وبعد[٢]؛

فهذا إن شاء الله بإذن الله:

«قاطع الجدال في مسألة الهلال»

دعاني إلى جمعه: أنه وصل إليَّ بعض المتردِّدين عليَّ، من عند الفقيه علي بن عبد الرحيم[٣] بن قاضي با كثير، برسالةٍ له، حاصلها أنه إذا رُئِيَ القمرُ طالعاً قبلَ الشمس يوم التاسع والعشرين، فالعادة المعتبرة، والاستقراء الصحيح، يحيلانِ رؤيته بعد غروب الشمس[٤] ذلك اليوم، فالشهادة بها مردودة، والسبيل[٥] عن سماعها مسدودة، ثم استدل على ذلك بأدلة مختلَّة، وعلله بعلل معتلة، وطلب جوابه، فتعينت الإجابة، والله وليُّ الإصابة.

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) وفي نسخة: أما بعد.
(٣) عبد الرحمن ولعل الصواب الأول.
(٤) وفي نسخة: شمس ذلك اليوم.
(٥) وفي نسخة: السبل، بصيغة الجمع.

ولا بدَّ من تقديم مقدمةٍ، فأقول:

[مقدمة]

اتفق المسلمون على أنهم إذا تنازعوا في شيءٍ أن يردّوه إلى كتاب الله وسنة الرسول[١]، على ما تقتضيه أوضاع اللسان وقواعد الأصول، واتفق أهل المعقول والمنقول، والفروع والأصول، على أن موجبات العلم القطعي ثلاثة أشياء: الحس الظاهر، والباطن السَّليم، والعقل الصحيح. وما تركب منهما، وهو البرهانُ المفيدُ القطعَ.

والخبر المتواتر، وهو إخبارُ جمعٍ فوق أربعة، تمنع العادة تواطؤهم على الكذب، عن معلومٍ لجميعهم، بإحدى الحواس الخمس. بأن يقول: رأينا أو سمعنا. أو: إخبار جمعٍ كذلك عنهم في جميع طبقاته. فيفيد العلمَ الضروريَّ، وحصول العلم[٢] به، علامة لإجماع شرائطه، فلذلك لم يكن حجةً على غير من حصل له العلم به.

والمجرَّبُ، فهو أن يشاهد ترتُّب شيءٍ على غيره مراراً كثيرة، بحيث يكون أغلب أحواله، أو لا يكون في غالب أحواله، وانضمَّتْ إلى ذلك قرائن قوية تفيدُ القطع بها قارنته، فيحصلُ بذلك الحدسُ، بل كل ظني قوي[٣] قرائن، كذلك يصير قطعياً شبهها.

والاستقراء: إن كان في جميع الجُزئيات غير صورة النزاع في سائر أحوالها وأوقاتها، فهو التامّ، ويفيد القطعَ أيضاً، وإلا فالناقصُ لا يفيد إلا الظنَّ، فما جاء من أمر الأفلاكِ بأحد طرق العلم المقدَّمة، وشروطها المهمة، سواءً انتهت إلى المحسوس أو

---

(١) وفي نسخة: إلى كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) ...

المعلوم، أو إلى خبر المعصوم، فذلك مقبولٌ في الشرع، يؤول إليه ما أشكل من السمع، فلا سبيل إلى إنكاره، ولا محيص عن اعتباره، فبراهينه ظاهرةٌ، وإنكارها مكابرة.

***

وقد نصب الشارع ﷺ من ذلك أدلةً، فوقت الصلاة بالأظلة، والصيام بالأهلة. وليس من ذلك في شيءٍ قسمةُ منازل القمر، وتحديد كل منزلة منها، وأن المقسوم إن كان الفلكُ، فالفلك الأسفلُ ليس بمرئيٍّ، فضلاً عن الأعلى، أو الفضاء؛ فذلك[1]، ولا يدل عليه بالكواكب، لاختلاف مقادير ما بينها، ولعدم دلالتها بالنهار، ومع قوة البدر مع ثبوتِ تزحلُقها إلى المشرق في الجملة، وعدم القطع بتقديره في جميع الدورة، فإنها لم تتم.

***

فإن قيل: المراد قسمةُ ما يسير القمر في الشهر وتوزيعه على الأيام والليالي، واليوم والليلة محسوسان[2]؟

قلتُ: لا نزاع في الليل والنهار، وسير الشمس، وانتقالها شرقاً ومغرباً وشمالاً وجنوباً، في الجملة. ولا نسلم ذلك في القمر، لتفاوت سيره، واختلافه في جميع الدورات، مع أنه غير مشاهدٍ في جميع الأوقات، ولا في أكثرها، مع كثر اختلاف سيره، بسبب العروض والأوساط والأوجات، وغيرها، المقطوع به في الجملة من غير تقدير وتحديدٍ؛ لذلك يحصل بالحس والمشاهدة.

بخلاف الشمس فإن أثرها وهو الليل والنهار مشاهدان يدلان عليها هذا في

---

(١) كذا بالأصل ولعله: فكذلك.

(٢) وفي نسخة محسوسات.

سير القمر يرى الكواكب[١] وأما صورتها فمشاهدة مقطوع بها في الوجوه[٢] وكذا ظلها ونحوها من طلوع وغروب وارتفاع وانحطاط مقطوع به في الجملة، وتجربة سيرها بنسبة الظل بالأنصاف والأرباع ودونها أمر صحيح

وكذا الاستدلال على ذلك بأدلةٍ صحيحةٍ، من نحو الربع المجيَّب؛ لأن نسبةَ ارتفاع الهدفة والخيط التابع لها كنسبة ظل الشاخص ولا حرف بينهما وليس كذلك نسبة سير القمر أو بعض الكواكب إلى بعضها؛ لأنها كلها يثبت تغيرها وتزحلقها في الجملة من غير تحديد محسوس بخلاف الشاخص فإنه ثابت لا يتحرك ولا يتغير وظله تابع له، ومثل ذلك ما اعتبره الشارع ﷺ في ارتفاع الشمس قدر رمح؛ لأن ذلك نسبة ما بينها وبين الأفق، والأفق لا يزول.

نعم ما جاءَ من المعلوم من طريق التواتر، والتجربة، أو الحدس، أو الظن المحفوف بالقرائن، الذي يصير بها قطعياً مختلفاً باختلاف الأشخاص، لاختلاف العوارض في الجميع. فقد يقطع لزيدٍ دون عمرو.

فليس بحجة على من لم يحصل له إلا ما صار معلوماً من الدين بالضرورة، كالقرآن ومتواتر السنة وأركان الدين الضرورية، والحاصل أن ما جاء من الفلكيات من طريق الحس الساطع والبرهان القاطع فهو حجة ودليلٌ، وحجة وسبيل.

ولعلك تظن أن هذه العادة التي ادَّعيتها من المجربات، ويدفع وجهَك علمُك فيما مرَّ أن التجربة مشاهدةٌ متكرِّرة، بحيث تؤدي إلى جزم العقل بترتيب أمرٍ على أمرٍ، لا على سبيل الاتفاق. فلا بد من قطع العقل بالترتيب المذكور، ولا يتم القطعُ إلا بإحاطته من الأسباب والمسبب، وانفرادها بذلك المترتب؛ لأنها إذا لم تقع الإحاطةُ

---

(١) كذا بالأصل، ولعله قد سقط شيء من هذه العبارة.

(٢) كذا بالأصل، ولعله الوجود.

لم يقع الجزم بالترتيبِ، لاحتمال أن ذلك لسببٍ آخر خفيٍّ، فلا يحصل القطعُ، مع أنه عند حصوله ليس بحجة على الغير، كما مرَّ.

* * *

وإذا علمتَ ذلك؛ علمت أن الحركات الفلكية بأسرها، لا يحصل الجزم بأسبابها ولا بمسبباتها، ولا بترتب الآثار عليها، لعدم الإحاطة بها في جميع الحال.

ولهذا لم يعتبرها الشارع ﷺ بل انتقلَ إلى الظلِّ، وهو مشاهَدٌ، وإلى الرؤية وهي من فعل الإنسانِ، وإلى الطلوع والغروب وهما مشاهدةُ الطالع والغارب مفارقاً للأفق، صاعداً أو هابطاً.

فلم يرجع إلى فعْل الرائي، وهو المشاهدة للصورة والإخبار عنها، وإلى شيء مشاهد محسوس وهو الظلّ، وكلاهما محاطٌ به قطعاً، ولم يلتفت الشرعُ إلى الحركة وتفاوتها صيفاً وشتاءً، وطول الليل والنهار وقصرهما بسببها؛ لأن ذلكَ وإن كان مقطوعاً به في الجملة، لكن لا يقطع به في كل جزئي على انفراده كما هو ظاهر.

* * *

ولو كانت الحركاتُ الفلكية قطعيةً، وترتبت آثارها عليها، لزِمَنا قبوله واعتماده، وتأويل ما يوهم خلافَه عن الشرع[1]. فإن الشرعَ لم يأت بالمستحيلات، ولا بإنكار الحسيات كالإخباريات بالمستحيلات، ولا بإنكار الحسيات، كالإخبار بالمغيبات التي يخبر بها المنجّمون، الواقعة عندهم بالتجربةِ عند أي حركة من حركات الأفلاك، فلو كانت صحيحةً قطعيةً؛ لكان تأويل النهي عن تصديقهم[2] أهونَ من مكابرة أمورٍ قطعية[3].

---

(١) وفي نسخة: من الشرع.

(٢) وفي نسخة: عن تصديقه.

(٣) انظر كلام هذا الإمام الذي هو في غاية الحسن والجودة، كي تعرف ما يتفرد به لفظ الدين =

لكنَّ أمورهم كلها باطلةٌ، وخيالاتهم عاطلةٌ؛ ولذا أعرض الشارعُ عنها، وحسمنا منها، قال ﷺ: «ما يدري أحد متى يجيء المطر إلا الله».

فليت شعري؛ ما الفرق بين قولهم: تجي المطر أو لا تجي الوقت الفلاني؟ وبين قولهم: يرى الهلال أو لا يرى يوم كذا؟ وحينئذٍ؛ فليسَ تقدير القمر في المنازل الجزئي بقطعي، ولا محسوس، ولا مجربٍ، ولا صحيح، ولا حدسي.

ولعلك تنظر إلى قول بعضِهم، الغزالي[1]، في الكسوف، وأنه قطعيٌّ. فإن مراده: أنه إذا وجد الكسوفُ والقمر في موضع الاستقبالِ، على إحدى العقدتين، فالقطعُ حاصلٌ لمن جرَّب ذلك قطعياً حدسياً.

لأنا نرى القمر يزيد نورُه ببعده عن الشمس، ويقل بقربه منها في جميع الأحوالِ، وينمحق عند الاجتماع، ويتم عند الاستقبال، وقد يعرض له ذلك.

فأفادنا ذلك علماً حدسياً: أن ذلك لعارض هنا وحينئذٍ، وأن نوره مستمد من نورِ الشمس، وذلك حاصلٌ لنا من مشاهدة تفاوتِ نور القمر، لا من حركة فلكٍ من

= المتين، من المزايا والخواص، وما يتفوق به على غيره من الأديان. وذلك من قوله: «ولو كانت الحركات الفلكية..»، إلى قوله: «كان تأويل النهي عن تصديقهم أهون من مكابرة أمور قطعية». وبهذا تعرف أيضاً أنّ ما نقله سبنسر عن مكسلي [كلاهما من أكابر علماء الإنجليز في العصر الحديث]، من قول هذا الثاني: «العلم الطبيعي الصحيحُ، والدين الصحيح؛ توأمان». إنما هو جديرٌ أن ينطبقَ أتمّ الانطباق على هذا الدين الفريد، في مسايرته للحقيقة، وتمشيه مع العلم الصحيح، وليس ذلك بمستغرَبٍ ولا بكثيرٍ، على هذا الدين، فإنه دين الله، وهذا الوجود خلقُه. ومما يجب التنبيه له: أنه كم من حقائق علمية، ظنها الجميع ثابتةً مطلقةً، فأنكرها العلم نفسُه، بين عشية وضحاها، وكم هناك من النظريات والاكتشافات العلمية نحوها، بنيت على فروض واحتمالات، فهذه الوهميات والافتراضات لا تكون من العلم الصحيح في شيء، ولا تعتبر من الحقائق العلمية المقطوع بصحتها وثبوتها علمياً، بحيث تدخل في حيز ما ينبغي أن تؤول النصوص لأجله، انتهى مصححه.

(١) كذا بالأصل ولعل العبارة قد سقط منها شيء وكان أصلها: هو الغزالي! وكان الغزالي.

الأفلاك. فإنا لا نقطع بوجود الكسُوف في الوقت المستقبَل الفلاني، ولو كان كذلك لجازت صلاة الكسوفُ بذلكَ، ولم يقل به قائلٌ؛ لأن ذلك يقتضي القطع بوقتِ الكسوفِ، وقدْره، ومدته بالتجربة، وذلك غير ممكنٍ أخذُه من طريق الحسّ ولا الحدس.

وأما نسبة الحيلولة بينه وبين الشمس إذا وقع، فهي نسبةٌ إجمالية بذلكَ، وحينئذٍ إذا جاءت البينةُ المعدّلة برؤية الهلال ليلة الثلاثين، قُبِل[1] مطلقاً حكمَ المنجمونَ من حيثُ سيرُ النيّرينِ بجوازِ رؤيته أو امتناعها، اتفقوا على ذلك أو اختلفوا، أخبرَ عن ذلك منهم عددٌ كثير أو قليل.

***

[محمل كلام الشيخ ابن حجر عند المؤلف]

وأما قول الشيخ ابن حجر وغيره: إنْ أجمع عدد التواتر من الحسَّاب على استحالة الرؤيا..»، إلى آخره. فعندي أن ذلكَ على سبيل الفرضِ، لا الوقوع، لما قدمتُه: من أن التواتر: الإخبارُ عن محسوسٍ بإحدى الحواس الخمس، واتفاقهم على ذلك. وأنى بهذا هنا!. لكن مثال وقوعه: أن يقول عدد التواتر: رأيناه في الشمال. فيقول شاذٌّ: رأيته في الجنوب. أو يقولوا: رأيناه قبل الشمس. فيقول: رأيته بعدها. فهنا أدركوا بالحس والمشاهدة.

وأما بالحساب؛ فلا يفيدنا إلا الظن، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٨]. وإن كان قطعياً؛ كإخبار أهل السنة دهرياً بحدوثِ العالم، فإنه وإن كان عندَهم قطعياً، لا يفيده إلا الظنّ، لا يعارِضُ البينة ولا يكذبها، وقد نصبها الشارعُ علامةً، ورجَّح الظن الحاصل بها، على أن الأصلَ عدمُها.

***

(١) كذا بالأصل ولعله قبلت.

على أنا لا نسلم أن الحسَّاب متفقون على استحالة الرؤية ليلة الثلاثين، إذا طلع القمر صبحَ التاسع والعشرين، إلا في بعض البلدان، في بعض الأزمان، وذلك ظاهرٌ لمن له أدنى إلمامٍ بعلومهم وقواعدهم.

فإن التفاوت بين سير النيرين، بالميلين والاعتدالين، قطعيٌّ، فلا شك أن الشمسَ إذا كانت في منتهى الميل الجنوبي، والقمرَ في العرْض الشمالي، يزيد قوس ظهور القمر على قوس ظهور الشمس ضرورةً، زيادة مُحَدَّبِ الكرة على غيرها من أجزائها، وبنسبة الزيادة المذكورة يقعُ النقص في قوس خَفائها، ولا شك أن الزيادة والنقصان حاصلانِ في طرَفي القوس الشرقي والغربي.

فلو فرضنا ذلك في بيتِ المقدس مثلاً، والشمس في منتهى الميل الجنوبي، والقمر في العرض الشمالي، والليل الأطول هناك نحْوٌ من خمسة عشر ساعةً مستويةً، عبارة عن مئة وخمس وثلاثين درجةً، فيكون النهار تسع ساعات تقريباً.

فإذا طلع القمر قبل الشمس بنحو عُشْرِ درجٍ، من فلك البروج، وطلعت بعده، فتغرب وقد قطعَ إلى جهة المشرق نحوَ أربعِ درجٍ، ويبقى له من قوس الظهور نحوُ أربع وعشرين درجةً، فيُرى بيناً ظاهراً. فكيف بذلكَ في أكثر من هذا العرض!

وقد ذكروا في خواصّ عرض ستٍّ وستين درجةً: أن ليلةُ الأطول من نهاية الميل الجنوبي، أربع وعشرون ساعة تقريباً، فلا يبقى إلا شعاعُ الشمس.

ولا شكَّ أن القمرَ حينئذٍ ظاهرٌ في عرضِه الشمالي، وذلك معروف في كتبهم المعتبرة، وقواعدهم المقررة عندهم، وما رمَى بإطلاقِ أحدٌ إلا الأصبحيُّ، ومن تأمل كتابه «اليواقيت»، وجدَه خلط فيه كلامَ أهلِ الهيئة، وكلام أهل الشرع، وليس ذلك صحيحاً ولا محموداً، للفرق بين المأخذينِ. فإن أراد: أن ذلك قد يمتنع في بعض الأحيان في بعض البلدان، فليس ببعيد من الصواب.

وانظر إليه: كيف بنى ذلك على أن القمَر يتقهقرُ ثلاثَ منازل. وأكثر ما قيل: أنها تتقهقر خمساً وعشرين درجة.

***

وأما قول ابن هاشم في «منظومته»:

«يرُوحُ ويغدو»......... ** ....

إلى آخره. فيقرب أن معناه: فإن لاحَ عند الفجر؛ لأن الصبْحَ يطلق عليه يومَ الثامن والعشرين، فالشهر كاملٌ وإن لم يلُحْ عند الصبح. «فالنقص بالشهر مولعٌ» أي: مغرًى به، قد يقع وقد لا يقع، ولو أراد الجزمَ بذلك لقال: مُوقع.

***

ومن أراد الكلام على شيء من العلوم بقبول أو ردٍّ، فليجتهد في تحصيله، حتى يحيط علماً بصحته وفساده. ولا يحيط علماً حتى يُساوي علماءَ ذلك الفنّ، ويزيد عليهم. قال الإمام الغزالي في «المنقذ من الضلال»: «إنه لا يقف على فساد علم من العلوم من لم يقفْ على منتهى ذلك العلمِ، حتى يساوي أعلمَهم في أصل العلمِ، ويزيد عليه، ويجاوز درجتَه. حتى يطلع على ما لم يطلع عليه، من غورٍ وغائلةٍ، فإذْ ذلك يمكنُ أن يكون ما يدّعيه حقاً من فساده»، انتهى. قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩].

***

وليس التقليدُ إلا في العلوم العينية التي جاءت من طريق الشارع ﷺ، لعُسْر القطع في جميع الفروع والأحوال، فاعتبر الشارعُ فيها ذلك للضرورة.

فكان يبعث الآحاد إلى النواحي، ويوجب العمل بخبرهم، ولو لم يعمل بالظنّ في الفروع لتعطلت جميع الأحكام، وإلا فالظن لا يقبَلُ في غير ذلك. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال في معرض الذم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٨]. ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ ﴾ [النجم: ٢٩] من اليقين إلى الوهم، ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم: ٣٠].

***

فعلم مما مرَّ: أن العادة التي ادّعاها مظنونةٌ، لا تكذب البينة، مقطوعٌ بعدم القطع فيها من جهة الحسّ والدليل البرهاني، وكذلك من حيث الدليل القرآني والسني.

فإن القرآن وإن كانَ دالاً على أن ذلك بحسابٍ محرّر، في كتاب مقرر، إلى أجل مقدر؛ لكن ذلك في مطلقِ مَنازل غير محدودةِ المنزولِ فيه، ولا النازلين. غير مقيدةٍ بالحدِّ، ولا بالعدِّ، ولا بلام العهد. فوجب حمله على مطلق النزول والمنزلة، بأدنى ما يصدقُ على الاسمينِ، حتى يأتي خبرٌ صريحٌ، بسند صحيحٍ، فيعمل به في التقييد والترجيح. وأنى بذلك هنالك!.

ولا نزاعَ في أن الشمس والقمر والنجومَ مسخراتٌ، جاريات في فلك معلومٍ، على قدر منظومٍ، إلى قدر محتومٍ، وأن الاهتداء بصورة الشمس والقمر والنجوم، في البر والبحر، وأنها خلقت لمنافع الخلق، وأن ذلك تقدير العزيز العليم.

***

وأما ما نقله عن المفسرين[1] وغيرهم، فيرجع فيه إلى أهله، أهل الهيئة. فإن كلَّ

---

(١) يتضح مما قرره هذا الإمام النحرير، من قوله: «وأما ما نقله عن المفسرين وغيرهم فيرجع فيه إلى أهله..»، إلى قوله: «فإن مسائل كل علمٍ إنما يبرهن عليها، ويبحث عنها في فنها لا في =

مسألةٍ من فنٍّ نقلت إلى فنّ آخر، فالرجوعُ فيها إلى أهل فنّها وكتبهم، والعهدةُ عليهم في صحتها وضعفها، فإن جاؤوا ببرهانٍ على ذلك تقبلُه قواعد الشـرع المحمدي، بأن كان مأخوذاً من الحسِّ والمشاهدة ونحوهما، على ما تقدم؛ قُبل منهم، وإلا رُدَّت عليهم، ولا تؤخذ من غير فنها أصلاً.

فإن نقلَها إمامٌ؛ فإن التقليدَ ليس إلا في الفرعيات؛ ولأن فنها أساسُ تأصيلها، ومحل تفصيلها، فإن مسائل كل علمٍ إنما يبرهَنُ عليها، ويبحث عنها في فنها، لا في غيره، وإلا لزم أن توردَ جميعُ العلوم في التفسير، مثلاً، لاشتمالها وتداخلها بجميع أدلتها وعللها، ولهذا امتُنعَ تقليدُ الصحابة رضوان الله عليهم، لتعذر الوقوف على جميع شروط وقيودِ مذاهبهم، لعدم تدوينها، وتلقيها طبقةً عن طبقة كالمذاهب الأربعة.

❊ ❊ ❊

وقد بينا: أن الحركاتِ الفلكيةَ، وما يترتبُ عليها، لا يؤخذ من طريق المشاهدةِ، وليس عليه برهان مقبولٌ، فهو مردودٌ، وإن وردَ في كتب المفسرين، ولا بدْعَ في أن يوردَ في التفاسير الضعيفُ، وإن لم يبيَّن ضعفُه.

قال الإمام العراقي:

وسـهلوا من غير موضع رووا   مـن غير تبيـين لضعـف ورأوا

= غيره..»، ليتضحَ مما قاله هذا الإمام: أن التفسيرَ الصحيحَ للآيات القرآنية فيما له صلةٌ بمختلف العلوم، إنما ينبغي أن يقوم به الأخصائيون من العلماء في ذلك العلم، أو الفن. وعجيبٌ أن يقربَ هذا، من ذلك الاقتراح المهم، الذي كانَ يلوحُ لبعض المفكرين المعاصرين، من تأليف (دائرة معارف قرآنية)، يقوم بها هيئاتٌ علمية إسلامية، من الأخصائيين في شتى العلوم والفنون، لتتولى مهمةَ تفسير القرآن تفسيراً علمياً بحسب ما وصل إليه سير العلوم والفنون في هذا العصـر الحديث، ويرى هذا المفكّر: أن في قيام المسلمين بهذه المهمة أكبر حدث علمي يظهره أهل الإسلام على سائر الأديان والأمم في العالَم،.. [باقي الكلام مقصوص من هامش الكراس].

فكتبُ المفسرين أكثرُها، حتى البيضاوي والبغوي والجلالين وغيرها، محشوٌّ بالضعيف والساقط، وكلام أهل الفلسفة، بل والموضوع، كما نص عليه أئمةُ الحديث. وفي «الإتقان» للسيوطي، و«تذكرة الموضوعات»، وغيرهما من كتب الفنّ، ما يشفي من الجهل الصدورَ، ويدفع عن الغمْر الغرُورَ، فجزاهم الله عن المسلمين خيراً.

وفائدة إيرادها في كتب المفسرين، كفائدة إيرادها في كتب الوعظ، من التفكر والتذكر، وغير ذلك مما له تأثيرٌ في النفوس، مع عدم التصريح بالضعف، مع إحالته على كتب تدوين الحديث.

* * *

ولعلك تقول: القرآنُ حبل الله الذي من تمسّك به نجا، وهو عماد الدين، وإمام المهتدين، ولا يتم بيانه إلا بتفسيره، فإذا بطلت التفاسيرُ بطل الدين!

فنقول[1]: إنه ولله الحمدُ، من زمن الصحابة والتابعين، قد تقررت الأحكامُ، وقواعد الإسلام، ما بين مجمَعٍ عليه ومختلَفٍ فيه، وتم أخذه من الكتاب والسنة، ودونت على ذلك كتب الأصول والفروع، وبقي القرآن العزيز للتذكير والتفكر، والاعتبار والتدبر، وغير ذلك، متلوّاً على مر الزمان، لا يغيره الملوان.

ولو سُلِّم ورودُ حديثٍ صحيح مرفوعٍ، أو ما في حكمه، لم يجز لنا أن نحكّمه حتى ننظر في كتب الأحكام، ومدونات الإسلام، ونحكم عليه بما فيها، وكم من حديثٍ صحيحٍ، وقول صريحٍ، لا يعمل به، لمانع يقتضيه، من ناسخ أو منسوخ، أو غير ذلك.

* * *

(١) عبارة الأصل المنقول عنه هكذا: «ثم إنه اتضح منه سنةً؛ لأن العادة». وجد بهامش الأصل ما مثاله: «من قوله: «فنقول..»، إلى آخره: كلام نفيس محقق، لله دره، وجزاه خيراً. وقد كشف اللثام الشيخُ محمد بن سليمان الكردي بشيءٍ من ذلك، فانظره مبسوطاً».

ثم الخوضُ في ذلك، على وجه الاستدلال والاستشهاد، شأن أهل الاجتهاد، ودليل أهل العُدة والاستعداد، وأنَّى لك هذه الأيامِ بلمحةٍ من سنَا تلكَ الأعلام! شعراً:

كأن لم يكن بين الحجونِ إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ

كيفَ وقد قيل: إنه انقطعَ من مدة مديدةٍ، ودهور عديدةٍ.

فاقطعْ دعوى التطلع والعقل، وارجع إلى التقليد والنقْل، وما كان لنا أن ندخلَ معك في هذا الباب، ولا أن نسمع منك هذا الخطاب، ولكن عارضنا نقلك بنقلِه، وطابقنا فعلك بمثلِه، وقد بان لك الحقُّ من هذا المقال، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

* * *

ثم إنه اتضحَ منه أن العادةَ، التي ادعيتَها بالتجربة التي تخيلتها، باطلةٌ، ودعواها عاطلةٌ، إذ لم يقم عليها دليلٌ، ولا إلى ذلك من سبيل، وإن ما ذكرت ليس بدليلٍ برهاني، ولا شاهد قرآني، بل خيال شيطاني.

* * *

وأما أحاديث الرؤية والتقدير؛ فهي صحيحة، والكلامُ عليها مستوفًى في شروح الأحاديث، في الكتب المدونة في ذلك، وقد انعقد الإجماعُ على أن للعلماء في مسألة التقدير والرؤية، والرجوع إلى الحساب، ثلاثةُ أقوال لا غير:

قال النووي في «شرح المهذب»: «**فإن غُمّ عليكم فاقدُروا له**». فقال أحمد بن حنبلَ، وطائفة قليلة: معناه: ضيقوا له، وقدّروه تحت السحاب. وقال مطرف بن عبد الله، وابن شريح، وابن قتيبة، في آخرين، معناه: قدّروه بحساب المنازلِ.

وقال مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وجمهور السلف والخلف: قدّروا له تمامَ العدد ثلاثين يوماً. واحتجَ الجمهورُ بالرواياتِ التي ذكرناها، وكلها صحيحة صريحة:

«فأكملوا العدة ثلاثين»، «فاقدروا له ثلاثين». وهي مفسِّـرة لرواية: **«فاقدُروا له»**، المطلَقة.

قال الجمهور: فمن قال بتقديره: تحت السّحاب، فهو منابذٌ لصـريح باقي الروايات، فقوله مردودٌ. ومن قال بحسَاب المنازِل، فقوله مردودٌ بقوله ﷺ في الصحيح: «إنا أمة لا تحسب ولا تكتب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا»، الحديث.

قال: «ولأن الناس لو كُلفوا بذلك ضاق عليهم الأمر؛ لأنه لا يعرف الحساب الأفراد من الناس في البلدان الكبار. فالصواب: ما قاله الجمهور، وما سواه فاسدٌ مردودٌ، بصراح الأحاديث السابقة»، انتهى.

***

ولا شكّ أن القائلَ بالتقدير تحت السحاب، فالقائلُ بحساب المنازل، يلتزمانه في تقدّمه وتأخره، فيحكّمون التقدير مع غير التزامِ الرؤية، وأما التزامُ تقدير الحسابِ مع الرؤية، فلم يقل به قائلٌ.

هذا كله؛ والحساب والتقدير بالمنازل ظنيٌّ لا قطعي، وإذا علق الشارع الحكمَ على ظنيٍّ تعلقٍ، علقَه على الشهادة بالرؤية، وهي لا تفيد القطعَ.

وقول الجمهور: اعتبارُ الرؤية فقط، من غير نظرٍ إلى حسابٍ، ولو كان قطعياً، لزمهم قبولُه واعتبارُه، فلما كان ظنياً ولم يعلّق عليه الشارع حكماً، لم يعتبره أصلاً.

قال مسلم في «صحيحه»: «باب بيان أن لا اعتبار بكبر الهلال ولا بصغره، وإن الله أمدَّه للرؤية فإن غم فليكمل ثلاثين». قال في «شرحه»، في حديث أبي البختري عن ابن عباس: إن الله مدّه للرؤية، وهو ظاهر الدلالة للترجمة، انتهى.

وقوله: «ولا بصغره» دليلٌ ظاهرٌ لما نحن فيه. وقد قرره النووي، ولا شك أن

الصّغر الكثير يمنعُ من تحرير الرؤية، ولا يعلم إلا من طريق الحساب، لكنه لما كان ظنياً وهمياً لم يعارض البينةَ بالرؤية.

* * *

وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني في «تلخيص البدر المنير»، عند قول الرافعي في «الشرح الكبير»: «قوله: «لا اعتبار بحساب النجوم، ولا بمن يعرف منازل القمر»... إلخ: يدلّ له ما في «الصحيح» من حديث ابن عمر: «**إنا أمةٌ أمية لا نحسب ولا نكتب**»، الحديثَ. وروى أبو داود عن ابن عباس مرفوعاً: «**ما اقتبس رجل علماً من النجوم، إلا اقتبسَ شعبةً من السحر**». وعن عمر رَضِيَ الله عنه قال: تعلموا من النجوم ما تهتدونَ به في ظلمات البر والبحر، ثم أمسكوا، رواه حربٌ الكرماني.

وقال ابن دقيق العيد: «أقول: إن الحساب لا يجوزُ أن يعتمد عليه في الصومِ، بمقارنة القمر للشمس، على ما يراه المنجمون. فإنهم يقدمون الشهر بالحساب على الرؤية بيومٍ أو يومين، وفي اعتبار ذلك: إحداثٌ في الشرع لم يأذن الله به.

وأما إذا دل الحسابُ على أن الهلالَ قد طلعَ على وجهٍ يرى، فهذا يتوقفُ قبوله على صدق المخبر، ولا يجزمُ بصدقه إلا إن شاهدَه. والحال: أنه لم يشاهَد، فلا اعتبارَ بقوله إذنْ»، والله أعلم.

* * *

فإذنْ، علمتَ أن المسألة ذاتُ ثلاثة أقوالٍ:

الأول: اعتبارُ الرؤية مطلقاً، والكمال عند عدمها. وهو قول الجمهور، من غير اعتبارِ للتقدير، ولا للمنازل، ولا لصغر الهلال ولا لكبره.

الثاني: اعتبار التقدير تحت السحابِ، بمطلق السّير، من غير قيد المنازل. وذلك

خاصٌّ بأيام الغيم، ونظيرُه: الرجوع إلى الاجتهاد في وقت الصلاة في الغيم، عند عدم رؤية الشمس في الظلمة.

الثالث: تقديرُه بحساب المنازل أيامَ الغيم؛ لأنها تفيد الظنَّ في السير التقريبي، عند عدم الوصول إلى العلم، والقولان الأخيران: في الحكم بتقدمه وتأخره عند الغيم، وأما عند الصحو: فالإجماعُ على الأول.

والإجماع على عدم قولٍ رابعٍ مطلقاً في الصحو والغيم، كما صرح بذلك السبكي وغيرُه، فإحداثه خرقٌ للإجماع.

***

وإلى قول الجمهور مالَ كلام الأئمةِ أجمعين: السبكي وغيره. فإنّ قوله: «إن دل الحساب على عدم إمكان رؤيته وأدرك ذلك بمقدمات قطعية ويكون في غاية القرب من الشمس»، إلى آخره. صريحٌ أنه لا يعتبر الحسابَ في مسألتكم، لأنه ظنٌّ فيها لا قطعي، إذ ليس مقدماتُه قطعيةً.

ولكن مقالة: أن تقوم الشهادةُ به في الشمال، ثم يرى في الليلة الثانية في الجنوب، فيما لا ينتقل إليه عادةً، أو قبلَ الشمس أو مقارباً لها، أو في مجرى الفرقدينِ، أو سهيل، مما لم يأت فيه أنه طرقَه قبل ذلك، فإن ذلك تردُّ الشهادةُ به، وتكَذّب؛ لأن المانعَ منها قطعيٌّ.

ولا بد من رد كلام السبكيِّ إلى ذلكَ، وحاشا الإمامَ السبكي أن يريد بالحسابِ القطعيِّ: ما أردتم. فإن طرُقَ القطع: هي ما تقدم، وليس ذلك منها. بل يحمله على ما ذكرنا من تخيله المشاهدةَ ونحوها. ومثله: ما لو أخبرنا ثقةٌ بالوقتِ عن علمٍ، ثم رأينا الشمسَ لم تزُلْ بعدُ، تبيّنَّا كذبَه؛ لأن العادة المعتبرةَ تحيلُ رجوع الشمس إلى المشرقِ إلا بأجلٍ مسمّى؛ لأن المقدمات القطعيةَ لا تكون إلا في مثلِ ذلك. ومثل ما فرضَ:

أن يدّعي اثنان رؤيتَه في بلدٍ، ويُرى في بلد آخرَ عند قرْص الشمس، ويُتصوَّر رؤيته كذلكَ: بعارضٍ يعرض للشمسِ، من كسوف أو غيره.

فإنَّا وإن سلمنا وقوعَ الكسوف بحيلولة القمر، ولكنا لا نقصِرُ ذلك عليه، بل قد يكون لعارضٍ آخر، كما صحَّ أنها كُسفَت يوم العاشر غير مرةٍ، ويكون المراد بقول الإمام السبكي: «للحساب»: مطلَق ماله تعلُّقٌ بالشمس والقمر والنجوم؛ لأن الفنَّ شاملٌ لذلك.

* * *

وربما لمح بعضُهم من كلامه: أن المرادَ: الحسابَ الدقيق الذي ليس طريقُه المشاهدة ونحوها. وعليه جاء قول الإمام الرملي وغيرُه: «تقبل الشهادة بالرؤية»، وإن دلَّ الحساب القطعي على امتناعها؛ لأن القطعيَّ عندهم ليس بقطعي في الشرع، كالواجب في النحوِ، مثلاً، ليس الواجبَ في الشـرع، وإن وافق الاسمُ الاسمَ، فالمعنى مفترقٌ، والاصطلاحُ مختلفٌ.

فقد قالوا: إن الفلكَ متحركٌ بالإرادة، وإنه يمتنع عليه الخرقُ والالتئام، وغير ذلك من الدعاوى. وادَّعوا فيها القطْعَ، بنوها على مقدمات لا يسلِّم بها من يقول بوجُود الصانع المختار، جل وعلا.

والكلامُ عليها، والرد عليهم، مبسوطٌ في كتب الأصول، وكتب الأئمة، ولعلّ الله أن يمنَّ بوقتٍ صالحٍ، وتوفيقٍ مانح، لجمع ذلك والكلام على كل مسألة من مسائلهم، من العلم الرياضي، وتبيين ما يصح من طريق الشرع مما لا يصحّ.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في «تهافتِ الفلاسفة»[1]: «ونحن ندّعي عجزَهم

---

(١) هاهنا تعليقة مطولة، لمصحح الأصل، السيد عبدِ الله بن حسن بلفقيه، تم إلحاقها بالكتاب لطولها.

عن معرفة: أن الفلكَ متحركٌ بالإرادة من طريق العقل، وإن قطعوا به، وإن كان صحيحاً، فلا يطلع عليه إلا الأنبياءُ بإلهامٍ من الله أو وحي».

***

وأما قول الشيخ ابن حجر المكي، وغيره: بالتفصيل بينَ أن يجمَع عددُ التواتر من الحسَّابِ على استحالة الرؤية.

فاعلم أن ذلكَ منهم على سبيل الفرض، كما قدمنا، أو يفرضُ فيما يؤخذ من طريق المشاهدة ونحوها، إن أمكن أخذُ ذلك من الحسّ الحقيقيِّ، الموجب للقطعِ، المقتضي للمنع، بالاستحالة والدفع، وجاء من هذا الطريق: عددُ التواتر.

وليس عددُ التواتر، كما مرَّ، عدداً مخصوصاً، وإنما حدُّ عدَدِه وغيره من شروطِه: حصولُ العلم به.

وإنما لم تكف الأربعةُ؛ لأن احتياجهم إلى التزكية فيما لو شهدوا، أو شهدْنَ دليلٌ على أنه يحصل بخبرهم العلمُ، فتَبين لك: أن عدَده هو ما يحصل به العلم، لكونه ينتهي إلى مشاهدةٍ ونحوها بالفعل.

وسواءٌ في ذلك الحسَّابُ وغيرهم، الرجال والنساء، المسلمون وغيرهم، فليسَ ذلك من عدد التواتر في شيء، ولا يأتي به عددُ التواتر، لعدم انتهائه إلى محسوسٍ أبداً أصلاً، بل تقبل الشهادة برؤية الهلال ليلةَ الثلاثين بعد الغروب، وإن طلع صبحاً، ورآه عددُ التواتر قبلَ الشمس يوم التاسع والعشرين؛ لعدم المانع من رؤيته، والقاطع المكذِّب بها؛ ولا عبرة بظنٍّ ناشئ عن تخمين.

نعم؛ وهذه سنونٌ تكررتْ: بأنه يراه عددُ التواتر صبحاً يوم التاسع والعشرين، قبل الشمس، ويراه أولئك الراؤون وغيرُهم بعد الغروب ليلة الثلاثين، وقد اجتمع فيهم

جميعُ شروط التواتر، وحصلَ لنا بذلك القطعُ في إمكان رؤيته، ووقوعها بكرةً وعشيةً، لعدم المانع من ذلكَ، من عادة مجربةٍ مرعيةٍ، ولا أدلة مانعة شرعيةٍ، ولا عبرة بغير ذلك أصلاً، وهذا هو الحقُّ؛ والحقّ أحق أن يتّبعَ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

ثم إنا نقولُ: إنه وقع التساهلُ في هذه الأزمان، وارتفعت عنهم الأمانة، وبدت منهم الخيانة، وصاروا معرضةً للتهم، فوجبَ على الحاكم الاستفصالُ، بحسب الأحوال، والفحص عن محالّ الاختلال.

وفي «رسالة السيد محمد البرزنجي» رحمه الله الكفايةُ، لمن ألقى السمع في ذلكَ وهو شهيد، وإلى الله ترجع الأمور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ
النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

❋ ❋ ❋

إلحاقٌ[1]

بقلم العلامة/ عبدِ الله بن حسن بلفقيه

الفلاسفةُ، سواءٌ منهم أولئك الطبيعيون الأقدمون، الذي يشير هنا إليهم الإمام الغزالي، أو من جاء بعدهم من فلاسفَة الإلحاد، المعروفين في عصرنا بالماديين، تقومُ فلسفتهم على اعتبارِ: (أن الكون كله ليسَ فيه غيرُ المادةِ وقُواها).

وما أدقَّ ما عبر به في وصْفهم العلامةُ ابن الجوزي، بقوله: «وهؤلاء لما لم يدركوا الصانعَ بالحسِّ، ولم يستعملوا في معرفته العقلَ، جحدوه».

ويقربُ من هذا، ما قاله أيضاً فيهم العالم الفلكي الشهير، كاميل فلا مريون الإفرنسي: «عجباً! كيف استطاعت عقولٌ أن تتصوّر أن كل موجودٍ لا يمكن أن يخرج عن دائرة مشاعرنا، وهي الآلات البعيدة المدى في القصُور والنقص. وعلى هذه القاعدة، تستطيع السمكة أن تعتقدَ ـ إن كان لها عقلٌ ـ بأنه لا يوجد شيءٌ خارج الماء!».

***

وقد يكفي التأملُ في الاعتبار بأحوالِ هؤلاء الفلاسفة، ولا سيما المعروفين منهم بالماديين، الذين يدّعون أن النزعةَ العلمية قائمةٌ عندهم على استخدام الأسلوب الحسيِّ، المؤسَّس على المشاهدة والتجربة. ويقولونَ بالتشديد في وجوب عزْل الظنيات عن المقرراتِ العلمية، تجريداً لها عن كل ما يكون قد دسَّ إليها من الآراء والظنون

---

(١) هذا الإلحاق هو في الأصل تعليقة مطولة.

والأوهام! حتى إنهم يزعمون: أن كل معقول لا يؤيده دليلٌ محسوسٌ، لا يمكن اعتباره صحيحاً عندَهم.

* * *

يكفي المتأملَ: أن يجدَهم مع هذه الادعاءات والمناكر، يعتمدون ويستندون إلى احتمالات وافتراضاتٍ لا تخرجُ عن التخمين والحدس، حتى في تلك العلوم التي يرونها على جانب كبير من الصحة، كعلم الطبيعة.

وهذا هو ما يصرِّحُ ويعترف به أحدُ هؤلاء الفلاسفة، وهو الدكتور جوستاف لوبون، حيث يقول في بعض مؤلفاته: «إنَّ أكثر العلوم دقةً، كالعلوم الطبيعية، مجبورةٌ على الاستناد إلى فرضياتٍ ومزاعم، تحولت إلى حقائق محتمة، عندما اقتضت الضرورة ذلك. إن مباحث الضياء والنور، والحرارة والكهرباء، وكل مباحث علم الطبيعة، قائمةٌ على (فرَضيّة الأثير).

وقد اقتضت الضرورة أن تستندَ إلى هذا الجوهَر المجهولِ خصائصُ يتعذر إدراكها، والتوفيقُ بينها. كالزّعم بأنه أقسَى من الفولاذ، مع أن الأجسام الماديةَ تسير فيه دون أن تلقى صعوبةً!. فبعد أن كان علماءُ الطبيعة يعدُّون كثافة الأثير ألطفَ من كثافة الغاز كثيراً، اضطرّوا ـ لإيضاح إحدى الحادثات الجديدةِ ـ إلى القول: بأنه أشد من ثقل المعادن بملايين من المرات!.

ثم قال: «فعلماءُ الطبيعة لا يجزمون بوجود الأثير، وإنما يقولون: إن الأمور تجري كما لو كان الأثيرُ موجوداً!! فلولا الزعمُ بوجود الأثير، لاستحال تفسيرُ الحادثات». اهـ.

والغريب؛ أنهم مع ما هم عليه من هذه الافتراضاتِ، والخبط في مسألة الأثير، تبصِرُهم يشتطّون فيما يتعلق بالروح المدبّر، والعقل المفكِّر!. فإنهم قالوا: لا يجوز لنا

أن نسلمَ بوجود الروح؛ لأننا لم نر قيامَ أيةِ خاصيةٍ بدون مادة أو ذكرٍ، وأن الفكر عندهم هو: خاصيةٌ من خواص المادة العصبية.

وقد تصدَّى للردِّ عليهم في ذلكَ، العالم الفلكيُّ الآنف الذكر، كاميل فلامريون، حيث قالَ بعد كلامٍ، وبعد أن ذكر أن هذا التدليلَ معيبٌ فلسفياً، لانبنائه على التسليمِ بأمرٍ هو نفسُه يحتاج إلى دليلٍ يثبته، وأنه تدليل على فاسدٍ من أساسه، وهذا لفظ ما قاله: «إن هذا التدليلَ معتمدٌ على كلمة الخاصية، والذي كان يجب إثباته بالحسِّ أولاً: هو أن الفكر خاصيةٌ من خواص المادة العصبية، وأن الشيءَ الواعي يمكنُه أن ينتج الكائن الواعي، مما هو في الأصل متناقض».

* * *

وقد بحث أحد العلماء المتعمِّقينَ فلسفةَ هؤلاء الماديين، ودحضَ مزاعمهم.

وخلاصةُ ما قاله: هو أن هذه العلوم (أي: مجموعة العلوم الطبيعية الحديثة)، التي يرون أن في وُسْعها تناولُ كل مهم، وتفسير كل غامضٍ، قاصرةٌ جدَّ القصور فيما يتعلق بأصولِ الأشياء، أو كيفية وجودها.

وبعدَ أن أوضح أن الدعوة العلميةَ كلها قائمةٌ عند هؤلاء على أن العلمَ ليس بحاجةٍ للبحث في طبيعة الأشياء وأصولها. قال: «إن ما يسميه فلاسفةُ ما وراء الطبيعةِ: البحْثَ عن العلل، ليس في مقدور العلمِ أن يتعرض له ألبتةَ.

إذ عمل العلم هو البحث في علاقة ظواهر الطبيعة بعضها بالبعض الآخر، ودرس نظامها والقانون الذي تسلكه في حياتها المتضامنة، وفي تعاقبها على طول آبادها، **فالعلمُ** يرى الظواهر فقط، ويراها محدودةً تحديداً رياضياً، ولكنه لا يرى صميمَ الأشياء، وهو لا يلمس من العالم غيرَ سطحِه، أما المادةُ فمحالٌ عليه أن ينفُذَ إلى جوهرها.

وإذا كان ليس في وسع العلم أن يعلِّلَ سرَّ القضاءِ، والوقوف، والحركة، والقوة، وما تنتمي إليه هذه الظواهر. فكيف يمكنه أن يحدثنا عن منشأ الكون؟ وأصل الحياة؟. كيف يمكنه أن يقول لنا: من أين أتت الحياة؟ وإلى أين تذهب؟

وهكذا؛ إذا كنا نجهل أصْلَ المادة، فكيف نجسُر أن ننسب كل ذلك إليها، أو إلى الحركة؟ ونحن لا نعلم عنها شيئاً».

إلى أن قال: «بما أنه لا يرى الواقعُ إلا مغلولاً بالحواس الإنسانية، محدوداً بها، فليس له أن يفرض الكمال المطلق في طريقته الخاصة، وليس له أن ينفي و يقرِّرَ حقائقَ أخرى تصدر من طريق آخر، إن طرائقه العمليةَ لا تصلح إلا مطبقةً على الظواهر فقط، وإنه لا يملك حقَّ التدخل القاطع في الشؤون الروحية، التي تفوق حدود مخصوصِه».

وكان القول الفصل الذي انتهى إليه في تمحيص الموضُوع، هو: أن الحقائقَ العلميةَ افتراضاتٌ نسبيةٌ مقيدةٌ مؤقتة، وأن كل شيء في العلم قابلٌ للمراجعة والهدْمِ، وما عمل العلمِ غيرُ مخاطبة الطبيعة جهْدَه، دون إبداء أية حقيقةٍ مطلقةٍ عنها، وما دام هذا شأنه، فليس له ما يخوّله حقَّ إنكار أو إثبات النبوات والمعجزات، وسائر ما هنالك من ضروب الخوارق النفسانية، التي هي من تصرفات واجبِ الوجود.

فمذهبُ هؤلاء الفلاسفة الطبيعيين، والملاحدةِ الماديين، الذي هو كما رأينا، والذي هو لا يخرج على العموم عما قاله الفلكيُّ فلامريون، المتقدِّم ذكره، كما في كتابه «الموت وغامضته». فقد قال فيما حقّقه من وصف ما عليه هذه الفرقة الضالة: «المادية مذهبٌ ضالٌّ وناقص».

وكفى بالقرآن حجة وبياناً، فقد قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَقَالُوا۟ مَا هِىَ

إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٢-٢٦]. اهـ. مصحِّحه.

* * *

(١٢)

تعليقة أنيقة

«في طلب الورع والتحرّي
عند وقوع الاختلاف في رؤية الأهلة»

من إملاء سيدنا الإمام علامة الدنيا

الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

العلوي التريمي، نفع الله به



هذه التعليقة

رسالة لطيفة من إملاءات علامة الدنيا، رحمه الله ونفع به، تحدَّث فيها عن متطلبات الورع الحاجز، الذي ينبغي أن يتحلَّى به المسلم عند وقوع الاختلاف بين المفتين، أو عدم انضباط الرؤية الشرعية للأهلة.

النسخة المعتمدة:

قوبل نص هذه التعليقة على الأصل المحفوظ في مكتبة الأحقاف بتريم، ضمن مجموع يحمل الرقم (٢٧١٠)، ويقع في ٣ ورقات. غير مؤرخة، ولا معلومة الناسخ. وخطها واضح. كتب على طرتها: «هذه تعليقة أنيقة، لجامعها سيّدنا الإمام الخاتمة، الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه باعلوي، نفع الله به آمين».

تنويه وملاحظة:

هذه التعليقة، وُجِدَت منها نسخة أخرى، فإذا هي في الأصل جوابٌ على سؤال وردَ إلى علامة الدنيا من وادي دوعن، بعث به أخوه في الله، وقرينه في الطلب، السيد العلامة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار (ت ١١٥٨هـ).

وهذا صدر السؤال:

«الحمدُ لله على نعمة الإسلام والإيمان وإيضاح (...)[١] والبيان، والصلاة

(١) خرم في الأصل بسبب الأرضة.

والسلام على سيدنا محمد المصطفى (...)[(١)] وصحبه وأتباعه وحزبه مادام الزمان.

وبعد؛ فقد ورد عليّ (...)[(١)] الشريف الفاضل ذي الأنوار، السيد عمر بن عبد الرحمن بن عمر البار باعلوي. (...)[(١)] أمور الهلال. كيف يكون حكم العدد فيها مع العموم والخصوص؟ (...)[(١)] حصلت عنده ريبةٌ، وعرف التساهل من الحكام، والتحري عن الإقدام بالشهادة من العموم؟

وهل لمن له كلمة مقبولة أن يمنع العوام من التعرض للهلال؟ أو ليس له ذلك؟ فإن الأمر في شهر الصيام بين حرامين: إما منعُ الصيام، أو صوم يوم العيد. بيّنوا لنا ما نخرج به من الحرج والآثام». وفي خاتمة الجواب، جاء ما نصه: «قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن الفقيه محمد باعلوي بتاريخ أواخر شوال، سنة اثنين وخمسين ومئة وألف».

فلعل السيد الإمام رأى أن تفرد الرسالة، وسماها هو أو من أتى بعده بهذا الاسم «تعليقة أنيقة»، فهذه فائدة مهمة، ينبغي الانتباه لها، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) خرم في الأصل بسبب الأرضة.

هذه تعليقة أنيقة لجامعها سيدنا
الامام الخاتمة الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بلفقيه
باعلوي نفع الله به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على نعمة
الاسلام والايمان والمنة بايضاح امور الدين والاحكام
بغاية البيان والصلوة والسلام على سيدنا محمد المصطفى
لكل حسن واحسان وآله وصحبه واتباعه وحزبه ما دار الزمان
وبعد فان علم الاحكام المسمى بالفروع على قسمين
الاول ما هو موضوع لربط النظام على وجه يشمل الخواص
والعوام ويجمع اولي الاعلام والاغبيا والطغام على حسب
ظاهر الحال لحماية الامه عن التفريق وشق العصى في تنفيذ
الاحكام وذلك القسم هو الذي يتولى القيام به اهل الامر العام
وتتصدى له الولاة والحكام فهم مكلفون به على معرفتهم
بالاجتهاد والتقليد وهو موكول اليهم على حسب ارائهم ونظرهم
السديد وان لم يوافق مذهب غيرهم في ذلك التحديد فلهم جلب
المصالح العامه بالامر العام على العباد فان تخلفت المصلحة
فيه عن بعض الافراد كما لهم درء المفاسد بالنهي العام وان
لم يوجد فساد من بعض الاحاد فالاول يظهر فيما يلزم به
ماسبه المسلمين للمصالح العامه العايده على الامة

والثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله على نعمة الإسلام والإيمان، والمنة بإيضاح أمور الدين والأحكام بغاية البيان، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد المصطفى لكُلّ حسنٍ وإحسان، وآله وصَحْبه وأتباعه وحزبه ما دار الزمان.

***

وبعد؛ فإن علم الأحكامِ المسمّى بالفروع، على قسمين:

[القسم الأول من علم الأحكام ما يشمل الخواص والعوام]

الأول: ما هو موضوعٌ لربط النظامِ على وجهٍ يشمل الخواصَّ والعَوَامَّ، ويجمع أولي الأحلامِ، والأغبياء والطغام، على حسب ظاهر الحال، لحماية الأمة[1] عن التفريق وشق العَصا في تنفيذ الأحكام. وذلك القسم هو الذي يتولى القيامَ به أهلُ الأمر العامِّ، وتتصدّى له الوُلاةُ والحكّام، فهم مكلّفون به على معرفتهم بالاجتهاد والتقليد، وهو موكولٌ إليهم على حسب رأيهم ونظرهم السديد، وإن لم يوافق مذهبَ غيرهم في ذلك التحديد[2].

(١) في نسخة: أهل الإسلام.

(٢) في نسخة: «فهم مكلفون على ما عرفوه من اجتهاد أو تقليد، وهو موكول إلى نظرهم السديد، فينفُذُ حكمَهم به، وأمرَهم فيه غيرُهم، وإن لم يوافق رأيه، ولم يطابق نظره في ذلك التقييد».

فلهم جلبُ المَصالح العامة بالأمر العام على العباد، فإن تخلفَت المصلحةُ فيه عن بعض الأفراد، كما لهم درء المفاسد بالنهي العام، وإن لم يوجد فسادٌ من بعض الآحاد[(١)]، **فالأول**: يظهرُ فيما يلزم به مياسيرُ المسلمين للمصالح العامة العائدة على الأمّة. **والثاني**: يكثر فيما يترتب عليه الفساد، وتظهر فيه التهمَة، ومن ذلك: منع النساء من الخروج إلى المساجد، وإن ترتب عليه فوت الجماعة [عليهن، والصلاة مع الإمام][(٢)].

ومنها: من عُرف بالتساهل في الفتوى، والتصدِّي[(٣)] للتدريس، ونحوه من الأمور الدينية، فلصاحب الأمر منعُه من ذلك، وزجره لخوف المفسدة العائدة، وإن كان فعلهُ لا يخلو عن فائدةٍ، كما له تخصيصُ ذلك بمن عُرِفت أهليته وديانته، واشتهر ورعه وأمانته. وقد منع سيدنا عليٌّ، كرم الله وجهَه، القُصَّاصَ [وأخرجهم من المسجد]، غير الحسَنِ البَصري، لما ذكرناه.

ومن تأمّل كتب الأحكام، وتأمل كلام العلماء الأعلام، [فيما يتعلق بالإمام][(٤)]، كالماوردي في «الأحكام السلطانية»، وحجة الإسلام في «الإحياء»، وصاحب «الأنوار»، وغيرهم، وأنصفَ؛ عرفَ واعترفَ، أن صاحب الأمر العامِّ[(٥)]، من الوُلاة والحكام، إذا عرف تهوُّر العوام، وتجرِّي من لا يوثق بدينه وورعه من الغِشَام، في التعرض لرؤية الهلال، وتجرِّيهم على الشّهاداتِ بها مع

---

(١) في نسخة: «فتصير بهم الكلمة واحدةً، والأمة متوافقة متعاضدةً، على قيام صورة الإسلام، وجمع العقلاء والطغام، على نظام. ولهم جلب المصالح العامة بالأمر العام على العباد، وإن تخلفت المصلحة عن بعض الآحاد، كما هم درء المفاسد بالنهي العام، وإن لم توجد المفاسد من بعض الأفراد».

(٢) مزيد من نسخة أخرى.

(٣) في نسخة: والتجري على التدريس.

(٤) مزيد من نسخة أخرى.

(٥) في نسخة: متولي أمور الإسلام.

عدم تحرِّيهم في تحقيقها، فله منعهم من ذلك على وجه العموم.

***

فإن قيل: كيف يمنعون من ذلك وفيه مصلحة دينيّة؟ وقد قال بعضُهم: إن ترائي الهلال فرضُ كفايةٍ، وردّه عليه غيره: بأنه لا سلفَ له في ذلك، وبأن سببَ تحصيل الوجوبِ لا يجبُ، وبأن هذا لو كان واجباً لاشْتهرَ؛ لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله ولم ينقل، وما توفَّرت الدواعي على نقله ولم ينقل؛ غيرُ مقبولٍ، كما هو معروفٌ في قواعد الأصول، وعلى تسليم ما قال ذلك البعضُ، فيخرج الآمرُ بذلك من الحرجِ: إذا أفردَ بذلك بعضُ الثقاتِ، وخصه بعدول إثباتٍ[١].

***

هذا كلّه في التعرض للرؤية والترائي، وأمّا إذا وُجدت الرؤية نفسُها من الثقة العدلِ، أو تواترت ممن يحصل بهم القطعُ، فلا سبيل إلى ردّها، ويلزم قبولها؛ لأنها حجة شرعيّة [بحسب الظاهر]، يقدم عليها عن المعارضة، ولا يدفعها مجرد الأوهام، ولا سوء الظن بالعوام، [ولا أثر لرؤية لا تستند إلى وجه خاص، مع قيام الحجة وثبوتها عند الحاكم][٢].

---

(١) في نسخة: «لكن لا يجوز له ذلك إلا بعد تحقق ذلك منهم، بمعرفته، أو من معرفة الثقات، أهل الإنصاف من العباد، لا أهل التعصب والعناد، الذين هم أصل كل فرقة وفساد. والأولى أن يجعل ذلك مخصوصاً ببعض الثقات، العدول الأثبات، ليخرج من الحرج في الدين في النفي والإثبات».

(٢) ما بين المعقوفتين كتب في الهامش وتحته: «صح، أصل».

وفي نسخة زيادة بعد هذه العبارة، قوله: «وأما أقوال أهل الحساب (...) القمر في المنازل: فملاحظته في هذا الباب خلافُ الصواب، فإن الشرعَ بالرؤية الحسية، سدَّ هذه الأمور والنظر إليها؛ لأنه يوقع في (...) وتلبيس، وعدم (...) على حالٍ. وفي «المنهاج» وغيره من كتب المذهب: «وإذا صمنا برؤية عدلٍ، ولم نر الهلال بعدَ الثلاثين والسماء مصْحِيةٌ، أفطرنا وصَلينا العيدَ، فلو =

[القسم الثاني من علم الأحكام: طريقةُ الخواص]

وأما القسم الثاني من علم الأحكام؛ وهو الوجه الخاص، وطريقة الخواص، وهو ما يعامل العبدُ به مولاه، على وجه الصّدق والإخلاص. فإنه يجتهد فيه لنفسه عند الاشتباه، ويحتاط عند تعارض الأمثال والأشباه. ويستفتي قلبه وإن أفتوه [فيما يراه]، فإن كان على بصيرةٍ من أمره، محققةٍ [عنده]، يخالف العامّةَ[1]، عمِل بها في نفسه، ولا يظهرها، مراعاةً لحق الأمر العام، وجماعةِ الإسلام، [وكان بعض مشايخنا الأعلام يحضر العيد مع الناس وهو صائم].

وإن لم يتحقق عنده حالٌ، فليس له إلا الاحتياطُ، عند الاحتمالات التي لها وجهٌ، لا مجرّد الوسوسة، وقد يتعارض الاحتمالانِ في صوم عيدٍ وإفطارِ آخِر يوم من رمضان، وقد يترجح أحدُ الاحتمالين بقوة الفقه والقرائن[2].

* * *

ثم من تأمل أحوالَ أهلِ هذا الزمان، وولاتهم وحكّامهم، وما يجرُون عليه في أحكامهم، وجدها بعيدةً من التأسيس على التقوَى، قريبة من التجري على الفتوى،

= نظرنا إلى حساب المنازل لم نفْطر». والحاصل: «أن علوم المنجمين والكهان، وأهل الرمَل، وأهل الزجر، قد منع منها الشرعُ، وعمم المنع؛ لأنها لا أساسَ لها، ولا غاية تحتها، والله أعلم».

(١) في نسخة: «يخالف ما نفذه الحكام، عمل بها في نفسه، من غير أن يظهرها»، إلخ.

(٢) جاءت هذه العبارة في النسخة الأخرى بما صورته: «وإن كان السبب غير محقق عندَه؛ فليس له ذلك، فقد حرم الله صيام يوم الشك الذي يتحرى فيه برؤية الهلالِ آخرَ يوم من شعبان. وإن كان الاحتياط في صومه ربّما أنه من رمضان، فقد منع الشرع هذا الاحتياطَ وحرّمه، ويتعارض الاحتمالان في: صوم الزينة، وإفطار آخر يوم من رمضان. فليكن الإنسان على بصيرة في دينه، ومعرفته ويقينه، فإن أهل هذا الزمان بين الإفراط والتفريط، وغالبهم في تخبطٍ وتخبيط، ومغالطة وتغليط».

والجزي مع الهوَى. فالأولى به أن يكونَ معهم ظاهراً، ويحفظ لهم حرمةَ صورةِ الإسلام، وحق الأمر العام ظاهراً، ويتحفظ منهم، ومن الدخول في أمورهم، صيانةً لنفسه ولدينه من الملام والآثام، ولا يصدقهم ولا يكذبهم، وإذا خاطبوه قال: سلامٌ.

وفي الحديث: «إذا رأيت الناسَ قد مرجَت عهودُهم، وخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا»، وشبّك بين أصابعه: «فالزم بيتكَ، واملك عليك لسانكَ، وخذ ما تعرف ودعْ ما تنكر، وعليك بخاصَّة نفسكَ، ودَعْ عنك أمر العامة»[١]، انتهى.

وذلك لما ذكرناه من قلة الديانة، وخفة الأمانة، ونكث العهود، وتزلزل العقود، خصوصاً في أهل الأمر العام [وأعوانه الطغام الغشام]، وإذا كان الإنسانُ اليوم معهم في معاملة الدنيا على خطرٍ، لا يثقُ بأحدٍ منهم [إلا لنادرٍ] في بلوغ وطَر، فكيف بأمور الدين! التي صارت غريبةً وأهلُها غرباء! وفي الحديث: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء»[٢].

❊ ❊ ❊

وما أحسن العزلةَ في هذا الزمان، لمن أقامه الله فيها، [ففيها السلامة، والهناء والكرامة]، وأما من أقامه في المخالطَة؛ فلا يخرج نفسه منها ما دام يجاهدُ[٣] بما قدر عليه، ولو بظهور حجة الله في العوام[٤]، وعلى الحكام، وتحمّل المشقة في النفع الديني والدّنيوي، وإن قلَّ، مع سلامة دينه، فذلك من أفضل الجهاد، فبالنية الصالحة لا يضرّه من ضلّ إذا اهتدى، ويجنبه الله بالصبر والتقوى جميع الرّدى. قال الله تعالى: ﴿وَإِن

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(٣) في نسخة: «ما دام يقدر على المجاهدة لنفسه ولغيره».

(٤) في نسخة: العموم.

تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ٢٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

تمت «التعليقة» الجامعة

بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

والحمد لله رب العالمين، آمين.

* * *

وهذه الأبيات

وجدت في بعض النسخ:

كُنْ مع الله باطناً ومع الخلقِ ظَاهرا

ومع الحقِّ فاجتهدْ واصطبرْ للذي ترَى

إنما الخلقُ هكذا لا يزالون في مِرَا

في اختلافٍ وفرقَةٍ بينهم ليس تذكرا

جمعَ اللهُ أمرَهم بالنبيِّ الذي بَرَا

وبشَرعٍ منزَّلٍ في الأمورِ تقدَّرا

وبوالٍ يذودُهم بالحدودِ مسيِّرا

فيصيرُ بأمرهِ أمرُهم واحداً يُرى

قائمٌ واحدٌ بهم وهو بالشرع أذكَرا

فبذاك انتظامُهم وعلى ذاك قَد جرى

كل من كان قبلَنا من أولي الحقِّ والورى

فله الحمدُ ربنا فلقد منّ بالبرى

وصلاةٌ على النبِي كلما قارئٌ قرَا

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

(١) فتاوى وأجوبة نافعة

(٢) فوائد ومسائل شتى

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

(٥) كشف الحق عن علوم الحقيقة وتمييز التلبيس عن رسوم الطريق

الموضوع الصفحة

[مكاتبة وجوابها مع الحبيب العلّامة الحسن بن علي الجفري]

(٦) نبذة في تعريف الطريقة العلوية

(٧) شرح القصيدة الفريدة في خلاصة العقيدة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

(٩) إسعاف أهل الإيمان بأربعين حديثاً في فضائل القرآن

الموضوع الصفحة

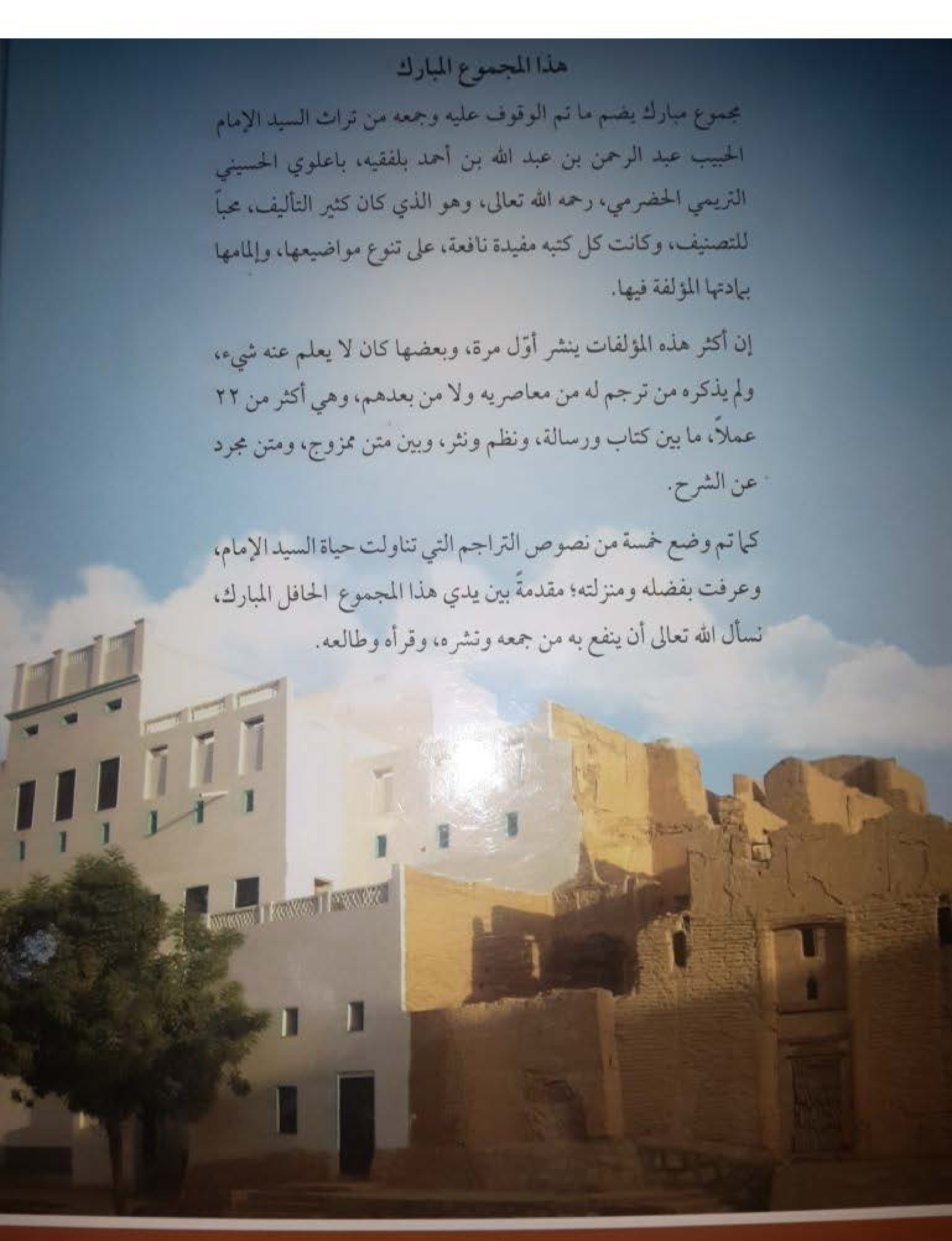
الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

(١٠) كتاب الدوائر

(١١) قاطع الجدال في مسألة الهلال بإذن الكبير المتعال

❋ ❋ ❋


هذا المجموع المبارك
مجموع مبارك يضم ما تم الوقوف عليه وجمعه من تراث السيد الإمام الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، باعلوي الحسيني التريمي الحضرمي، رحمه الله تعالى، وهو الذي كان كثير التأليف، محباً للتصنيف، وكانت كل كتبه مفيدة نافعة، على تنوع مواضيعها، وإلمامها بمادتها المؤلفة فيها.
إن أكثر هذه المؤلفات ينشر أوّل مرة، وبعضها كان لا يعلم عنه شيء، ولم يذكره من ترجم له من معاصريه ولا من بعدهم، وهي أكثر من ٢٢ عملاً، ما بين كتاب ورسالة، ونظم ونثر، وبين متن ممزوج، ومتن مجرد عن الشرح.
كما تم وضع خمسة من نصوص التراجم التي تناولت حياة السيد الإمام، وعرفت بفضله ومنزلته؛ مقدمةً بين يدي هذا المجموع الحافل المبارك، نسأل الله تعالى أن ينفع به من جمعه ونشره، وقرأه وطالعه.
مقام الإمام